الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم –
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات اللغوية والأدبية

أطروحة مُقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي

تخصص: أدب وحضارة عربية

السّيرة النّبوية في الفِكر الاستشرَاقِي الحَديث

كارل بروكلمان أنموذجًا

إعداد الطالب:
ربحي طارق

إشراف الأستاذ:
أ. د بويش منصور

أعضاء لجنة المناقشة:

لقب واسم الأستاذ	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصّفة
الشارف لطروش	أستاذ	جامعة مستغانم	رئيسا
بويش منصور	أستاذ محاضر أ	جامعة مستغانم	مشرفا ومقرّرا
حفار عز الدين	أستاذ	جامعة مستغانم	ممتحنا
قوفي أحمد	أستاذ	جامعة مستغانم	ممتحنا
بزحاف يوسف	أستاذ	جامعة غيليزان	ممتحنا
سحواج امحمد	أستاذ	جامعة الشلف	ممتحنا

السنة الجامعية: 2024-2025

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سبحانه وتعالى ﴿ ومنْ يشْكُرْ فإنّمَا يشْكُرُ لنَفْسِه ﴾ سورة لقمان: 12

أتقدّم بالحمد والشّكر الجزيل لله سبحانه وتعالى الذي وفّقني بلطفه وكرمه لإنهاء أطروحتي، ثمّ إلى الأستاذة الفاضلة **فيدوح ياسمينة** تغمّدها الله برحمته التي تحمّلتني طيلة إنجاز هذا العمل، ولم تبخل عليّ بوقتها ونصحها وتوجيهها، ثمّ إلى الأستاذ **بويش منصور** الذي تفضّل بالإشراف عليّ بعد وفاة الأستاذة فيدوح، ثمّ إلى كلّ الأساتذة الأفاضل الذين قدّموا لي يد العون من قريب أو بعيد في سبيل إنجاز هذا العمل.

والشّكر موصول كذلك إلى كلّ أساتذتنا الأفاضل بجامعة عبد الحميد بن باديس –مستغانم–

الطالب: ربحي طارق

إهداء

أهدي ثمرة جهدي البحثي هذا إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله ورعاهما.

إلى أستاذتي الفاضلة فيدوح ياسمينة –رحمها الله تعالى–

إلى أستاذي الفاضل بويش منصور.

إلى أستاذي الفاضل لطروش الشارف.

إلى أفراد أسرتي الأعزّاء.

إلى كلّ من علّمني وأمدّني بيد العون من قريب أو بعيد.

إليكم جميعًا أهدي هذا العمل المتواضع.

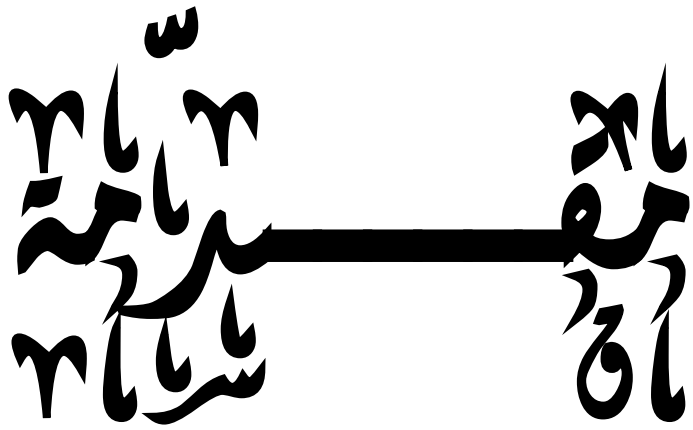

مقدمـــــة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

إنّ للعلاقة بين العالمين الشرقي والغربي جذورا ضاربة في القدم، فهذا جلوب باشا الكاتب والقائد الانجليزي للجيش الأردني حتى سنة 1956م يعترف قائلا بأن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط إنّما تعود إلى القرن السابع للميلاد، فقد بدأ الاحتكاك بين العالمين الشرقي والغرب–على الأقلّ– منذ أن ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية، وقد اتخذ هذا الاحتكاك بعد ذلك صورا وأشكالا مختلفة، بداية بالصورة العسكرية متمثلة في الحروب الصليبية التي شنّها المسيحيون الغربيون على البلاد الإسلامية، وقد فشل هذا الصراع في تحقيق مسعاه، فرجع الغرب المسيحي إلى دياره خائبا مدحورا.

ثم أخذ الاحتكاك منحًى آخر فيمّم الرهبان والقساوسة المسيحيون وجوههم–وقد كانوا أفضل من غيرهم من الناحية العلمية– صوب البلاد الإسلامية، فتتلمذوا على يد علمائها وتعلموا اللغة ومختلف العلوم الدينية والدنيوية، واحتملوا في ذلك المشاقّ، ثم رجعوا إلى بلادهم، فأنشأوا الجامعات، و كراسي للغات الشرقية، وأخذوا يعلمون غيرهم وينشرون العلوم التي أخذوها عن المسلمين.

وقد بقي هذا الاحتكاك مستمرًّا إلى غاية عصرنا الحديث، فقد ركب المستشرقون موجة الاستعمار الغربي الذي اجتاح البلاد العربية والإسلامية، فأمدّوه بخلاصة تجاربهم وعصارة أفكارهم حول شعوب المنطقة الإسلامية وكيفية التعامل معها، فقد كان الكثير من هؤلاء تابعين ومستشارين في وزارات بلدانهم الحربية، في مقابل تذليل الصعوبات والمال وحرية التنقل في البلاد المستعمرة، ومقابل السماح لهم بوضع أيديهم على ذخائر ومخطوطات البلاد العربية، فكانوا يأخذونها تارة ببذل المال، وتارة بالخداع والطرق الملتوية، ثم ينقلونها إلى مكتباتهم في أوربا، ومن ثمّ يعكفون على دراستها وترجمتها وتحقيقها وفهرستها.

وقد كتب المستشرقون في كل ما له علاقة بالإسلام والمسلمين، فكتبوا عن القرآن الكريم وترجموه إلى مختلف اللغات الأوربية، كما كتبوا عن السنّة النبوية، فتكلموا عن الأحاديث، وعن سندها ومتنها ورواتها، كما خاضوا في مجال السيرة والتاريخ الإسلامي، وطبّقوا عليها مختلف المناهج التي توصل إليها الفكر الغربي، يضاف إلى هذا كتابتهم عن الأدب العربي والشعر والتصوف، ومختلف مجالات المعرفة عند المسلمين.

أما عن نظرة الدارسين العرب والمسلمين لظاهرة الاستشراق، فقد تباينت آراؤهم بين من عارض الاستشراق معتبرا إياه تشويها وتزييفا لكلّ ما يمتّ بصلة للإسلام والمسلمين، وبين من كال المديح والثناء لهؤلاء المستشرقين، فهو يفخر بجهودهم، وبأنه تتلمذ على أيديهم، في حين ذهب آخرون إلى النظر بموضوعية لهذه الظاهرة، فيبيّنون فضلها من جهة، ولا يغضون الطرف من جهة أخرى عن أخطاء المستشرقين العفوية والمتعمّدة.

ومن بين مدارس الاستشراق التي كاد يجمع الدارسون على موضوعية مستشرقيها نجد المدرسة الألمانية، ومن بين المقدّمين والمبرّزين في هذه المدرسة نجد المستشرق الكبير كارل بروكلمان، الذي ألف العديد من الكتب المهمة، ككتاب تاريخ الأدب العربي، والذي صار مرجعا مهما يعود إليه كل من يكتب عن الأدب العربي، فقلّ أن نجد كتابا في تاريخ الأدب العربي يخلو من الإشارة إلى كتاب بروكلمان.

كما نجد أيضا كتابه الموسوم ب ‹‹ تاريخ الشعوب الإسلامية››، وهو موضوع دراستنا هذه الموسومة ب" السيرة النبوية في الفكر الاستشراقي الحديث كتابات كارل بروكلمان أنموذجا"، فقد أرّخ بروكلمان في كتابه للأمة الإسلامية من قبل البعثة حتى العصر الحديث، وقد انصبّ عملنا في هذا الكتاب على الجزء الخاص بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويرجع سبب اختياري لهذا الموضوع إلى عدة نقاط على رأسها:

1- حبّي لسيرة الرّسول عليه الصلاة والسلام و رغبتي في التّعرّف أكثر على ما كتب حولها من طرف المستشرقين الغربيين و خاصّة الألمان.

2- الرّغبة في تسليط الضّوء أكثر حول المدرسة الاستشراقية الألمانية، والتي يجعلها كثير من الباحثين أمثل من غيرها من ناحية دوافعها وأهدافها إلى خوض غمار الاستشراق.

3- الدّفاع عن سيرة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام وتبيين الأخطاء والمزالق التي وقع فيها المسشرق الألماني كارل بروكلمان ونقدها نقدا علميا موضوعيا، بعيدا عن الذّاتية والتّحيّز.

والأسئلة والإشكاليات التي نتوخى الإجابة عنها في هذه الدراسة هي:

- ماهي المنطلقات التي ارتكز عليها في دراستة للسيرة النبوية؟
- ماهي المناهج التي طبّقها بروكلمان على السيرة النبوية؟
- من أين استقى بروكلمان مروياته؟
- من هم الرواة الذين اعتمد عليهم؟ وما وزن هؤلاء عند أئمة المسلمين؟
- هل كان بروكلمان موضوعيا ومنصفا في دراسته ؟
- هل جاءت دراسته للسيرة النّبوية بنفس عمق كتبه في المجال اللغوي؟
- ما أثره على كتابات من جاء بعده من المستشرقين والعرب؟

وبناءً على هذه الإشكاليات فقد قسّمت بحثي إلى مقدّمة وثلاثة فصول وخاتمة، فجاءت المقدمة كتمهيد للموضوع سلّطنا فيها الضّوء على علاقة المستشرقين الغربيين بالإسلام، وكذا الحديث عن أهمية الموضوع قيد الدراسة، والإشكاليات التي نتوخى الإجابة عنها، والكتب التي اعتمدنا عليها، والصّعوبات التي واجهتنا في بحثنا.

أما الفصل الأوّل فقد عنوناه ب" **الاستشراق دراسة ونقاش وتقييم**" وقد تعرّضنا فيه لمفهوم الاستشراق عند الغربيين والعرب، وكذا لمحة تاريخية عن بداية الحركة الاستشراقية واختلاف الباحثين حول تحديد تاريخ دقيق لها، كما تعرّضنا أيضا لدوافع الحركة الاستشراقية ووسائلها، وأهمّ مدارسها، وآثار هذه الظّاهرة على العالمين العربي والإسلامي، وختمنا هذا الفصل بتسليط الضوء على جهود المستشرقين الغربيين وعلاقتهم بعلوم المعرفة عند المسلمين،كما ركّزنا على الموقف العربي والإسلامي من الظّاهرة الاستشراقية.

أمّا الفصل الثّاني فقد تناولنا فيه "**المدرسة الاستشراقية الألمانية**"، وقسّمناه إلى ثلاثة مباحث: ففي المبحث الأوّل تحدّثنا عن بداية نشأتها وتطوّرها، ثمّ أشرنا إلى أهم مميزات وخصائص الاستشراق الألماني، أمّا في المبحث الثّاني فقد تحدّثنا عن اتّجاهات المستشرقين الألمان، وأشهر المؤسسات الاستشراقية في هذه المدرسة، كما تحدّثنا أيضا عن أشهر مستشرقيها وأعلامها، وخصّصنا المبحث الثّالث للحديث عن جهود المستشرقين الألمان في خدمة التراث العربي والإسلامي، وكذا تبيان موقفهم من أهمّ العلوم الإسلامية.

أما الفصل الثالث فقد عنوناه ب" **كتاب تاريخ الشّعوب الإسلامية دراسة نقدية**" وقسّمناه إلى مبحثين ركّزنا في المبحث الأوّل على ذكر تعريف موجز بالمستشرق كارل بروكلمان وحياته العلمية، وكذا التعريف بكتابه " تاريخ الشّعوب الإسلامية"، وفي المبحث الثّاني، وهو المبحث التّطبيقي طرحنا فيه آراء المستشرق كارل بروكلمان حول سيرة الرّسول عليه الصلاة والسلام، وأتبعناها بردودنا عليه.

ثمّ الخاتمة والتي ركّزنا فيها على أهمّ النتائج التي توصّلنا إليها في بحثنا.

ونظرا لطبيعة الموضوع التاريخية فقد اعتمدت على المنهج التاريخي الذي لم يغب طيلة مراحل هذا العمل، كما اعتمدت أيضا في الفصلين الثاني والثالث على المنهج الاستقرائي والتحليلي في طرح آراء المستشرقين والردود عليها.

وقد اعتمدت في هذا البحث على مصادر ومراجع ذلّلت كثيرا من الصعوبات التي واجهتني طيلة عملي ومن بينها:

- كتاب المستشرقون : نجيب العقيقي.
- موسوعة المستشرقين : عبد الرحمان بدوي.
- المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدّراسات العربية: صلاح الدين المنجد.
- نقد الخطاب الاستشراقي: ساسي سالم الحاج.
- كارل بروكلمان في الميزان: شوقي أبو خليل.
- افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية: غيثان علي جريش.

وقد صادفتنا العديد من الصّعوبات في سبيل أن يرى هذا العمل النور ومن بينها:

- صعوبة الحصول على المصادر والمراجع الأجنبية وحتى العربية المتعلقة بموضوع البحث.
- قلّة المصادر والمراجع التي كتبت عن المدرسة الاستشراقية الألمانية على وجه التّحديد.
- عائق اللغة، حيث اضطرني إلى التركيز في بحثي على المراجع المترجمة القليلة كما ذكرت آنفا.

وختامًا أحمد الله سبحانه وتعالى على توفيقه وتيسييره، والشكر موصول لمشرفي على الأطروحة: الأستاذ بويش منصور، وكذا أعضاء اللجنة العلمية الموقرة، وكلّ من ساهم في هذا العمل المتواضع من قريب أو بعيد.

الفصل الأوّل

الاستشراق دراسة نقدية

المبحث الأوّل: مفهوم الاستشراق ونشأته ودوافعه

المبحث الثّاني: مدارس الاستشراق وآثاره

المبحث الثّالث: إسهامات المستشرقين في التراث الإسلامي

- **المبحث الأوّل: مفهوم الاستشراق ونشأته ودوافعه**

1- مفهوم الاستشراق:

قبل الخوض في الظّاهرة الاستشراقيّة وكيفيّة نشوئها ودوافعها لابد من المرور أوّلا على مفهوم الاستشراق حتى يتسنّى لنا الإحاطة بالموضوع الذي نحن بصدد الحديث عنه.

1-1- المفهوم اللغوي:

- كلمة **استشراق** مأخوذة من لفظة "**شرق**"، ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتّاء، وهذه الحروف تدل على الطلب، مثل استغفر أي طلب الاستغفار، واستنصح أي طلب النصيحة، وعليه يكون معنى هذه الكلمة طلب علوم الشرق وآدابه وأديانه ولغاته...

- **وجاء في معاجم العربية** "وشرقت الشّمس تشرق شروقا و شرقًا أيضًا، أي طلعت. وأشرقت أي أضاءت"[1].

- **وجاء في القاموس المحيط:** "وشرقت الشّمس شروقًا، كأشرقت...وأشرق: دخل في شروق الشمس، **والتشريق:** الجمال وإشراق الوجه والأخذ في ناحية الشرق"[2].

ومن هنا "يبدو أن معنى استشرق أدخل نفسه في أهل الشرق، وصار منهم"[3].

1-2- المفهوم الاصطلاحي:

هناك عدة تعريفات مختلفة لمصطلحي الاستشراق والمستشرق سواء من جانب المستشرقين الغربيين أنفسهم أو من جانب الدّارسين والمهتمين العرب بعلم الاستشراق.

---

[1] – إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، يناير 1990م، ج4، ص1501.

[2] – مجد الدين الفيروزبادي، القاموس المحيط، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت،2005م، ص897.

[3] – أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د ط، دار الفكر العربي،1998م، ص22.

أ- عند الغربيين: نجد ممّن سلّط الضّوء على مصطلح الاستشراق:

- **رودي بارت Rudi Paret** : حيث يقول عن الاستشراق بأنه "علم يختص بفقه اللغة خاصة، ولابدّ لنَا إذًا أن نفكر في المعنى الذي أطلق عليه كلمة استشراق المشتقة من كلمة «شرق»، وكلمة شرق تعني مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق، أو علم العالم الشرقي"[1].

- **مكسيم رودنسون Maxime Rodinson** : تحدّث المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون عن مصطلحي استشراق ومستشرق بقوله"وقد ظهرت كلمة orientalist(مستشرق)في انجلترا حوالي سنة1779،وكلمة"orientalist" في فرنسا عام 1799،وأدرجت كلمة"orientalisme" في قاموس الأكاديميّة الفرنسيّة(Dic.de l'academie Francaise)عام 1838، وأخذت فكرة إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشّرق تلقى المزيد من التّأييد"[2]، كما يعرّف رودنسون الاستشراق بأنّه "اتّجاه علمي لدراسة الشّرق الإسلامي وحضارته"[3].

- **ألبرت ديتريش Albert Dietrich** : يعرف ديتريش المستشرق بأنه ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق، وتفهّمه ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق"[4].

إذن: فيمكننا القول أنّ كلّا من مصطلحي الاستشراق والمستشرق حسب كثير من علماء الغرب لا يخرج عن دائرة الشرق عموما والإسلام وما يرتبط به خصوصا.

---

[1] – أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص23.

[2] – جوزيف شاخت، كليفورد بوزوروث: تراث الإسلام، عالم المعرفة، الكويت، يناير1978، ج1، ص64.

[3] – محمّد حسن زمّاني: الاستشراق تاريخه ومراحله، مجلّة دراسات استشراقية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد الأوّل، العراق، صيف 2014م، ص177.

[4] – أ. ديتريش: الدراسات العربية في ألمانيا، ص7، نقلا عن يحي مراد ردود على شبهات المستشرقين، د ط، ص27.

ب- عند الدارسين العرب:

اختلفت تعريفات كل من "**الاستشراق والمستشرق**" عند الدارسين والباحثين العرب بحسب المنطلقات التي انطلق منها كل باحث، فمنهم من نظر إلى الاستشراق على أساس المنطقة التي نشأ بها المستشرق، وهي الغرب على الأغلب، ومنهم من جعل المعيار هو الكتابة عن الإسلام والمسلمين، بغضّ النظر عن كون المستشرق من أهل الشرق أو الغرب، و نجد من بين الباحثين الذين تكلموا عن الاستشراق:

- **أحمد عبد الحميد غراب:** حيث يعرّف الاستشراق بأنّه" دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون من أهل الكتاب للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب، عقيدة وثقافة وشريعة وتاريخا وتنظيما...بهدف تشويه الاسلام، وتشكيك المسلمين فيه...وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبريرها عن طريق نظريات تدعي العلمية والموضوعية"[1].

- **عبد المنعم فؤاد:** يرى بأنّ الاستشراق هو" دراسات أكاديمية يقوم بها غير المسلمين من غير العرب سواء من الشرق أو الغرب للإسلام عقيدة وشريعة ولغة وحضارة بقصد التشكيك في هذا الدين القويم، وإبعاد النّاس عنه"[2].

فالملاحظ أنّ الباحثين يتّفقان على أنّ الاستشراق هو دراسات متخصّصة يقوم بها الآخر عن الإسلام والمسلمين بهدف التشكيك والتشّويه، وتقويض أركان الدّين الإسلامي، وفرض الهيمنة والتّبعية على المسلمين، ويختلفان في أنّ عبد المنعم فؤاد يتوسع في فهمهِ للاستشراق ليدخل فيه أبناء الشرق غير المسلمين من غير العرب كاليابان والصين، فكلّ من يتعرّض للإسلام بالدّراسة والبحث- حسبه- فهو مستشرق.

---

[1] - عبد المنعم فؤاد: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض،2001، ص17.

[2] - المرجع نفسه، ص18.

– **عمر فروخ:** يربط الاستشراق بالعالم الغربي ويعرّف الاستشراق بأنّه اشتغال ثلّة من العلماء الغربيين بأحوال الشّرق، حيث يقول" ومع أنّ نفرا من الغربيين قد درسوا حضارة الصّين واليابان والهند وكتبوا في الوثنيّة والمجوسيّة والفطريّة، فإنّنا إذا قلنا "مستشرقون" – وخصوصا في هذا البحث– فإنّنا نعني العلماء من الأوربيين خاصّة من الذين اهتموا بدراسة اللّغة العربية والحضارة الإسلاميّة بوجوهها المتعدّدة"[1].

– **عبد المتعال محمّد الجبري:** ينظر للاستشراق على أنّه" دراسة علوم الشّرق، وأحواله وتاريخه ومعتقداته وبيئاته الطبيعيّة والعمرانيّة والبشريّة، ودراسة لغاته ولهجاته وطباع الأمّة الشّخصيّة في كلّ مجتمع شرقي، فلكلّ أمّة مشخصاتها، ودراسة الأشخاص والهيئات والتّيارات الفكريّة والمذهبيّة في شتّى صورها وأنواعها"[2].

أما بخصوص لفظة "مستشرق" فيعرّفه **علي بن إبراهيم الحمد النملة** بقوله "... وعليه فإنّ غير المسلم المشتغل بعلوم المسلمين وآدابهم وتراثهم وفنونهم وعاداتهم وتقاليدهم يعد مستشرقا، وذلك لأنّ المعيار هنا هو الكتابة عن الإسلام والمسلمين من قبل أولئك الذين لا يدينون بالإسلام"[3].

فعلي النملة يدخل العرب النصارى ضمن هذا المفهوم، وهو لم يأت بجديد في هذا فقد سبقه **نجيب العقيقي** في موسوعته عندما وضع فصلا لنصارى لبنان المارونيين، وعدّهم مستشرقين من أمثال لويس شيخو اليسوعي و نصر الله شلق، كما لم ينس أن يؤرخ لنفسه بأنه مستشرق أيضا، ولا يعدم هذا الرأي معارضة، فنجد مثلا **عمر فروخ** لا يعدّ العرب غير المسلمين ممن اشتغلوا بعلوم المسلمين أمثال الأب لويس شيخو في طائفة المستشرقين.

---

[1] – عمر فرّوخ: المستشرقون مالهم وما عليهم، مجلّة الاستشراق، دار الشّؤون الثّقافية العامة، العدد1، العراق، كانون الثّاني1987م، ص54.

[2] –عبد المتعال محمد الجبري: الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1995م، ص13.

[3] – علي بن إبراهيم النّملة: كنه الاستشراق المفهوم–الأهداف–الارتباطات، ط3، بيسان، بيروت، اكتوبر 2011م، ص26.

وخلاصة هذه التّعريفات التي سقناها في خضمّ الحديث عن ظاهرة الاستشراق أنّ الاستشراق قد يقصد به أحيانا "ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشّرقيّة بالدّراسة والتّحليل من قبل علماء الغرب وأحيانا يقصد به أسلوب للتّفكير يرتكز على التّمييز المعرفي والعرقي والإيديولوجي بين الشّرق والغرب ومرّة أخرى يحدّد مفهومه بالنّاس الذين يقومون به ونعني بهم "المستشرقين "وهم الكتّاب الغربيون الذين كتبوا عن الفكر والحضارة الإسلاميّة"[1].

ولذلك فإنّنا نرى أنّ هناك شبه إجماعٍ من قبل كلّ من تعرضَّ بالدراسة للاستشراق والمستشرقين على أنّ الاستشراق هو تلك الحركة العلمية التي انطلقت من العالم الغربي وركّزت جهودها على معرفة العالم الشّرقي– وخاصة الإسلامي– دينه وتاريخه وآدابه وثقافته بغرض معرفته والسيطرة عليه.

2– لمحة تاريخيّة عن بدايات الحركة الاستشراقية:

بعد معرفتنا الموجزة لمصطلحي الاستشراق والمستشرق، لابدّ من تسليط الضّوء على بدايات الظاهرة الاستشراقية،حيث نرى أيضا اختلافا بيّنًا بين أغلب الباحثين والدّارسين للحركة الاستشراقية، وذلك من حيث تحديد زمن وتاريخ بعينه يمكن أن يكون بداية فعلية لهذه الحركة، ولذلك فإنّنا نقف على عدة آراء متباينة ومتنوعّة حاولت كلّها تحديد فترة زمنيّة معيّنة لظهور الحركة الاستشراقيّة، فمنها:

2–1– القرن السّادس ق.م:

نجد أنّ هناك من يؤرّخُ لنشأة الاستشراق بزمنٍ قديمٍ جدًّا، وتحديدًا بالقرن السّادس قبل الميلاد حيث بدأت حينذاك الصّلاتُ بينَ الشّرق والغرب، فقد نشبت حروب طاحنة بين الدولتين الفارسيّة واليونانيّة، وكانت الغلبة في بدايتها لفارس حيث استطاع الفرس احتلال بعض المدن اليونانيّة، ثمّ تمكّن اليونانيون من طرد الغزاة القادمين من الشّرق، وبعد نهاية تلك الحروب بدأ اليونانيون في دراسة ذلكّ العالم

[1] – مالك بن نبي: انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث. مجلّة الفكر العربي، يونيه 1983م،السّنة الخامسة، ص130وما بعدها، نقلا عن ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي الظّاهرة الاستشراقيّة وأثرها في الدّراسات الإسلاميّة، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان، يناير 2002م، ج1، ص20.

الغريب عنهم وذلك "لتوضيح أسباب النّزاع أوّلا، ولمعرفة العدوّ معرفة وثيقة ثانيّا، وكان أوّل باحث علمي استقرأ هذه الظروف والأحوال وسجّلها في سفر خالد هو المؤرّخ اليونانيّ الشّهير **هيردوتس** الذي جمع معلومات كثيرة وقيّمة عن الأصقاع التي زارها"[1].

2-2- القرن السّابع الميلادي:

كما نجد رأيًا آخر يؤرّخ لبداية الحركة الاستشراقيّة بالقرن السّابع الميلادي معلّلا لرأيه ببعثة الرّسول ﷺ وبداية ظهور الدّين الإسلامي في مكّة سنة ستمائة وأحد عشر للميلاد "611م"، ثمّ إرساله الرّسل والبرقيات إلى حكّام الأرض آنذاك يدعوهم فيها إلى الإسلام، وبعد ذلك بداية غزوات الرّسول- ص- ضدّ المشركين، وكذا بداية الاحتكاك العسكري بين المسلمين والرّوم في غزوة مؤتة، فقد نظر المسيحيّون إلى هذه الغزوة على أنّها تهديد فعلي للعقيدة المسيحيّة، وكذلك نجد أنّ "هناك جذورا للاستشراق في المدينة المنوّرة ذاتها، يتزعّم هذه الجذور عبد الله بن سبأ الذي يُذكر أنّه قد عمل على زعزعة المسلمين ورفع شعارات تحوم حول الأحقيّة بالخلافة كانت نتيجتها وجود تيّار لا يزال يذهب إلى أنّ أفرادًا من الصّحابة لم يكونوا أحقّ بالخلافة من أفراد آخرين-رضي الله عنهم أجمعين-"[2].

ولذلك فقد كان من الطّبيعي أن ينبري بعض العلماء والرّهبان المسيحيين لدراسة هذا الدّين الجديد منذ ذلك العصر، وقد برز منهم في العصر الأموي الرّاهب **يوحنّا الدّمشقي** (676-749م)، والذي كان رجلا يحظى بمكانة مرموقة في البلاط الأموي، حيث خلف أسرته في خدمة خلفاء بني أميّة، فقد أخذته الحميّة لدينه المسيحي وكتب عدّة كتب من بينها (محاورة مع مسلم) و(إرشادات النّصارى في جدل المسلمين) وقد وضع من خلالها قواعد ونصائح لإخوانه المسيحيين للرّد على المسلمين الذين يدعونهم لترك دينهم والدّخول في الإسلام، ويؤكّد ذلك الصّراع الذي كان بين المسيحيّة والإسلام القائد والكاتب الانجليزي "جلوب باشا" الذي ظلّ قائدا للجيش الأردني حتى سنة ألفٍ وتسعمائةٍ وستٍّ وخمسين "1956م"

[1]- ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي الظّاهرة الاستشراقيّة وأثرها في الدّراسات الإسلاميّة، مرجع سابق، ص28.
[2] - علي بن إبراهيم النّملة: كنه الاستشراق المفهوم-الأهداف-الارتباطات، مرجع سابق، ص 44،45.

بقوله" إنّ تاريخ مشكلة الشّرق الأوسط إنّما تعود إلى القرن السّابع للميلاد"[1]، ومن هنا يتّضح لنا أنّ الباعث لنشأة الاستشراق كان دينيا منذ البداية.

2-3- القرن العاشر الميلادي:

كذلك نجد قسما آخر من الباحثين يرى أنّ بداية الاستشراق كانت في القرن العاشر الميلادي "ولعّل هذا هو السّبب الذي أدى بنجيب العقيقي إلى أن يجعل كتابه عن المستشرقين في أجزائه الثّلاثة سجلّا للاستشراق على مدى ألف عام بدءا من الرّاهب الفرنسي جربر دي أوراليلك Jerbert de Oraliac (938-1003م) الذي قصد الأندلس وتتلمذ على أساتذتها في إشبيلية وقرطبة"[2]، وقد اشتهر هذا الرّاهب بسعة علمه ومعرفته،وهو ما أهّله فيما بعد لأن يتبوّأ كرسي البابوية في الكنيسة سنة تسعمائةٍ وتسعةٍ وتسعين ميلاديّة "999م"، وتسمّى باسم سلفستر الثّاني Pope Sylvester II.

2-4- القرنان الحادي عشر والثّاني عشر للميلاد:

كما أنّ هناك من يرى أنّ بداية الاستشراق إنّما تعود إلى القرن الحادي عشر للميلاد، مع احتدام الصراع في الأندلس بين المسلمين والمسيحيين الذين سعوا لأنهاء الوجود الإسلامي فيها فيما يعرف بحروب الاسترداد المسيحية.

في حين تبنّى آخرون الرأي القائل بأنّ الاستشراق قد نشأ في القرن الثّاني عشر ومن بين هؤلاء المستشرق الألماني **رودي بارت** حيث يرى بأنّ " بداية الدّراسات العربيّة والإسلاميّة في الغرب ترجع إلى القرن الثّاني عشر، ففي عام ألف ومائة وثلاثة وأربعين للميلاد "1143م" تمّت ترجمة القرآن لأوّل مرّة إلى اللغة اللاتينيّة بتوجيه من الأب بتروس قينيرابيليس رئيس دير كلوني، وكان ذلك على أرض اسبانيّة،

[1] – صورة الإسلام في التّراث الغربي (دراسات ألمانيّة)، تر: ثابت عيد،د ط، ص66.

[2] – محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفيّة الفكريّة للصراع الحضاري، د ط، دار المعارف، القاهرة، ص20.

وعلى الأرض الإسبانيّة، وفي القرن الثّاني عشر أيضا نشأ أوّل قاموس لاتيني عربي"[1]، وكذلك نجد أنّ المستشرق الفرنسي **جوستاف دوجا** Gustave Dugat قد بدأ التّأريخ للمستشرقين ابتداءً من هذا القرن في كتابه (تاريخ المستشرقين في أوربا منذ القرن الثّاني عشر إلى القرن التّاسع عشر).

2-5- القرن الثّالث عشر الميلادي:

وكذلك نجد قسما آخر يرجع بدايته إلى القرن الثّالث عشر الميلادي، وقد جسّد تلك البداية في رأيهم دعوة **ألفونس العاشر** Alfonso X ملك قشتالة إلى إنشاء معهد للدراسات العليا في إسبانيا وقد أشرف عليه عدد من المفكّرين المسلمين والمسيحيين واليهود.

2-6- القرن الرّابع عشر الميلادي:

ولعلّ هذا الرّأي يكون هو الغالب في أوربّا، حيث يؤرّخ لبداية الاستشراق بالقرن الرّابع عشر الميلادي، فبعد نهاية الحروب الصليبية سنة ألفٍ ومائتين وواحدٍ وتسعين ميلاديّة "1291م"، اقتنع الغربيون بعدم جدوى الصّراع العسكري ضدّ المسلمين، لذلك ركزوا جهودهم على محاولة تعلّم اللغات الشّرقية وفهم الدّين الإسلامي، ومن هنا بدأت حركة الاستشراق في التّبلور، وممّا يؤكّد هذا التّوجه إصدار البابا **كليمانس الخامس** في مجمع فيينا الكنسي عام ألفٍ وثلاثمائةٍ واثني عشر للميلاد "1312م" قرارا يقضي بإنشاء عدد من كراسي اللغات العربية والعبرية والكلدانيّة في بعض الجامعات الأوربيّة كباريس وروما وبولونيا وأكسفورد.

2-7- القرن الخامس عشر الميلادي:

يرجع قسم من الباحثين بداية الاستشراق إلى القرن الخامس عشر، وهو القرن الذي شهد فتح القسطنطينية عام ألفٍ وأربعمائةٍ وثلاثةٍ وخمسين "1453م" ، وتوسع رقعة الدولة الإسلاميّة بفضل الفتوحات التي قام بها العثمانيّون الأتراك، فقد ساهمت تلك الفتوحات في نشر الدّيانة الإسلاميّة، ومثّلت

[1] - رودي بارت: الدراسات العربيّة والإسلاميّة في الجامعات الألمانيّة "المستشرقون الألمان من تيودور نولدكه"، تر:د مصطفى ماهر، د ط، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011م، ص14.

تهديدا صريحًا لأوروبّا النّصرانيّة في عقر دارها، ممّا أدّى إلى نشوء الاستشراق للرّد على هذا الدّين باعتباره المحرّك الرئيس لتلك الفتوحات.

2-8- القرن السّادس عشر الميلادي:

كما نجد رأيًا آخر يرى بأنّ الاستشراق قد نشأ في القرن السّادس عشر على اعتبار أنّ العلماء والمستشرقين الغربيين قد بدأوا بالتّوجّه والإقبال بشكل أكبر على الدّراسات العربيّة والإسلاميّة، وتعلّم اللّغات الشّرقيّة وخاصّة اللغة العربيّة في ذلك القرن، وهو رأي **عبد الحميد صالح حمدان**، فنراه قد " عمد في هذا السّياق إلى افتتاح كتابه طبقات المستشرقين بالتّعريف بالمستشرقين في القرن السّادس عشر للميلاد. وقد اشتمل كتابه على التّعريف بسيرة ما ينيف على المئتي مستشرق"[1]، كما يتبنّى هذا الرأي أيضا **عمر فرّوخ** حيث يقول في معرض حديثه عن الاستشراق "ومنذ القرن السّادس عشر للميلاد(العاشر للهجرة) بدأ الاستشراق بالمعنى المقصود عندنا الآن(الاهتمام باللغات الشّرقيّة: العربيّة والفارسيّة والتّركيّة خاصّة)"[2].

2-9- القرن الثّامن عشر الميلادي:

كما نجد قسما آخر يرجع بداية الاستشراق الفعليّة إلى القرن الثّامن عشر، وذلك نظرًا إلى اعتماد مصطلح الاستشراق وإدخاله في قواميس اللغة في النّصف الثّاني من ذلك القرن، وبالنّظر إلى بداية استعمار العالم الإسلامي من طرف البلدان الأوربيّة حيث توسّعت دائرة الاستشراق، وبدأ الكثير من مستشرقي الغرب "يغيرون على المخطوطات العربيّة في البلاد العربيّة والإسلاميّة، فيشترونها من أصحابها الجهلة، أو يسرقونها من المكتبات العامّة التي كانت في نهاية الفوضى وينقلونها إلى بلادهم

[1] – محمّد حسن زمّاني: الاستشراق تاريخه ومراحله، مجلّة دراسات استشراقية،المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد الأوّل، العراق، صيف 2014م، ص184.

[2] – عمر فرّوخ: المستشرقون مالهم وما عليهم، مجلّة الاستشراق، دار الشّؤون الثّقافية العامة، العدد1، العراق، كانون الثّاني1987م، ص54.

ومكتباتهم"[1]، واستمرّ الحال كذلك حتّى قيل أن تلك المخطوطات قد بلغت في أوائل القرن التّاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلّد.

فهذه بعض الآراء التي تحدّثت عن بداية الحركة الاستشراقية، وكل رأي له ما يدعّمه ويسنده ونحن من جانبنا نميل إلى ما يراه بعض الباحثين في أنّ الاستشراق إنّما نشأ في القرن الرّابع عشر الميلادي، حيث اكتسى الاستشراق صبغة رسمية، ونظرًا كذلك للتّحول الذي طرأ على أسلوب التّفكير الأوربي من خلال نقلهم لساحة الصراع مع المسلمين من جانب عسكري صدامي لم يؤتِ أُكله إلى جانب فكري يعتمد على محاولة فهم الآخر، أما ما قبل هذا التّاريخ فنرى أنّه يدخل في باب الإرهاصات والبدايات الأولى للحركة الاستشراقيّة، وأما ما بعده فيندرج في باب تعميق الفكرة ونضجها.

3- دوافع الاستشراق:

تباينت الدوافع والأهداف التي أدّت بالمستشرقين إلى خوض غمار الدراسات الإسلامية والبحث في مكنوناتها وأسرارها، وتسليط الضّوء على كل صغيرة وكبيرة فيها، فنجد الدافع الدّيني التّبشيري، كما نجد الدّافع الاستعماري التّوسّعي، بالإضافة إلى الدافع الاقتصادي، ويضاف إليها أيضا الدّافع العلمي عند بعض المستشرقين الذين تجرّدوا من ذاتيتهم وآثروا البحث عن الحقيقة بعيدا عن الصّراعات الدّينية، ولذلك فقد جاءت أبحاثهم أمثل من أبحاث غيرهم، وسنتطرق فيما يلي إلى هذه الدّوافع بشيء من التّفصيل:

3-1- الدافع الديني:

لاشكّ أنّ الدافع الأبرز من دوافع الاستشراق هو الدافع الديني، ولعلّ خير دليل على ذلك هو أنّ الاستشراق قد نشأ من رحم الكنيسة، وقام في بداياته الأولى على كاهل الرهبان والقساوسة، فقد توجهوا إلى الأندلس، واغترفوا من علومها، ودرسوا على أيدي علمائها، فنجد من أوائل الذين قصدوها الراهب الفرنسي جربر دي أورالياك Jerbert de Oraliac ، فقد تعلم فيها العربية والرياضيات والفلك، وبعد عودته

[1] – عمر عودة الخطيب: لمحات في الثّقافة الإسلاميّة، ط3، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1989م، ص188.

أصبح أول بابا فرنسي وتسمّى باسم سلفستر الثاني، كما نجد من بينهم أيضا الرّاهب بطرس المبجل Venerable Peter ، وهو رئيس الدير المعروف في مدينة كلوني، وقد تمت تحت إشرافه أول ترجمة للقرآن الكريم من اللغة العربية إلى اللاتينية سنة ألفٍ ومائةٍ وثلاثةٍ وأربعين ميلاديّة (1143م).

وقد كانت هذه الهبّة من طرفهم لمحاولة فهم هذا الدّين الذي قوّض أركان العقيدة المسيحيّة، وأتى على بنيانها من القواعد، فهو منذ البداية "يهاجم معتقدات النّصارى ويفنّدها، ويقرّر زيفها وبطلانها بالأدلّة الدّامغة مثل التثّليث وبنوّة المسيح والصّلب والفداء، فأدركوا أنّ الإسلام يمثّل تهديدًا حقيقيا للنّصرانيّة التي غزاها في عقر دارها، وأقام سدًّا منيعًا في وجه انتشارها، وهبّوا يكتبون عن الإسلام بروح متعصّبة وقلوب حاقدة"[1]، ولذلك فقد كان هدف أولئك الرهبان والمبشرين منذ البداية "أن يطعنوا في الإسلام ويشوهوا محاسنه ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أنّ الإسلام- وقد كان يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين-دين لا يستحق الانتشار...وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلاميّة الأولى ثمّ الحروب الصّليبيّة ثمّ الفتوحات العثمانيّة في أوربّا بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف من قوّة الإسلام وكره لأهله"[2].

ويجمع الكثير من الدّارسين والمهتمّين – من العرب والغربيين- بظاهرة الاستشراق على أنّ الدّافع الدّيني كان على رأس الدّوافع الأخرى، بل نجده دائما مصاحبًا لها، فنجد مثلا **محمّد البهي** يصرّح بأنّ "السّبب الرّئيس المباشر الذي دعا الأوربيين إلى الاستشراق هو سبب ديني في الدّرجة الأولى، فقد تركت الحرب الصّليبيّة في نفوس الأوربيين ما تركت من آثار مرّة عميقة وجاءت حركة الإصلاح الدّيني المسيحي فشعر المسيحيون-بروتستانت وكاثوليك- بحاجات ضاغطة لإعادة النّظر في شروح كتبهم

[1] – إسماعيل علي محمّد: الاستشراق بين الحقيقة والتّضليل، ط3، دار الكلمة، القاهرة، 2000م، ص28.

[2]– مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)، دط، دار الوراق، ص20.

الدّينيّة ولمحاولة تفهّمها على أساس التّطوّرات الجديدة التي تمخّضت عنها حركة الإصلاح، ومن هنا اتّجهوا إلى الدّراسات العبرانيّة وهذه أدّت بهم إلى الدّراسات العربيّة فالإسلاميّة"[1].

ولذلك فقد عكست كتابات كثير من المستشرقين في فترة القرون الوسطى–ووصولا إلى العصر الحديث– النّظرة الكنسيّة اتجاه الإسلام والمسلمين، فطفقوا يشوّهون كلّ ما له علاقة بالدّين الإسلامي وجاءت كتاباتهم طافحة بكثير من الأكاذيب والمغالطات، ولم يسلم من هذا التّلفيق كبار المستشرقين الذين لهم باع طويل في الدّراسات الاسلامية، والذين قدّموا – من جهة أخرى– خدمات لا يمكن طمسها وإنكارها في نفض الغبار عن كثير من الذّخائر الإسلامية، ولكنّهم للأسف يحافظون على موضوعيتهم ومنهجهم العلمي في غير الموضوعات الإسلامية، ولكن إذا تعلّق الأمر بالدّين الإسلامي شالتْ كفّتا الميزان واستيقظت داخلهم أحقاد الكنيسة ضدّ المسلمين، ويعلّق أحد الباحثين على هذا بقوله أنّه "قد لا تتقبل أوربة تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية، ولكنّها تحتفظ دائما فيما يتعلّق بهذين المذهبين بموقف عقلي متّزن ومبنيّ على التّفكير، إلّا أنها حالما تتّجه إلى الإسلام يختلّ التّوازن، ويأخذ الميل العاطفي في التّسرّب"[2].

وممّا يؤسفُ له أنّه رغم التّطور العلمي الذي حصل في بلاد الغرب خلال العصر الحديث والصّراع المرير الذي حصل بين العلم والكنيسة إلّا أنّ المستشرقين لم يتخلّوا عن عصبية القرون الوسطى، بل نجدهم يردّدون ما قاله أسلافهم من قبل، وهذا باعتراف الغربيين أنفسهم، فنجد مستشرقًا **كبرنارد لويس** Bernard Lewis يعترف أنّ المستشرقين في العصر الحديث لم يوفّقوا في التّخلي عن نزعتهم الدّينية التي ورثوها عن المستشرقين في القرون الوسطى عند معالجتهم لمختلف القضايا الإسلاميّة حيث يقرّ بأنّه "لا تزال آثار التّعصّب الدّيني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين

[1] – محمّد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص430، نقلا عن علي بن إبراهيم النملة: كنه الاستشراق، مرجع سابق، ص63.

[2] – محمّد أسد: الإسلام على مفترق الطّرق، تر: عمر فرّوخ، د ط، دار العلم للملايين، ص55–56.

ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلميّة"[1]، ونفس الموقف نجده عند **مونتجمري وات** Montgomery Watt حيث يقول "إنّ الأوربيين في عصر النّهضة كان لا يزال لديهم إحساس بالنّقص بالنّسبة للمسلمين، ولذلك عمد مفكروهم إلى تشويه حقائق الإسلام، فعرضوا الإسلام وتاريخ المسلمين في صورة منفّرة"[2].

ولذلك أيضًا فالمتأمّل لكتابات المؤلفين والمؤرّخين الغربيّين منذ القرون الوسطى إلى العصر الحديث يقف على كمّ التّحامل والحقد الدّفين في قلوبهم ضدّ الإسلام والمسلمين، فقد هاجموا كلّ ما له صلة بالإسلام، فكتبوا عن الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، واجترّوا مختلف المزاعم التي ردّدها أهل الجاهلية قبلهم، ثمّ زادوا عليها بأنْ اعتبروه راهبًا أو كارديناالا منشقًّا عن الكنيسة، كما أنكروا ظاهرة الوحي واعتبروه صادرا عن نفس النبيّ عليه الصلاة والسّلام، وكأنّ الله لم يبعث رسلًا قبله، كما اعتبروا القرآن مجرّد هرطقة، مستمدًّا من اليهودية والمسيحية، كما شكّكوا في أصالة الفقه الإسلامي واعتبروه مقتبسًا من القانون الرّوماني، ويضاف إلى هذا أنّ الحديث الشّريف–في رأيهم– قد وضع في القرون التي تلت وفاة النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، كما نجدهم قد كتبوا أيضا في التّاريخ والتّصوف والصّراعات التي نشأت بين الفرق الإسلامية.

وبإمكاننا اليوم أيضا –ونحن في القرن الواحد والعشرين– أنْ نقول أنّ عملية تشويه الإسلام مازالت مستمرة، خاصّة بعد المحاولات الحثيثة للقوى الغربية في الرّبط بينه وبين ظاهرة الإرهاب، وكذا مساهمتها في وصول بعض الجماعات المتطرفة إلى الحكم، والتي أضرّت بالإسلام أكثر من نفعه، كما أطلقوا العنان لعملائهم وأقلامهم المأجورة داخل البلاد الإسلامية وخارجها لمهاجمة الإسلام سرًّا وعلانية والادعاء بأنّه السبب وراء تخلف البلاد الإسلاميّة، فكلّ هذا ساعد على" زيادة التّعصّب ضدّ الإسلام

[1] – محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفيّة الفكريّة للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص76.

[2] –عبد المتعال محمّد الجبري: الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، مرجع سابق، ص219.

والمسلمين (الإسلاموفوبيا)، ممّا نتج عنه شكّ واسع بالمسلمين، وجرائم الكره، والاعتقاد أنّ الإسلام ذاته وليس فقط المسلمون المتطرّفون يشكّلون تهديدا عليهم"[1]، ولذلك فقد كانت حربهم منذ البداية ولا تزال هي مع الدّين الإسلامي، وحماية الأوربيين من الانبهار به، وكذا تشكيك المسلمين في دينهم فينبذوه ويرتموا في أحضان الغرب على كلّ علّاته.

3-2- دوافع استعمارية:

لم تنقطع آمال الغربيين بعد الحروب الصّليبيّة في الاستيلاء على العالم الإسلامي وامتلاك خيراته، لذلك لم يهدأ لهم بال حتّى طردوا المسلمين من الأندلس، وبقوا يتحيّنون الفرص حتّى تجلّى لهم ضعف الدولة العثمانية وعدم قدرتها على حماية ولاياتها، وهناك وجد الغرب فرصته التي لطالما انتظرها لاحتلال البلاد الإسلامية، فعاث الاستعمار الفرنسي والانجليزي في الأرض الإسلامية فسادا، وبطبيعة الحال فقد كان الاستعمار في حاجة ماسّة إلى معرفة هذه الشّعوب الشّرقية وكيفية التّعامل معها، ولذلك فقد وجد "في المستشرقين قوالب جاهزة ذات علاقة قويّة بالشّرق، وعلى دراية كافية بالكثير من المعلومات التي تمهّد لحركة الاستعمار، ومن هنا تمّ التّلاحم بين الاستشراق والاستعمار، ودخل المستشرقون في مرحلة جديدة هي المرحلة الاستعماريّة"[2].

وقد قدّم المستشرقون خدمات جليلة للاستعمار، ممثّلة في دراساتهم التي قاموا بها لسنوات طويلة في بلاد الشرق من دراسة لأحوال الشعوب الشرقية، ونمط معيشتها، وكذلك رسم الخرائط وغيرها، وفي المقابل كانوا يتلقون الأموال من الاستعمار، كما سهل لهم التحرك في البلاد الشرقية، ولذلك فقد كانت

[1] – جون اسبوزيتو: مستقبل الإسلام، تر: دار النّشر للجامعات، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2011، ص31.

[2] – محمد فتح الله الزّيادي: الاستشراق أهدافه ووسائله، ط1، دار ابن قتيبة، 1998م، ص39.

المنفعة متبادلة بين الاستعمار والاستشراق، وقد "انساق في هذا التّيار عدد من المستشرقين ارتضوا لأنفسهم أن يكون علمهم وسيلة لإذلال المسلمين وإضعاف شأن الإسلام وقيمه"[1].

ويضاف إلى هذا أنّ العديد من المستشرقين كانوا مستشارين في وزارة المستعمرات في جيوش بلادهم، وكمثال على ذلك **سلفستر دي ساسي** Silvestre de Sacy **ولويس ماسينيون** Louis Massignon مع فرنسا، و**سنوك هرخرونيه** Snouck Hurgronje مع هولندا، و**جيب** Gibb hamilton و**غيوم** Alfred Guillaume مع إنجلترا، و**نولدكه** Theodor Nöldeke مع ألمانيا وأمثالهم كثير، ومن هنا "فدور المستشرق كما يراه إدوارد سعيد يظهر في أن خبرة المستشرق وضعت في خدمة الاستعمار لأنه في اللحظة الحرجة، حين يجب على المستشرق أن يقرر بين ولائه وميوله للشرق وبين ولائه للمستعمر، فإنّه غالبا يختار الأخير على الأول، ومنذ عصر نابليون إلى الآن لم يتغير الأمر"[2].

ولايزال الدّافع الاستعماري بارزًا بشكل واضح في عصرنا الحاليّ حتى وإنْ لبسَ ثوب السّياسة فعلى الرّغم من حصول الدّول العربية والإسلامية على استقلالها، إلّا أنّ العديد من الدّول الغربيّة مازالت تثير القلاقل في هذه الدّول وتستأثر بخيراتها، وتسعى جاهدة للتّفرقة بين شعوبها عن طريق إحياء القوميات القديمة والنفخ في النّعرات الطّائفية والقبلية، مستعينة في ذلك بمستشاريها وسفرائها وقناصلها وعملائها في تلك الدّول المغلوبة على أمرها، فهم" يبثّون الدّسائس للتفرقة بين الدّول العربيّة بعضها مع بعض، وبين الدّول العربيّة والدّول الإسلاميّة، بحجّة توجيه النّصح وإسداء المعونة بعد أنْ درسوا تمامًا نفسيّة كثير من المسؤولين في تلك البلاد، وعرفوا نواحي الضّعف في سياستهم العامّة، كما عرفوا الاتّجاهات الشّعبيّة الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم"[3].

[1] – محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفيّة الفكريّة للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص44.

[2] – قاسم السامرائي: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، ط1، دار الرفاعي للنشر والتوزيع والطباعة، 1983م، ص 1.

[3] – عمر عودة الخطيب، لمحات في الثّقافة الإسلاميّة، مرجع سابق، ص197.

كما ساهموا بشكل كبير في تمويل الانقلابات العسكرية في الدّول الإسلامية وحرصوا على تولية من يواليهم ويخدم أجنداتهم، ولذلك فقد نجحوا بشكل كبير في زعزعة استقرار الكثير من الدّول وإبقائها تابعة لهم بطريقة أو بأخرى.

ولكنْ لعلّه من الإنصاف أيضًا أنْ لا يكون حكمنا عامًّا على الاستشراق لمجرّد أنّ فريقا من المستشرقين اختاروا الانضمام إلى الاستعمار لتحقيق أهدافهم وأطماعهم، فعلى الجانب الآخر يوجد أيضا مستشرقون آثروا البحث عن الحقيقة وفضّلوا شظف العيش على كل المزايا التي يقدّمها الاستعمار والكنيسة من ورائه، ولعلّ هذا ما دفع أحد المستشرقين إلى إبداء امتعاضه ممّن يصنّف كلّ المستشرقين في خانة واحدة فيقول إنّه "لا ينبغي أنْ نرى في كلّ أعمال الاستشراق مناورات سياسيّة وعدوانًا على البلاد، نعم هناك أشياء تستحقّ أنْ تهاجمَ، لكنْ أنْ تهاجم على طول الخط، فهذا شيء آخر، وأعتقدُ أنّه خطأ كبير"[1]، وربّما يكون في كلامه بعض الصّحة، فلا ينبغي وضع المستشرقين في سلّة واحدة وجعلهم لفْقًا واحدًا، فكلّ حسب دوافعه والأهداف التي ينشدها، ولا تزر وازرة وزر أخرى كما جاء في ديننا الإسلامي الحنيف.

3-3- الدافع الاقتصادي:

كذلك نجد من بين دوافع الحركة الاستشراقية الدافع الاقتصادي، وهو يتداخل مع الدّوافع الأخرى حيث حرّكت الثروات التي تتمتع بها البلاد العربية والإسلامية -ولا تزال- أطماع الدّول الغربية منذ القديم فسعت بشتّى الطرق إلى الاستحواذ عليها، وإيجاد موطئ قدم لها في هذه الدّول، خاصّة مع التّخلف الذي تعاني منه هذه الأخيرة، وقد ساعدها المستشرقون في ذلك منذ البداية، فازدهرت "الدّراسات الجغرافية

[1] – أحمد الشّيخ: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب حوار الاستشراق، ط1، المركز العربي للدراسات الغربية، يناير 1999، ص42.

ومحاولات الاستكشاف، وكانت الدّراسات الثّقافية والاجتماعيّة وغيرها من الدّراسات التي دفعت إليها الحاجة لاستغلال الموارد الطّبيعيّة لهذه البقعة من العالم"[1].

كما أنّ العديد من المستشرقين قد دخل "ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرّزق عندما ضاقت بهم سبل العيش العاديّة"[2]، ويضاف إلى هذا أنّ تلك الدول الأوربية قد رغبت في مدّ مصانعها بالمواد الخام، وكذا تسويق منتجاتها، فكان لابد من التعرف على البلاد التي تمتلك الثروات الطبيعية ويمكن أن تكون لبضائعها أسواقا مفتوحة، فكان" الشرق الإسلامي، والدول الإفريقية والآسيوية هي الهدف"[3].

ولذلك يعمد المستشرقون مع الاستعمار– على حد تعبير **مصطفى السباعي**– إلى قتل الصناعات المحلّية التي كانت لها مصانع مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين، وبالتالي بقاء هذه البلدان تابعة لهم وهو ما نلاحظه اليوم للأسف في كثير من البلاد الإسلامية التي بقيت تابعة للغرب في أبسط متطلباتها اليومية، وعليه فإنّه من العار على الأمّة العربية "أنْ تعجز عنْ الانتفاع بمنابع ثروتها وقوّتها وأنْ يجري ماء الحياة في عروقها وشرايينها إلى أجسام غيرها، وأنْ يدرّب جيوشها وكلاء الغرب وضبّاطه ويدير بعض مصالح حكوماتها رجاله، فلابد للعالم العربي أنْ يقوم هو نفسه بحاجاته: تنظيم التّجارة والماليّة، وحركة التّوريد والتّصدير، والصّناعة الوطنيّة"[4].

لقد أطلق الغرب على البلدان التي يسيطر على خيراتها بطرق مباشرة أو غير مباشرة اسم البلدان النامية أو السائرة في طريق النّمو، وكما يقول روجيه جارودي فقد" لعبت لغة المصطلحات دورها في تسويغ كذبة مزدوجة ‹‹دولة نامية›› في المجال الاقتصادي لا تعني دولة متخلفة أو متأخّرة في التطوّر

[1] – علي بن إبراهيم النّملة: كنه الاستشراق، مرجع سابق، ص69.

[2] – محمّد البهي: الفكر الإسلامي الحديث، ص430، نقلا عن عبد المنعم فؤاد: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض،2001، ص31.

[3] – مازن المطبقاني: الاستشراق، دط، دت، ص10.

[4] – أبو الحسن النّدوي: الخطر الأكبر على العالم العربي، ط1، دار الصّحوة، القاهرة، 1994م، ص68.

التاريخي، ولكنّها تعني تبعية استعمارية تعوقُ فرص التّنمية الذاتية، وتكرّس الاقتصاد المحلّي لخدمة الاقتصاد الأقوى"[1].

ولذلك ينبغي على العالم العربي والإسلامي إذا أراد أنْ يجد له مكانًا بين القوى التي تموج بها السّاحة العالمية اليوم أنْ يعود أوّلا إلى العقيدة الإسلامية الصّحيحة، ويرتشف من معينها كلّ ما يساعده على النّهوض من سباته، ثمّ يعمل على الوحدة والتّكتّل كما فعلت الدّول الغربية، ثمّ يسعى بعد ذلك للحصول على استقلاله الكامل عن الدّول الغربية.

3-4- الدافع العلمي:

إلى جانب الدوافع السّابقة للاستشراق نجد أيضا الدافع العلمي عند بعض المستشرقين، وهم الذين دخلوا إلى هذا المجال، فحاولوا دراسة الدين الإسلامي دراسة موضوعيّة، بعيدًا عن النّظرة الكنسيّة، وبعيدًا عن الفرضيات المسبقة التي تهاجمه ثمّ تسعى إلى إيجاد دليل مهما كان تافها لتأييد حكمها.

كما كان دافع بعضهمْ هو حبّ الاستطلاع والرغبة في التعرف على علوم الشرق وخباياه والملاحظ أنّ هذا الصّنف من المستشرقين قليل جدًا مقارنة بغيرهم، وفي هذا يقول **عمر فروخ** إنّ" الذين انطلقوا من إعجاب خالص لمعرفة أدب العرب خاصة، وفلسفة العرب وعلوم العرب فهم قليلون إذا نحن قسناهم بالذين رغبوا في الاستشراق اندفاعا في أهدافهم السياسية والدينية"[2].

ويمكننا أنْ نرجع قلّتهم أيضًا إلى نقص الحوافز المادّية والعائد المالي الذي تدّره عليهم كتبهم وبحوثهم، لدرجة أنّ بعضهم لا يجدُ حتّى دور النّشر التي تطبع كتبه، ويمكن أنْ نضيف أيضًا أنّ" أبحاثهم المجرّدة عن الهوى الجانح لا تلقى رواجًا، لا عند رجال الدّين، ولا عند رجال السّياسة، ولا عند

[1] – روجيه جارودي: حفّارو القبور الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، تر: عزّة صبحي، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2002م، ص17.

[2] – ميشال جحا، موقف الدكتور عمر فروخ من الاستشراق والمستشرقين، مجلة الاستشراق، دار الشّؤون الثقافية العامة، العدد 4، بغداد، 1990، ص84.

عامّة الباحثين الغربيين، بل كثيرًا ما يتعرّضُ هؤلاء لمضايقات ومقاومات شديدة، من قبل رجال الدّين ورجال السّياسة في بلدانهم "[1]، ولذلك فلمْ يحظ هؤلاء المستشرقون بالاهتمام الذي حظي به نظراؤهم المتعصّبون لآراء الكنيسة أو الذين سعوا منذ البداية إلى تحقيق مكاسب شخصية على حساب الحقائق العلمية.

وقد اتسمت كتابات هؤلاء المستشرقين بالإنصاف إلى حد كبير رغم بعض الأخطاء التي وقعوا فيها نتيجة عدم تمكّنهم من اللغة العربيّة بشكل كافٍ من جهة، وعدم تعمّقهم في معرفة الإسلام من جهة أخرى، ونجد من بين هؤلاء المستشرقين على سبيل المثال لا الحصر:

روجيه غارودي Roger Garaudy: مستشرق فرنسي كتب عدّة كتب في الدّفاع عن الإسلام والمسلمين، وقد هداه الله سبحانه وتعالى إلى اعتناق الدّين الإسلامي، وعانى من التّضييق عليه حتّى وافاه أجله، وذلك نتيجة لمواقفه الدّاعمة للقضيّة الفلسطينيّة، وانتقاده لسياسة الكيان الصّهيوني.

محمد أسد Weiss Leopold: مستشرق نمساوي درس الإسلام وقارن بينه وبين المادّية الغربية المتوحّشة، وتوصّل إلى "أنّ العصر العلمي الحديث لمْ يُدشّنْ في مدن أوربة النّصرانيّة، ولكن في المراكز الإسلاميّة في دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة"[2]، كما انتقد الكتابات الاستشراقية المتحاملة على الإسلام، ورأى أنّ جذور العداء الغربي للإسلام تعود إلى فترة الحروب الصّليبية، وما خلّفته من أحقاد في نفوس الأوربيين.

كما نجد من بين هؤلاء أيضًا: **موروريس بوكاي Maurice Bucaille**، **إتيان دينيه** -**Alphonse Étienne Dinet**، **لورافيشيا فاغليري Laura Veccia Vaglieri** ، **زيغريد هونكه Sigrid Hunke** وغيرهم كثير.

[1] – عبد الرّحمان حسن حبنكة الميداني: أجنحة المكر الثّلاثة وخوافيها، ط8، دار القلم، دمشق، 2000م، ص132.
[2] – محمّد أسد: الإسلام على مفترق الطّرق، مرجع سابق، ص45.

وتبقى هذه الفئة من المستشرقين قليلة مقارنة بالفئات الأخرى، ولذلك يمكننا التّسليم برأي **عبد الرّحيم الزّيني** الذي جعل الدافع العلمي – عند هده الطّائفة– مهيمنًا على الدّوافع الأخرى حيث يقول بأنّنا "لا نشكّ أنّ الهدف العلمي، والبحث الفلسفي، والرّغبة الجارفة في دراسة التّراث العربي الإسلامي، كان الدّافع الأوّل الذي ساق هؤلاء الغربيين لبذل الجهد وتحمّل المشاق ومكابدة السّفر في التّفتيش عن المخطوطات الإسلاميّة، والذّهاب وراءها في كلّ مكان يعتقدُ أنّها موجودة فيه"[1].

فهذه من وجهة نظرنا هي أهمّ الدوافع التي ارتكز عليها الاستشراق لخوض غمار الدراسات العربية والإسلامية.

4- وسائل المستشرقين:

لجأ المستشرقون إلى استعمال العديد من الطّرق والوسائل لتحقيق ما يصبون إليه، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

4-1- تأليف الكتب والمعاجم والموسوعات:

لقد كتب المستشرقون في كل ما له علاقة بالإسلام والمسلمين، فكتبوا عن القرآن الكريم والحديث الشريف والتصوف والشعر العربي والتاريخ الإسلامي واللغة العربية، فهناك "ما يقرب من 60,000 كتاب قد ألفت حول الشرق من قبل الغربيين في الفترة ما بين 1900إلى 1950م"[2]، وقد اتسمت كتاباتهم عن الإسلام بتشويه الحقائق والتعصب وعدم الموضوعية، نتيجة للخلفية الدينية المسيحية أو اليهودية التي انطلق منها الكثير منهم، بالإضافة إلى جهل أغلبهم باللغة العربية، إلا أن هذا لا ينفي أن نجد بعض الكتابات التي يمكن أن تدرج في خانة الكتابات العلمية المنصفة، وهي التي ابتعدت عن الجانب الديني وقد استفاد منها الباحثون العرب كثيرا ككتاب تاريخ الأدب العربي **لبروكلمان** Carl Brocklmann ، وتاريخ الأدب العربي **لهامر بروجشتال** Purgstall Hammer وتاريخ التراث الإسلامي **لفؤاد سزكين**.

---

[1] – محمد عبد الرحيم الزّيني: الاستشراق والمستشرقون رؤية موضوعية، ط1، دار اليقين، مصر، 2013م، ص90-91.

[2] – إدوارد سعيد: الاستشراق، ص216، نقلا عن محمد فتح الله الزّيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، مرجع سابق، ص52.

أما في **مجال المعاجم** فقد قدم المستشرقون خدمات جليلة للأمّة الإسلامية، سواء بقصد أو عن غير قصد، ونذكر من بين تلك المعاجم، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الذي أشرف عليه مجموعة من المستشرقين تحت إشراف الهولندي **فنسنك** Arent Jan Wensinck، وكذلك معجم الهولندي **دوزي** Dozy Reinhart كما برع المستشرقون الألمان في هذا المجال، ومنهم **جورج فلهلم فرايتاج** Georg Wilhelm Freytag، **هانس فير** Hans Wehr، **أوغست فيشر** August Fischer وغيرهم.

وبالإضافة إلى المعاجم فقد ألّف المستشرقون **دائرة المعارف الإسلامية**، وقد صدرت بثلاث لغات، وعلى الرغم من اختلاف الكثير من الباحثين معها إلا أنها لعدم وجود البديل الإسلامي "تعتبر مرجعا هاما لكثير من مثقفي الأمة العربية والإسلامية حتى هذه الساعة"[1].

4-2- المجلات الاستشراقية:

كانت هذه المجلات هي لسان حال الجمعيات الاستشراقية، فقد "نشطت هذه الجمعيات وغيرها في إصدار المجلات والدوريات بأعداد هائلة ومتنوعة، بلغت ما يزيد على ثلاثمائة مجلة بمختلف اللغات"[2]، ونذكر منها:

- مجلة العالم الإسلامي: وقد تم أنشاؤها من طرف **صمويل زويمر** Samuel Zwemer سنة ألف وتسعمائة وأحد عشر للميلاد"1911م" وتعتبر من أخطر المجلات الاستشراقية، و" تصدر الآن من هارتفورد بأمريكا...وطابع هذه المجلة تبشيري سافر"[3].

- مجلة العالم الإسلامي الفرنسية سنة 1906م.

- مجلة الجمعية الآسيوية الملكية بلندن، نشأت سنة 1823م.

---

[1] – محمد فتح الله الزيادي: ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، ط1، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1392هـ-1983م، ص101.

[2] – عبد المنعم فؤاد: من افتراءات المستشرقين، مرجع سابق، ص37.

[3] – مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، مرجع سابق، ص38.

- مجلة المستشرقين الألمان: أنشئت سنة 1847م.

- مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية، أنشئت سنة 1842م.

4-3- تأسيس المدارس و الكليات والجامعات في البلاد الإسلامية:

توجد جامعات أمريكية في كل من مصر وتركيا وبيروت حيث يدرس أبناء المسلمين في هذه الجامعات وفق المناهج الغربية، وبذلك يتم " تخريج أجيال منسلخة من إسلامها، ومستعدة لتقبل المذاهب الفكرية المعاصرة الوافدة، ولكل ما يلقى إليها من أفكار ومبادئ"[1].

4-4- عقد المؤتمرات:

بدأ عقد هذه المؤتمرات سنة 1873م، ولا يزال مستمرا إلى الآن، وهي فرصة للقاء بين المستشرقين الأوربيين، وتبادل المعلومات، كما يدعى إلى هذه المؤتمرات بعض العلماء العرب كضيوف شرف، وفيها "يلتقي متخصّصون وخبراء وفنانون وباحثون يتدارسون موضوعا من الموضوعات الاستشراقية أو أكثر، كما أنّ هذه المؤتمرات حاكمة على الماضي ومنظّرة للمستقبل، وبالتالي فإنّ لقاء مئات من الباحثين لابدّ أن يثمر"[2].

4-5- التدريس الجامعي وإلقاء المحاضرات:

وهي من أهم الوسائل لنشر الفكر الاستشراقي في عصرنا هذا، فقد أنشأت الجامعات الغربية العديد من الأقسام والمعاهد والكراسي للدراسات الشرقية، وهذه المعاهد هي التي يتوجه إليها الطلبة المبتعثون من البلاد الإسلامية، كما درّس الكثير من المستشرقين في الجامعات العربية بصفات منتظمة أو كأساتذة زائرين، و"نذكر منهم على سبيل المثال: بلتيه الذي درّس في كلية الحقوق بالجزائر وهوداس

---

[1]- عبد الرحمان حبنكة الميداني: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، مرجع سابق، ص135.

[2] - المحسن بن علي بن صالح سويسي: مؤتمرات المستشرقين العالمية نشأتها -تكوينها - أهدافها ،رسالة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1419هـ - 1998م، ص24.

الذي عين أستاذا للغة العربية في الجزائر، وهنري باسه الذي عين مديرا لمعهد الدراسات العليا في الرباط"[1].

4-6- المجامع العلمية:

حصل العديد من المستشرقين على عضوية المجامع اللغوية في البلاد العربية، وخاصة في سوريا، و "ربما كان عام 1938م وما بعده أعظم الأعوام في عدد الأعضاء، فقد بلغوا (114) عضوا ما بين عامل ومشرف، نصفهم أوربيون وأمريكيون، ولم يكن ذلك أقل في سنوات أخرى"[2]، وقد رأى **نذير حمدان** أنهم يشكلون نصف الأعضاء.

ومن بين المستشرقين الذين حصلوا على عضوية المجمع العلمي العربي بدمشق، نذكر **كارل بروكلمان** Carl Brocklmann "الألماني" و**جولد زيهر** Ignaz Goldziher "المجري" و**إغناطيوس جويدي** Guidi Ignazio "الإيطالي"، ونجد **جب** Gibb hamilton "الإنجليزي" في مجمع القاهرة، و **فيشر** Wolfdietrich Fischer "الألماني" في مجمع القاهرة، و**جيوم** Alfred Guillaume "الانجليزي" في مجمع بغداد، ولذلك فوجود المستشرقين في مجامعنا بهذه الكثرة يشكل خطرا على هويتنا الفكرية العربية والإسلامية.

ولعل هذا مادفع **فتح الله الزيادي** إلى التساؤل عن المسوغ لعضوية هؤلاء المستشرقين "هل هو ضلوعهم في اللغة العربية بصورة تفوق العرب أنفسهم؟ أو هو كثرة نتاجهم اللغوي المثمر الذي أفاد العرب وقراء العربية بالجديد الذي لم يكن قد اكتشف من قبل؟ أو هو التعلق بالغربي الفكري الجديد الذي أشار إليه طه حسين، ومحاولة الاستفادة منه في تحديث هذه المؤسسات؟ أو هو غزو فكري مباشر على أعلى المستويات قام به المستشرقون تحت وطأة إعجاب وانبهار الشرقيين بالغرب؟"[3].

---

[1]- محمد فتح الله الزيادي: الاستشراق أهدافه ووسائله، مرجع سابق، ص49.

[2]- نذير حمدان: مستشرقون(سياسيون جامعيون مجمعيون)، ط1، مكتبة الصديق، الطائف، 1408هـ-1988م، ص141.

[3] - محمد فتح الله الزيادي: الاستشراق أهدافه ووسائله، مرجع سابق، ص57.

فهذه كانت أبرز الوسائل والأساليب التي استخدمها المستشرقون للتّوغل إلى العالم الإسلامي الشرقي، ودراسة كل ما يتعلّق بالإسلام والمسلمين وطرح آرائهم وأفكارهم، وإيصالها إلى الملسمين والغربيين على حدّ سّواء.

المبحث الثّاني: مدارس الاستشراق وآثاره:

1- أهمّ المدارس الاستشراقية، وأبرز مستشرقيها:

1-1: المدرسة الفرنسيّة:

تعتبر المدرسة الفرنسيّة من أهمّ المدارس الاستشراقيّة، فقد جمعتها علاقات وطيدة بالشّرق العربي الإسلامي منذ القدم، فكانت هناك اتّصالات ومراسلات منذ العهد العبّاسي بين **الخليفة الرّشيد** من جهة وبين الحاكم الرّوماني **شارلمان** Charlemagne من جهة أخرى، كما كانت فرنسا المكان الذي انطلقت منه صيحات **البابا إيربان الثّاني** Pope Urban II معلنة بداية الحملات الصّليبيّة على الشّرق الإسلامي وبعد نهاية تلك الحملات المسعورة وفشلها فشلا ذريعا في تنصير المسلمين وطردهم من بيت المقدس اقتنعت فرنسا كغيرها من الدّول الأوربية بضرورة الانتقال إلى الحرب الفكرية على الإسلام والمسلمين فكانت من أوائل الدّول التي أرسلت مبتعثيها إلى الأندلس لدراسة العربيّة ومن ثمّ دراسة كل ما له علاقة بالدّين الإسلامي، وبعد عودتهم من الأندلس أنشئت في فرنسا مدارس لتعلم الثّقافة والعلوم العربيّة والإسلاميّة، وكان من أشهرها مدرستا "**ريمس وشارتر** Reims, Chartres "، وكذلك دعا **البابا كليمانت الخامس** Clément V سنة ألفٍ وثلاثمائةٍ واثني عشر "1312م" إلى إنشاء كراس للغات الشّرقية في عدد من الجامعات الأوربيّة من بينها جامعة باريس.

وكذلك ارتبطت فرنسا بالعالم العربي والإسلامي في العصر الحديث فقد استغلّت كبقية القوى الاستعمارية حالة الضعف والفراغ التي مرّ بها العالم العربيّ والإسلامي بعد ضعف الدّولة العثمانية واحتلّت المغرب العربي، وفرضت الانتداب على سوريا ولبنان، كما قاد **نابليون بونابرت** Napoléon

Bonaparte حملة لاحتلال مصر، ودائما ما كانت تسير في ركاب الجيوش الفرنسيّة مجموعة كبيرة من الباحثين والمستشرقين والمبشّرين لمساعدة بلادهم متى احتاجت إلى خدماتهم.

ولذلك فقد هيّأت تلك الظّروف للمستشرقين أن يحملوا إلى بلادهم العديد من المخطوطات والذّخائر العربية، وبغضّ النّظر عن الطّرق التي وصلت بها تلك المخطوطات إلى أيديهم فقد قام المستشرقون الفرنسيون بدراستها وتحقيقها وفهرستها وطباعتها، ثمّ إخراجها في أبهى حلّة.

وقد درس الاستشراق الفرنسي كلّ ما له علاقة بالإسلام والمسلمين، فكتبوا عن القرآن والسنّة الشّريفة والشّعر والأدب والتّاريخ الإسلامي والتّصوف، وتخصّص كل مستشرق منهم في مجال معيّن يعكف عليه حتّى يصبح مرجعا يعود إليه الدّارسون في ذلك الميدان، وقد نبغ كثير من المستشرقين الفرنسيين في ميدان الاستشراق، وجعلوا فرنسا قبلة للمستشرقين الأوربيين ومن بينهم[1]:

- البارون دي ساسي Silvestre de Sacy (1758-1838)

ولد سلفستر دي ساسي بضواحي باريس، درس العربيّة والعبريّة والفارسيّة والتّركية، وقد كان يتقن أيضا اللغات اللاتينيّة والألمانيّة والإسبانيّة والإيطاليّة والانجليزيّة، عمل أستاذا بمدرسة اللغات الشّرقيّة ثمّ مديرا لها سنة 1833م، يعتبر أحد أشهر المستشرقين الأوربيين في عصره حيث كان المستشرقون يقصدونه من كلّ حدب وصوب. **من آثاره:** تحقيق وطبع مقامات الحريري لأوّل مرّة على نفقته الخاصّة تحقيق كتاب كليلة ودمنة 1816م، تحقيق كتاب الإفادة والاعتبار بما في مصر من الآثار، وغير ذلك الكثير من التّحقيقات والمؤلفات والمقالات التي أغنى بها المكتبة الاستشراقيّة.

- ليفي بروفنسال Évariste Lévi-Provençal (1894-1956)

ولد بروفنسال بالجزائر العاصمة سنة 1894م، تلقّى تعليمه الأوّلي بقسنطينة، ثمّ عاد إلى مسقط رأسه والتحق بكلّية الآداب، نال شهادة الليسانس سنة1913م، عمل أستاذا في معهد الدّراسات العليا

[1] – ينظر: نجيب العقيقي : المستشرقون، ط5، دار المعارف، القاهرة، ج1 "بتصرف"/ عبد الرحمان بدوي : موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، يوليو 1993 "بتصرف".

المغربيّة سنة1920م، ثمّ مديرا له لمدة عشر سنوات1925-1935م. تخصّص ليفي بروفنسال في الكتابة عن الأندلس، وعدّ بمثابة مرجع للمستشرقين الآخرين. **من مؤلفاته:** تاريخ إسبانيا المسلمة، إسبانيا المسلمة في القرن العاشر الميلادي، نظرة عامّة عن الحضارة العربيّة بإسبانيا، ومن المؤلفات التي أشرف على تحقيقها ونشرها: كتاب مجموعة رسائل موحّديّة، كتاب صلة الصّلة (القسم الأخير) لأبي جعفر أحمد بن الزّبير، البيان المعرب لابن عذارى المرّاكشي، وغير ذلك من نفس المخطوطات العربيّة.

- لويس ماسينيون Louis Massignon (1883-1962)

ولد لويس ماسينيون بضواحي باريس سنة 1838م، تتلمذ على يد جولد زيهر وسنوك هرخرونيه وآسين بلاثيوس ولي شاتيليه، حصل على ليسانس الآداب سنة1902م، وعلى دبلوم الدّراسات العليا سنة1904م، قضى حياته متنقّلا بين عدد من الجامعات في فرنسا والجزائر والقاهرة ولبنان وسوريا تخصّص ماسينيون في مجال التّصوّف حيث كانت رسالته للدكتوراه عن الحلّاج، انتخب عضوا في عدد من المجامع اللغويّة، من آثاره: آلام الحلّاج شهيد التّصوف في الإسلام وهي رسالته للدّكتوراه.

1-2- المدرسة الإنجليزيّة:

بدأ اتّصال انجلترا بالشّرق في وقت مبكّر أيضا فقد قصد مجموعة من العلماء والرّهبان الأندلس إبّان عظمتها، فتعلّموا اللغة العربيّة، وتتلمذوا على أيدي المسلمين في مختلف العلوم، ومن بين أولئك العلماء والرّهبان **أدلرد أوف باث** Adelard of Bath، **وروبرت أوف تشستر** Robert of Chester ، **ودانييل أوف مورلي** Daniel of Morley ، **روجر بيكون** Roger Bacon ، **ميخائيل سكوت** Michael Scotus وغيرهم كثير، وكانت لهم العديد من المؤلفات والتّرجمات للذّخائر العربيّة.

وقد زادت معرفة انجلترا أكثر بالشّرق الإسلامي بعد مشاركتها في الحروب الصّليبيّة، وبعد نهايتها احتضنت جامعة أكسفورد أول كرسي لدراسة اللغات الشّرقيّة، وقد "أسفرت تلك الدّراسات عن تحديد تاريخ الجنس البشري، وتقويم تراثه، وللعربيّة قسط واف تجدّدت بفضله الصّلات الاقتصاديّة

والسّياسيّة بين انجلترا والشّرق الأدنى على الرّغم من الحرب الأهليّة في القرن السّابع عشر"[1]، بعد ذلك بدأت اللغة العربيّة في الانتشار أكثر في أغلب الجامعات الانجليزيّة، وأضيفت كراس أخرى للغة العربية في جامعات كمبريدج ولندن وبكنغهام.

كما قويت الصّلة أكثر بين انجلترا والشّرق الإسلامي في العصر الحديث، فقد ركبت انجلترا موجة الاستعمار الغربي للبلاد الإسلاميّة ففرضت الحماية على الهند والانتداب على فلسطين، ونشط المستشرقون البريطانيون في ظلّ تلك الظّروف مدفوعين بعوامل شتّى، فاستولوا بدهائهم على الكثير من المخطوطات العربيّة التي كان أهلها يرزحون تحت نير العبوديّة والتّخلّف، ونقلوها إلى بلدانهم وقاموا بنفض الغبار عنها وفهرستها وتحقيقها وطباعتها، وقد ركّزوا نشاطهم على كلّ العلوم والآداب والفنون وهذا "خلا الذين نشطوا للتّنقيب عن الآثار وحلّ رموزها ووصف رحلاتهم فجلّوا كثيرا من بلاد العرب وتراثها الحديث للعالم"[2].

ومن بين المستشرقين البريطانيين الذين برزوا في ميدان الدّراسات الاستشراقيّة[3]:

- صموئيل مرجليوث Samuel Margoliouth (1858-1940)

ولد سنة 1858م، وبدأ حياته بدراسة اليونانيّة واللاتينيّة، ثمّ شرع في دراسة اللغة العربيّة ،اشتغل بالتّدريس في جامعة أكسفورد منذ سنة 1889م، كما انتخب عضوا بعدّة مجامع لغوية غربية وعربيّة.

يعتبر مرجليوث من أشدّ المستشرقين البريطانيين المتعصبين ضدّ الإسلام. **من آثاره:** نشر عدد من كتب التّراث العربي كمعجم الأدباء لياقوت الحموي، ورسائل أبي العلاء، وله كتاب أصول الشّعر العربي الذي تأثّر به طه حسين في كتابه" في الشّعر الجاهلي".

- هاملتون جب Hamilton Gibb (1895-1971)

---

[1] - نجيب العقيقي: المستشرقون: ط5، دار المعارف، القاهرة، ج2، ص8.

[2] - نجيب العقيقي، المستشرقون: ج2، مرجع سابق، ص8.

[3] - ينظر: نجيب العقيقي : المستشرقون، ج2، مرجع سابق "بتصرّف" / عبد الرحمان بدوي : موسوعة المستشرقين، مرجع سابق "بتصرف".

ولد سنة 1895م، درس اللغات السّاميّة في جامعة أدنبرة، عمل محاضرا بمدرسة اللغات الشّرقيّة والإفريقيّة بجامعة لندن، شغل منصب كرسي اللغة العربية بجامعة أكسفورد، كما عمل مديرا لمركز دراسات الشّرق الأوسط بجامعة هارفارد الأمريكيّة، ونجد **من أبرز آثاره:** كتاب الاتجاهات الحديثة في الإسلام، وكتاب الفتوحات الإسلاميّة في آسيا الوسطى.

- مونتغمري واط Montgomery Watt (1909-2006)

ولد بانجلترا سنة 1909م، ودرس بجامعتي أدنبرة وأكسفورد، عمل أستاذا بجامعة أكسفورد حتّى تقاعده سنة1964م، كما عمل أستاذا زائرا في جامعتي تورنتو وباريس، تخصّص مونتغمري واط في الكتابة عن الرّسول صلى الله عليه وسلّم **ومن أهمّ آثاره:** محمّد في مكّة، محمّد في المدينة، فضل الإسلام على الحضارة الغربيّة، محمّد نبيّ ورجل دولة، الفلسفة الإسلاميّة والعقيدة.

1-3- المدرسة الإسبانيّة:

من الواجب علينا عند الحديث عن المدارس الاستشراقية في أوربا أن لا ننسى إسبانيا، فهي المصدر الذي نهل من معينه أوائل المستشرقين الأوربيين، فبعد أن وضعت الحروب الصّليبيّة أوزارها أمّ الكثير من المستشرقين الأندلس ودرسوا فيها، قبل أن يعودوا إلى بلدانهم وينشروا بين أقوامهم ما تعلّموه على يد أساتذتهم في جامعات قرطبة وطليطلة من المعارف والعلوم في شتّى المجالات، وما ينطبق على هؤلاء المستشرقين ينطبق على كل التّيارات التي كانت تعيش في الأندلس كالمسيحيين واليهود، فقد تضلّع الكثير منهم في اللغة العربية وأصبحوا ينافسون العرب في الكتابة بها.

لكنّ الدّراسات الاستشراقيّة في إسبانيا قد توقّفت لفترة من الزّمن بعد طرد العرب منها وما تبع ذلك من الممارسات الهمجيّة التي قام بها المسيحيون ضد المسلمين واليهود في الأندلس، وبقي الأمر كذلك حتّى تمّ "تأسيس جامعة غرناطة عام1540م كاستمرار للجامعة العربيّة التي كان قد أسّسها يوسف الأوّل

في القرن الرّابع عشر والتي انحصر فيها تعليم اللغة العربيّة حتى أواسط القرن الثّامن عشر"[1]، حيث بدأ الإسبان يلتفتون شيئا فشيئا إلى ما تزخر به بلادهم من نفائس وذخائر تعود إلى الوجود الإسلامي في البلاد، وساعدهم على ذلك أيضا ازدهار الدّراسات الاستشراقيّة في فرنسا حيث تتلمذ بعضهم على يد **سلفستر دي ساسي** Silvestre de Sacy، وكذلك قدوم الكثير من المستشرقين إلى إسبانيا وتنقيبهم عن كلّ ما يمتّ بصلة للحضارة الإسلاميّة التي أشرقت هناك لمدة ثماني قرون، ونجد من أبرز مستشرقي المدرسة الإسبانيّة[2]:

- بسكوال دي جاينجوس Pascual de Gayangos (1809-1897)

ولد في اشبيليّة، وتعلم العربيّة على يد دي ساسي في باريس، عمل مترجما للغات الشّرقيّة في وزارة الدّولة، شغل كرسي اللغة العربيّة في جامعة مدريد عام ألفٍ وثمانمائةٍ وثلاثةٍ وأربعين"1843م"، وقد انصبّ اهتمام بسكوال جاينجوس على دراسة المخطوطات المتعلّقة بالوجود الإسلامي في إسبانيا، **ومن أهمّ آثاره:** كتاب تاريخ ملوك غرناطة، كتاب بعنوان "كتب الفروسيّة"، وكتاب "الكتّاب النّاثرون السّابقون على القرن الخامس عشر"، كما قام بتحقيق الكثير من الكتب والمخطوطات.

- ميجال آسين بلاثيوس Miguel Asin Placios (1871-1944)

ولد بلاثيوس بسرقسطة، وتعلّم اللغة العربية على يد المستشرق ريبيرا، نال الدّكتوراه من جامعة مدريد عام1896، ونشرها عام1910م، تحت عنوان" العقيدة والأخلاق والتّصوّف لدى الغزالي"، شغل كرسي اللغة العربية خلفا للمستشرق كوديرا عام1903م، كما انتخب عضوا في العديد من المجامع اللغويّة، **من آثاره:** كتاب مذهب ابن رشد ولاهوت توما الإكويني، سلسلة دراسات منوّعة عن محي الدّين بن عربي، كما قام بتحقيق ونشر العديد من الكتب والمخطوطات العربيّة والإسلامية.

---

[1] – ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي،ج1، مرجع سابق، ص137.

[2] - ينظر: نجيب العقيقي : المستشرقون، ج2، مرجع سابق "بتصرّف" / عبد الرحمان بدوي : موسوعة المستشرقين، مرجع سابق "بتصرف".

- سانشيث ألبرنوث: Sánchez-Albornoz (1893- 1984)

ولد عام 1893م، عمل أستاذ التاريخ إسبانيا في مدينتي برشلونة ومدريد، أصبح وزيرا للخارجية عام 1933م، عمل مديرا للمعهد الثّقافي الإسباني في الأرجنتين عام1943م، ومن آثاره:كتاب إسبانيا الإسلاميّة، كتاب مملكة ليون، مصادر تاريخ إسبانيا الإسلامية في القرن الثامن، كما قام بنشر وتحقيق العديد من المخطوطات والدّراسات.

1-4- المدرسة الإيطاليّة:

تعود علاقة إيطاليا بالعالم العربي الإسلامي إلى حقب طويلة جدّا، فالإمبراطوريّة الرومانيّة هي التي كانت تفرض هيمنتها على مناطق شاسعة منه، لكنّ مع ظهور الدين الإسلامي، وبداية الفتوحات الإسلاميّة طردت الامبراطوريّة الرّومانيّة من الشرق، وتمكّن العرب من فتح المناطق الجنوبيّة فيها، وبقوا هناك لعدّة قرون.

ولذلك فقد بدأ الاهتمام بالدّراسات العربيّة والإسلاميّة في إيطاليا مبكّرا، وتجسّد ذلك على أرض الواقع عندما "بدأت جامعة بولونيا سنة 1076م بالاهتمام بالعلوم العربيّة، وتلتها جامعة نابولي عام1224م، ثمّ جامعات مسّينا وروما وفلورنسا وبادوا ثمّ أخيرا الجامعة الجريجوريّة التي اعتنت بصورة خاصّة بالدّراسات الإسلاميّة"[1].

واهتمّ المستشرقون الإيطاليون كغيرهم بالتّاريخ الإسلامي، وبترجمة القرآن الكريم، وباللغة العربيّة والفلسفة الإسلاميّة، وبرز مستشرقون إيطاليون **كتوما الإكويني** Thomas Aquinas الذي حمل على عاتقه محاربة فلسفة ابن رشد، وليونه كايتاني Caetani Leone، وسانتيلانا Santillana ، وكارلو نللينو Carlo Nallino الذين درّسوا بالجامعة المصرية.

[1] - ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي،ج1، مرجع سابق، ص118.

وقد زاد اهتمام الإيطاليين أكثر بالعلوم العربيّة والإسلاميّة بعد احتلال إيطاليا لليبيا في العصر الحديث، حيث فتحت أقسام للدراسات العربيّة والإسلاميّة في جامعات إيطاليا، وفهرست آلاف المخطوطات العربيّة القابعة في المكتبات الإيطاليّة، وظهرت العديد من المجلّات والجمعيات والمعاهد الاستشراقيّة التي عنيت بكل ما له علاقة بالمشرق الإسلامي، ولابأس بالتّعرّف على بعض المستشرقين الإيطاليين وأهمّ أعمالهم[1]:

- توما الإكويني Thomas Aquinas (1225- 1274)

ولد بمدينة إكويني سنة1225م، درس بجامعة نابولي وانصبّ اهتمامه أكثر على دراسة فلسفة ابن رشد التي كانت منتشرة في أوروبا في ذلك الوقت، ارتحل إلى باريس وتتلمذ على يد ألبرت الكبير، ثمّ عمل أستاذا بنفس الجامعة، وبعدها عاد إلى روما عام 1259م، واشتغل بالتّدريس لمدّة عشر سنوات، توفي عام 1274م. **من آثاره:** كتاب خلاصة المذهب الكاثوليكي ضد الوثنيين، تفاسير لما بعد الطّبيعة، كتاب وحدة العقل، كتاب أزليّة العالم.

- اغناطيوس جويدي Ignazio Guidi (1844- 1935)

ولد بروما عام1844م، وتعلّم بجامعتها، تعلّم اللغة العربية ودرس آدابها، اشتغل بالتّدريس في بلاده، حتّى انتدبته الجامعة المصريّة لتدريس مادّة الأدب العربي عام 1908م، توفي في1935م.

من آثاره: دراسة نص كليلة ودمنة، نشر قصيدة الشّاعر كعب بن زهير، كما قام بكتابة عدّة بحوث تخصّ اللغة العربيّة، وساهم في نشر العديد من الكتب العربيّة ككتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني.

[1] – ينظر: نجيب العقيقي : المستشرقون، ج1، مرجع سابق "بتصرّف" / عبد الرحمان بدوي : موسوعة المستشرقين، مرجع سابق "بتصرف".

- كارلو نللينو Carlo Alfonso Nallino (1872- 1938)

ولد بمدينة تورينو سنة1872م، وبها درس وتعلّم، اشتغل بالتّدريس في عدد من الجامعات الإيطاليّة كنابولي، باليرمو، روما، انتدبته الجامعة المصريّة للعمل بها كأستاذ لمادة الفلك ثم الأدب العربي، اشتهر باطلاعه على التّاريخ والجغرافيا والفلسفة والتّصوّف، انتخب عضوا في عدد من المجامع الغربيّة والعربيّة توفي سنة1938م، **ومن آثاره:** منتخبات من القرآن، تكوين القبائل العربيّة قبل الإسلام كتاب قواعد ومفردات العربيّة العلميّة في مصر، وله كتاب تاريخ الأدب العربي، وهو عبارة عن المحاضرات التي ألقاها في الجامعة المصريّة، كما قام بتحقيق ونشر العديد من الكتب العربيّة والإسلاميّة، وكان نللينو أحد أساتذه طه حسين في الجامعة المصرية، وقد تأثّر به وبمنهجه في دراسة الأدب العربي.

1-5-المدرسة الهولنديّة:

اهتمّت هولندا كغيرها من الدّول الأوربية بالعالم الشّرقي منذ القديم، فجامعة ليدن"أنشأت كرسيّا للعربيّة في 1599م"[1]، كما رحل المستشرق الهولندي سكاليجر إلى فرنسا وتتلمذ على يد المستشرق بوستل ثمّ رحل إلى الأندلس لتعلّم العربيّة، وبعد عودته إلى هولندا"بلغت شهرته جامعة ليدن فاستقدمته أستاذا لكرسيّها السّامي حتّى وفاته(1593-1609)، وقد ترك لها أولى مخطوطاته"[2].

كما اتّصلت هولندا بالعالم الشّرقي أيضا من خلال تجارتها في الهند وتأسيسها لشركة الهند الشّرقيّة، وكذا من خلال احتلالها لأندونيسيا، وقد زاد نشاط الحركة الاستشراقية في هولندا بداية من القرن السّابع عشر الميلادي، فأنشئت عدّة كراس للغة العربية في الجامعات الهولنديّة كجامعة أمستردام وكذلك أوترخت، كما تمّ إنشاء المكتبات والمجلّات التي تعنى بالدّراسات العربيّة والإسلاميّة، وشرع المستشرقون

[1]- نجيب العقيقي:المستشرقون،ج2، مرجع سابق، ص295.

[2] - المرجع نفسه، ص302.

الهولنديون في نشر وتحقيق وتأليف الكتب والبحوث والمقالات التي تناقش كلّ ما له علاقة بالدّين الإسلامي، ومن أبرز مستشرقي المدرسة الهولنديّة:

- رينهارت دوزي Reinhart Dozy (1820-1883)

ولد في ليدن، أتقن العديد من اللغات السّاميّة وخاصّة اللغة العربيّة التي ظهر نبوغه فيها منذ صغره، سافر بعد زواجه إلى ألمانيا وفي إحدى مكتباتها عثر على كتاب الذّخيرة لابن بسّام الشّنتريني، ثم عاد دوزي إلى هولندا وعمل أستاذا للغة العربيّة في جامعة ليدن، وقد نال هذا المستشرق شهرة واسعة في أوربّا حتّى"عدّه أعلام المستشرقين أوّل فاتح للدّراسات الأندلسيّة، ووجدوا في آثاره عنها مرجعا لتاريخها وثقافتها وحضارتها"[1].

ومن آثاره: كتاب تاريخ المسلمين في إسبانيا، بحوث في تاريخ إسبانيا وآدابها في العصر الوسيط، نشر كتاب البيان المغرب في أخبار المغرب لابن عذارى المرّاكشي، معجم دوزي، كما قام بتحقيق ونشر العديد من الكتب العربية، بالإضافة إلى مقالاته وبحوثه في المجلّات الاستشراقيّة.

- سنوك هرخرونيه Snouck Hurgronje (1857-1936)

ولد بقرية استرهوت بهولندا، وبها أتمّ تعليمه الأوّلي، دخل جامعة ليدن وتتلمذ على يد المستشرق دي خويه Michael Jan de Goeje، وكانت رسالته للدّكتوراه بعنوان "موسم الحج في مكّة"[2]، سافر بعدها إلى ألمانيا ودرس على يد نولدكه Nöldeke، كما رحل إلى مكّة وتسمّى باسم عبد الغفّار ثمّ طرد منها، عاد بعدها إلى جامعة ليدن وعمل بالتّدريس، كما عمل سنة 1889م مستشارا للحكومة الهولندية في اندونيسيا **من آثاره:** كتاب عن مدينة مكّة في جزأين، محاضرات عن الإسلام، الفقه الإسلامي، وكثير من البحوث والمقالات في مختلف المجلّات الاستشراقيّة.

---

[1] - نجيب العقيقي:المستشرقون،ج2، مرجع سابق، ص309.

[2]- عبد الرّحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص353.

- أرند جان فنسنك Arent Jan Wensinck (1882-1939)

ولد بهولندا، وتتلمذ على يد كبار المستشرقين الهولنديين كهوتسما Houtsma،وهرخرونيه Hurgronje ، وسخاو Sachau وغيرهم، أتقن اللغات الشّرقية وكانت رسالته للدّكتوراه بعنوان "محمّد واليهود في المدينة"[1]، عمل أستاذا للغة العبرية في جامعة ليدن، ثمّ أستاذا لكرسي اللغة العربيّة بالجامعة نفسها خلفا لأستاذه هرخرونيه Hurgronje حتّى وفاته. **من آثاره:** العقيدة الإسلاميّة نشأتها وتطوّرها التّاريخي، الإسرائيليّات في الإسلام، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشّريف، وغيرها من البحوث والمقالات.

1-6- المدرسة الأمريكيّة:

تعد المدرسة الاستشراقيّة الأمريكية مدرسة حديثة في مجال الدّراسات الاستشراقية إذا ما قورنت بغيرها من المدارس الأوربيّة، وترجع أهميّة تطرقنا لهذه المدرسة لكونها تمثّل الاستشراق الجديد، ولما للولايات المتّحدة اليوم من ثقل بين دول العالم خاصة بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، وبروز ما يعرف بالقطبيّة الأحادية.

وقد كان الدافع لتلك الدّراسات الأمريكية منذ البداية هو الدّافع الدّيني، فقد أرسلت بعثة للتبشير بالدّين المسيحي إلى لبنان سنة1830م، كما أنشئت هناك أيضا أول مدرسة استشراقيّة لتعليم البنات، وفي سنة1866م أطلق عليها اسم الكلّية السّوريّة الإنجليّة، ثمّ أصبحت بعد ذلك تعرف باسم الجامعة الأمريكيّة ولا تزال موجودة إلى يوم النّاس هذا.

كما أنشئت على غرارها أيضا جامعات أمريكيّة في القدس ومصر، وكلّها تشترك في نفس الأهداف، فهي تتبع النّظام الأمريكي في التّدريس، وتساهم في نشر المسيحيّة، وتعمل على تكوين وتخريج إطارات يكونون قادرين على خدمة المصالح الأمريكيّة في المنطقة.

[1] - المرجع نفسه، ص417.

وحتّى وإن اختفى مصطلح الاستشراق في عصرنا الحديث منذ سنة1973م، حين قرّر الأوربيون في مؤتمرهم التّاسع إلقاءه في مزبلة التّاريخ على حدّ تعبير **برنارد لويس** Bernard Lewis، فإنّ الاستشراق لا يزال موجودا بمسمّيات مختلفة، وربّما لا نجانب الصّواب إذا اعتبرنا الاستشراق الأمريكي يحتلّ الرّيادة في الدّراسات الاستشراقيّة في عصرنا هذا، نظرا لكمّ الدّراسات والبحوث التي تصدرها الجامعات والمعاهد والمجلّات وحتى القنوات التلفزيونيّة الأمريكيّة عن الإسلام والمسلمين، ونظرا للسّيطرة الأمريكية على دوائر صنع القرار العالمي، وتدخّلها في سياسات الكثير من الدّول، واحتلالها لبعض البلدان كأفغانستان والعراق وسوريا، وهي مكانة لم تكن أمريكا لتتبوّأها لولا تسخيرها لترسانة كبيرة من المستشرقين والصّحفيين والقناصل والسّفراء والإعلام الموجّه.

ومن بين مستشرقي المدرسة الأمريكيّة:

- جورج سارتون george sarton (1884-1956)

مستشرق أمريكي من أصل بلجيكي ولد سنة 1884م، تحصّل على شهادة البكالوريا ببلجيكا عام 1906م، وعلى شهادة الدّكتوراه من نفس الجامعة عام1911م، تخصص سارتون في العلوم الطبيعية والرياضيات درس العربية في الجامعة الأمريكية في بيروت 1931-1932،عمل أستاذا محاضرا بجامعة هارفارد، ويعتبر من المستشرقين الذين كانت لهم آراء منصفة للحضارة العربيّة والإسلاميّة، ألقى محاضرات حول فضل العرب على الفكر الإنساني ، أشرف مع ماكدونالد MacDonald على مجلة إيزيس 1913- 1946، **وأبرز إنتاجه:** (المدخل إلى تاريخ العلم).

- جون اسبوزيتو John Esposito (1940-/)

ولد عام 1940م بمدينة نيويورك الأمريكيّة، يعمل أستاذا في الأديان والشؤون الدّوليّة والدّراسات الإسلامية بجامعة جورج تاون، ويعتبر أحد المتخصّصين في الدّراسات العربيّة والإسلاميّة، كما يشغل منصب مدير مركز التّفاهم الإسلامي المسيحي في الجامعة نفسها، وكذا يشغل منصب مستشار بوزارة

الخارجيّة الأمريكيّة. **من كتبه:** التّهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة، مستقبل الإسلام، صانعو الإسلام المعاصر، إيران في مفترق الطّرق... وغيرها من كتبه التي لها علاقة بالإسلام ومنطقة الشّرق الأوسط.

- بلاك ماكدونالد Black MacDonald (1863-1943)

مستشرق انجليزي الأصل، بدأ الدراسة في جلاسجو(اسكتلندا) وانتقل إلى برلين للدراسة مع المستشرق زاخاو Karl Eduard Sachau ، ثمّ انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1893 لتعليم اللغات الساميّة. أسس في الولايات المتحدة مدرسة كندي للبعثات عام 1911، وشارك مع زويمر Samuel Marinus Zwemer في السنة نفسها في تأسيس مجلة العالم الإسلامي، وتنوع إنتاجه بين الدراسات الشرعية والدراسات اللغوية.

2- الآثار السّلبيّة للاستشراق على العالم العربي والإسلامي:

2-1- الجانب الدّيني:

حاول المستشرقون منذ البداية على اختلاف مدارسهم وخلفياتهم الفكرية التركيز على الجانب العقدي والديني في البلدان العربية والإسلاميّة نظرا لما يمثّله الدّين من قداسة في حياة الإنسان الشّرقي ولذلك فقد سعوا دائما إلى تسليط الضّوء على بعض القضايا المغمورة التي لا تمثّل الدّين الإسلامي ولا تمتّ إليه بصلة، ثمّ يبدأون في التّرويج لها والكتابة عنها من أجل تشويه الدّين واتّهامه بما هو منه براء.

ولذلك فلا عجب أن نلحظ اهتمام الكثير من المستشرقين بالفرق الصوفية والباطنيّة والشّخصيات التي ابتعدت عن كتاب الله وسنّة رسوله عليه الصّلاة والسّلام، فنراهم يقفون بجانب هذه الفرق ويدافعون عنها ويقفون حياتهم كلّها على دراسة تلك الشّخصيات ومحاولة تحسين صورتها وإبراز الظّلم الذي تعرّضت له من قبل المناوئين لها، فنجد مثلا الحسين بن منصور الحلّاج الذي قتل وأحرق سنة 309هـ بعد أن ادعى الألوهيّة، فأجمع علماء عصره على قتله، ليأتي المستشرق الفرنسي ماسينيون Massignon

ويكتب عنه رسالته للدكتوراه سنة 1914م، مدّعيّا أن الحلّاج قتل ظلما واتّهم خصومه بعدم فهم فلسفة الحلّاج وشطحاته الصّوفيّة.

كما نجد المستشرق الإسباني آسين بلاثيوس Miguel Asin Palacios الذي عكف على دراسة آثار ابن عربي الصّوفي الذي اتّهم بأنّه يؤمن بوحدة الوجود، والتي تعني بأنّه" ليس هناك موجود إلّا الله فليس غيره في الكون، وما هذه الظواهر التي نراها إلّا مظاهر لحقيقة واحدة هي الحقيقة الإلهية(تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)"[1]، وقد وردّ عليه عدد معتبر من العلماء المسلمين، وكذلك نجد جلال الدّين الرّومي الذي عنيت به المستشرقة الألمانيّة آنا ماري شيمل Annemarie Schimmel ، كما نجد الكثير من المستشرقين الغربيين الذين تخصّصوا في ميدان التّصوّف كنكلسون Reynold Alleyne Nicholson وهنري كوربان Henry Corbin وغيرهم.

وكذلك ركّز المستشرقون أيضا على دراسة بعض الفرق التي ظهرت في تاريخنا الإسلامي كالشيعة والمعتزلة والإسماعيليّة، كما أولوا عنايتهم للفرق المنحرفة التي نشأت بفعل الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية كالقاديانية والبهائيّة والبابية، فوصفوها بأنّها تمثّل أحزاب المعارضة في الإسلام، بينما هي في حقيقة الحال فرق صنعت على عين الاستعمار الغربي من أجل إضعاف المسلمين وتفريق شملهم وتشكيكهم في دينهم.

2-2- الجانب السّياسي:

ظهرت آثار الاستشراق السّياسيّة على الإسلام والمسلمين منذ بداية كتابة الغربيين عن الإسلام فقد رأوا أنّ الرّسول عليه الصلاة والسّلام كان مصلحا دينيا وليس مشرّعا سياسيا لذلك نادوا بالعلمانيّة وضرورة فصل الدّين عن الدّولة وتطبيق نظم الحكم الغربية في المجتمعات الإسلامية والتأسّي في ذلك بالدّول الغربيّة التي أقامت حضارتها على المفاصلة بين الدّين والسّياسة.

[1] – عبد الرحمان عبد الخالق: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسّنة، ط2، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ص69.

وقد تجسّد هذا الأمر فعليّا في عصرنا الحديث سنة 1924م بإسقاط الخلافة العثمانيّة، وإعلان قيام الجمهوريّة التّركية سنة1924م على يد كمال أتاتورك، فقد قطعت تركيا صلتها بماضيها العثماني الإسلامي، وأقامت دولة مدنية على الأسس الغربيّة، وقد تشبّع بهذه الأفكار الغربيّة الكثير من المبتعثين من أبناء المسلمين الذين درسوا في الجامعات الغربيّة ثمّ عادوا إلى أوطانهم منادين بضرورة إبعاد الدّين عن الحياة السّياسيّة وعلى رأسهم الأستاذ طه حسين، والعالم الأزهري علي عبد الرازق في كتابه الإسلام وأصول الحكم.

ومن آثاره أيضا تلك العلاقة التي نشأت بين الاستشراق والاستعمار في العصر الحديث فقد سهّل المستشرقون لبلدانهم احتلال تلك البلدان من خلال بحوثهم وكتبهم ودراساتهم التي أجروها عن شعوب تلك الدّول، كما نجد أيضا تمكّن الاستعمار الغربي من إحياء القوميات والنّعرات الطّائفيّة في البلاد الإسلامّية كالفرعونيّة في مصر، والطورانيّة في تركيا، والآشوريّة في العراق والبربرية في البلدان المغاربية، وكذا التّركيز على الأقلّيات في هذه البلدان ومحاولة تصويرها في ثوب الضّحيّة، وأنّها تعاني من التّهميش والإقصاء، واستغلالها كورقة ضغط على أنظمة هذه الدّول، وكلّ هذا لتفكيك وتجزئة البلاد الإسلامية والقضاء على الرّوابط التي أقامها الدّين الإسلامي.

2-3- الجانب الاجتماعي:

قام الغرب من خلال باحثيه ومستشرقيه بدراسة المجتمعات المسلمة دراسة معمّقة حتّى يتسنّى له القضاء على تلك اللحمة الموجودة في تلك المجتمعات، وفرض طابع العيش الذي يريده على الإنسان الشّرقي، ومن بين المنافذ التي دخل منها الغرب نجد الأسرة، فقد سعى الغرب إلى ضرب هذا النّسيج لتفكيك الأسرة المسلمة، فانتقد الدين الإسلامي ورأى أنّه السّبب الرّئيس في هذا التّخلّف الذي تعيشه الأسر المسلمة، ونادى بضرورة تحرير المرأة وإخراجها من بيتها للعمل، كما دعا إلى ضرورة المساواة في التّعليم والعمل بين الرّجل والمرأة، وهي مساواة لم تجد لها سبيلا حتّى في أرقى مجتمعاتهم، وقد برز في هذا

الجانب أيضا الكثير ممّن تشبّعوا بالثّقافة الغربيّة كرفاعة الطّهطاوي في كتابه تخليص الإبريز في تلخيص باريز، وقاسم أمين في كتابيه المرأة الجديدة، وتحرير المرأة.

3- موقف العلماء العرب والمسلمين من الاستشراق والمستشرقين:

اختلفت آراء الباحثين والمفكرين العرب والمسلمين حول ظاهرة الاستشراق والمستشرقين اختلافا بيّنا ولذلك فإنّ بإمكاننا القول بأنّ "أقل ربح ربحه المستشرقون هو تمزيق المفكرين الإسلاميين حولهم وتحويل الصراع ضد الغزو الفكري الأجنبي إلى صراع بين المسلمين حول المستشرقين :أحسنوا أم أساءوا.."[1]، وعلى كلّ حال فإنّه يمكننا حصر هذه الآراء في ثلاث اتجاهات:

3-1- الاتّجاه المؤيد:

يمثل هذا الاتّجاه بعض الذين درسوا على يد المستشرقين أو تأثروا بأفكارهم ومن بينهم طه حسين ونجيب العقيقي وأحمد أمين وسلامة موسى، وينظر أصحاب هذا الاتجاه إلى الخدمات التي قدّمها المستشرقون للتراث الإسلامي بعين التقدير والاحترام، ويمدحون تفانيهم في عملهم، وعلمهم الغزير ويشكرون صنيعهم في العناية بالمخطوطات الشرقية وتحقيقها وفهرستها، ونشر أمهات الكتب العربية والإسلامية التي لم تكن لترى النّور لولا جهود هؤلاء المستشرقين، وأنّه لو كانت نيّتهم اتجاه تراثنا" لما استنقذوا أحجاره وأوراقه من الضياع، بل عمدوا إلى طيّه، إنْ لم يكن عن العالم فعنّا"[2] وفي نفس السياق يأتي كلام طه حسين الذي يقف متسائلاً "كيف يمكن لأستاذ الأدب العربي أن يستغني عن الفرنجة والمستشرقين وإنجازاتهم المختلفة، في حين أنّهم درسوا تاريخ بلاد المشرق وآدابها ولغاتها المتنوعة؟ والآن وقد اجتمع العلم لدى الغربيين فلا محالة من التماس العلم عندهم"[3].

---

[1]- عبد المتعال محمد الجبري، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، مرجع سابق، ص215.

[2] - نجيب العقيقي: المستشرقون، ج3، مرجع سابق، ص363.

[3] - مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ،ص8. نقلا عن: محمد حسن زماني: الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، تر: محمد نور الدين عبد المنعم، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010م، ص55.

3-2- الاتجاه الرافض:

يقف أصحاب هذا الاتجاه موقفا رافضا من الاستشراق والمستشرقين، ومن بين هؤلاء أحمد فارس الشدياق، إدوارد سعيد، أنور الجندي، الأمير شكيب أرسلان، وهم يرون أن الغرب لا يمكن أن يصدر عنه شيء عن قصد يفيد الإسلام والمسلمين، كما أن كلّ ما فعله المستشرقون هو التركيز على نقاط الضعف-حسب نظرهم-في الإسلام ومحاولة هدمه، و"كتابات المستشرقين عن الإسلام لم تكن علمية ولا بحوثًا تتوخّى حقائق التاريخ، وإنّما كانت سلاحًا من أسلحة الدّعاية الحربية"[1].

3-3- الاتجاه المعتدل:

نجد من بين هؤلاء الباحثين مالك بن نبي، مصطفى السباعي، أبو الحسن الندوي، محمود حمدي زقزوق، فقد وقفوا من الاستشراق موقفا وسطا، فله إيجابيات لابد من الاستفادة منها وسلبيات لا بد من الرّد عليها، وقد انطلقوا من قوله تعالى ﴿ **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[2]، وفي هذا يقول محمود العرب بأنّه ينبغي علينا أن" لا ننسى أنّ هؤلاء المستشرقين أوّلا وأخيرا بشرٌ وليسوا ملائكة ولا شياطين، إنّهم مثلنا نتاج حضاراتهم ولغاتهم وآدابهم..إنّهم يعلمون ويجهلون ويخطئون ويحايدون وينحازون! أولسنا نحنُ أيضًا كذلك؟"[3].

ولذلك يبقى هذا الاتجاه هو الأقرب للصواب، فلا ينبغي علينا حصر المستشرقين في صورة نمطية واحدة، بل علينا التعامل مع نتاجهم بروح نقدية واعية للتفريق بين ما اتّسم بالموضوعية والإنصاف وبين ما شابه التّحيّز وسوء الفهم.

---

[1] – عبد الجليل عبده شلبي: صور استشراقية، الكتاب الأوّل سلسلة البحوث الإسلامية، 1398- 1978، ص17. نقلًا عن: بوزقاو مريم: الاستشراق بين الرفض والقبول في الثقافة العربية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة جيلالي اليابس، كلية الآداب واللغات والفنون، سيدي بلعباس، الجزائر، 2019-2020م، ص 66.

[2] – سورة المائدة/ الآية :8.

[3] – محمود العرب: إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم، ط1، نهضة مصر، مصر، أفريل 2006م، ص18-19.

المبحث الثّالث: إسهامات المستشرقين في التراث الإسلامي

أوّلا: وقفة مع إسهاماتهم في خدمة العلوم الإسلامية:

1- القرآن الكريم:

كانت هناك دوافع دفعت المستشرقين إلى دراسة الشرق وآثاره وتاريخه ، سواء أكانت الدوافع تتعلق بالإسلام بصفة عامة، أو بالدراسات القرآنية بصفة خاصة.

إنّ محاولة استكشاف طبيعة الحضارة الإسلامية وخصوصياتها والتّعرف عليها عن كثب يعدّ من أهم الأسباب التي دفعت المستشرقين -كما أسلفنا- إلى دراستها، وذلك لأنّ كل حضارة ذات خصائص تميزها عن غيرها، وتبعًا لذلك فقد تمّت ترجمة القرآن الكريم لأول مرة سنة 1143م من طرف رجال الكنيسة وعلى رأسهم بطرس المبجّل Peter the Venerable، للاطلاع على ما ورد في القرآن الكريم بشأن عقائد النصارى، فرأوا بما لا يدع مجالا للشّك "أسس المسيحية الحقة التي نادى بها المسيح عليه السلام ودعا إليها وعرّف بها المسيحية المبرأة من التحريف والتخريف، المسيحية الإلهية الأصيلة لا المسيحية البشرية الموضوعة"[1] ولمّا كانت هذه الترجمة تحت الرعاية الكنسية، فقد كان للمستشرقين التابعين لها "رغبة جامحة للنيل منه والحطّ من شأنه والرّد عليه، والتحريف لنظمه والتّغيير لمعناه ليصدّوا أهل دينهم"[2]، وإجمالا فقد انصبّ اهتمام المستشرقين فيما يتعلّق بالقرآن الكريم على:

1-1- ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة:

درس الغرب اللغة العربية بداية في أديرة الرهبان، وكان أوّل وأهم عمل قاموا به في مجال الترجمة من العربية وبذلوا له وقتهم وجهدهم هو القرآن الكريم، فهو حجر الزّاوية والأساس الذي قامت عليه الحضارة الإسلامية، ولذلك فقد بدأوا بترجمته لمحاربته والوقوف على ما يحتويه من مضامين، ولم يخفِ

[1] – محمود بن الشريف: الأديان في القرآن، ط5، مكتبات عكاظ، جدّة، 1984، ص190.

[2] – نجدة رمضان: ترجمة القرآن الكريم وأثرها في معانيه، دط ، دت، ص 125.

بطرس المبجّل Peter the Venerable دوافعه من تلك الترجمة حيث يصرّح بأنّ" الدين الإسلامي وكتاب القرآن بدعة في الدين المسيحي، بل هي أشدّ وأخطر أنواع البدع التي يجب القضاء عليها"[1]، وهذا ليس غريبًا فقد بيّنا أنّ الدافع الديني كان أقوى دوافع الاستشراق، وقد عبّر محمد البهي عن هذا الواقع بقوله: أنّ "الاستشراق كمنهج وكمحاولة فكرية لفهم الإسلام حضارة وعقيدة وتراثا كان دافعه الأصيل العمل من أجل انكار المقومات الثقافية والروحية في ماضي هذه الأمة والتنديد والاستخفاف بها"[2].

وقد قيل أنّ هذه الترجمة بقيت حبيسة في أدراج الكنيسة، ولم يسمح بطباعتها إلى بعد قرنين من ذلك الزّمن، وقيل أنّها أتلفت خوفًا من تأثيرها على النّاس رغم ما فيها من طوامّ، ولكن كما يقول عبد الرحمن بدوي، أنّها " بوصفها أول ترجمة للقرآن إلى لغة أجنبية تعد انجازا مهما"[3].

ثمّ توالت بعد ذلك ترجمة معاني القرآن الكريم إلى مختلف اللغات الأوربية والعالمية، وظهرت العديد من الترجمات داخل اللغة الواحدة، ووضعوا له معاجم وفهارس لألفاظه، كما كتبوا العديد من البحوث والدراسات حوله.

ففي فرنسا مثلا ظهرت أوّل ترجمة للقرآن الكريم على يد أندري ديريو André du Ryer سنة 1647م، وقد "ظلّت ترجمته محطّ اهتمام ودراسة ردحًا من الزمن، ومرجعًا في الترجمات إلى لغات أخر"[4]، ثمّ تلتها ترجمة كلود سفاري Savary Claude في 1782م، وكذا ترجمة ريجيس بلاشير Régis Blachère في 1957م، ووصولا إلى ترجمة جاك بيرك Jacques Berque سنة 1992م، والتي انقسم حولها الباحثون العرب بين مؤيّد ومعارض، حيث يقول إبراهيم عوض" ولسنا ندّعي أنّها تخلو من

[1] – ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، ص44. نقلا عن: محمد حسن زماني: الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، مرجع سابق، ص88.

[2] ينظر: محمد صالح البنداق: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م، ص89.

[3] – عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص442.

[4] – أنس الصنهاجي : القرآن في الدراسات الاستشراقية الفرنسية، مجلّة دراسات استشراقية،المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، السنة الأولى، العدد8، صيف 2016م، ص6.

الحسنات فهذه دعوى نربأ بأنفسنا عنها. كلّ ما قلناه ونقوله أنّها ليست أفضل من غيرها ولا حتّى في أسلوبها ، إذ هو أسلوب ثقيل متكلّف في كثير من المواضع، وهناك من الترجمات ما يتفوق عليها كثيرا"[1]، وقدْ ظهرت بعدها ترجمات أخرى إلى اللغة الفرنسية حتّى من جانب المسلمين أنفسهم.

وفي انجلترا ظهرت سنة 1648م ترجمة الكسندر روس Alexander Ross التي تأثّر فيها بترجمة الفرنسي أندري ديريو André du Ryer ، ثمّ ترجمة جورج سيل George Sale سنة 1734م، وقد "راجت ترجمة سيل رواجًا كبيرا طوال القرن الثامن عشر وعنها ترجم القرآن إلى الألمانية في سنة 1746م"[2]، ثمّ تتابعت ترجمات القرآن الكريم في انجلترا، كترجمة آرثر أربري Arthur Arberry سنة 1955م، والتي تعتبر على الرغم ممّا فيها من هنات من "أحسن ترجمات المستشرقين للقرآن الكريم، من حيث غنى أسلوبها، ومن حيث إنصافه في طريقة تناول موضوع مصدرية القرآن الكريم الإلهية"[3].

ثمّ تتابعت ترجمات القرآن الكريم في مختلف البلاد الغربية كألمانيا، هولندا، بلجيكا، إسبانيا إيطاليا، روسيا وغيرها.

وحتى وإنْ أجحف كثير من المستشرقين وجانبوا الصّواب –عمدا أو سهوا– وملأوا ترجماتهم بالكثير من الأخطاء والغلطات إلّا أنّ هذا لا يعني عدم وجود مترجمين أمناء تحرّوا الدّقة في عملهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، فقد "أسلم كثيرون بسبب اطلاعهم على ترجمة صحيحة لمعاني القرآن الكريم

[1] – إبراهيم عوض: ترجمة جاك بيرك للقرآن الكريم بين المادحين والقادحين، دط، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2000م، ص105.

[2] – عبد الله عبد الرحمان الخطيب: الجهود المبذولة في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الانجليزية (من عام 1649 إلى 2000م)، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، العدد 29، قطر، 2011م، ص100.

[3] – عبد الله عبد الرحمان الخطيب: الجهود المبذولة في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الانجليزية (من عام 1649 إلى 2000م)، مرجع سابق، ص 102–103.

وحدث العكس أن أخذ بعضهم صورة سيّئة عن الإسلام ونبيّ الإسلام –صلّى الله عليه وسلّم– بسبب بعض الترجمات الفاسدة كترجمة ن.ج. داود اليهودي التي طبع ووزع منها ما يزيد على مليون نسخة"[1].

1-2- الكتابة والتأليف حول كلّ ما له صلة بالقرآن الكريم:

أنشأ المستشرقون دائرة المعارف الإسلامية وألّفوا العديد من المعاجم و الكتب والدّراسات والبحوث حول القرآن الكريم، فتكلّموا فيها عن مصدر القرآن وظاهرة الوحي، وجمع القرآن وتدوينه في عهد الرّسول عليه الصّلاة والسّلام والصّحابة الكرام، وترتيب سوره وآياته، كما تكلّموا عن القراءات القرآنية، وعلاقة القرآن بكتب أهل الكتاب الأخرى، وكشأن ترجمة معاني القرآن التي لم تخلُ من الشوائب، فكذلك جاءت أبحاث ودراسات أغلب هؤلاء المستشرقين، فقد "أثار المستشرقون بمنهجهم الاستشراقي الذي يقوم على جمع الآراء والظّنون والأوهام شبهات حول القرآن تحاول أن تجتثّ أصوله، لتأتي على قواعد هذا الدين وهم قد نصّبوا أنفسهم للقضاء عليه"[2].

ومن المؤلّفات التي صدرت عن القرآن الكريم نجد:[3].

- كتاب **مقدّمة القرآن** للمستشرق الإنحليزي ريتشارد جورج سيل George Sale، وقد صدر سنة 1935م.
- كتاب **مقدّمة القرآن** للانجليزي مونتجمري واط Montgomery Watt ، وطبع هذا الكتاب سنة 1977م.

---

[1] – المرجع نفسه، ص89-90.

[2] – إسماعيل أحمد الطحان: تاريخ القرآن بين تساهل المسلمين وشبهات المستشرقين، حولية كلية الشريعة، جامعة قطر، 1984م-1404هـ، ص 268.

[3] – ينظر: عمر بن إبراهيم رضوان: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره (دراسة ونقد)، ط1، دار طيبة، الرياض، 1992م، ج1. بتصرّف.

- كتابان للمستشرق الفرنسي البارز ريجيس بلاشير Régis Blachère ، أحدهما بعنوان **القرآن**، وقد ترجم هذا الكتاب للغة العربية بعنوان ‹‹ القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته، تأثيره››، وكتاب آخر بعنوان **مقدمة القرآن** وقد صدر سنة 1958م.
- كتاب **المصادر الأصلية للقرآن** للانجليزي سان كلير تيسدال William St. Clair Tisdall ، وقد ترجم هذا الكتاب للغة العربية على يد عادل جاسم، من منشورات دار الجمل.
- كتاب **جمع القرآن الكريم** لمؤلفه جون بيرتون John Barton ، وقد طبع سنة 1977م.
- كتاب **مقالة في الإسلام** لمؤلفه الانجليزي جرجيس صال، طبع سنة 1871م، وقد ترجم إلى العربية على يد هاشم العربي.
- كتاب **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم** للكاتب الفرنسي موريس بوكاي Maurice Bucaille، وقد ترجم إلى العربية.
- كتاب **مذاهب التّفسير الإسلامي** للمستشرق المجري إجناس جولد تسيهر Ignác Goldziher، وقد تمّت ترجمته إلى اللغة العربية على يد عبد الحليم النّجار.

وسواء اتّفقنا مع أصحاب هذه المؤلّفات ورؤيتهم أم اختلفنا، فهي تمثّل نظرة الآخر للدين الإسلامي وللقرآن الكريم وللرّسول محمّد عليه الصّلاة والسّلام، وواجبنا هو ترجمتها والرّد عليها، وبيان صحيحها من زائفها.

2- الحديث الشريف:

يعتبر الحديث الشريف الركن الثاني من مصادر التّشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، ولذلك فقد نال بدوره أهمية كبيرة في دراسات المستشرقين، فتكلّموا عن متنه وأسانيده، وشروط صحّته، وعن تدوينه في عصر الرّسول عليه الصلاة والسلام وبعده، واكتسب أهميّته لديهم من كونه "كان ولا يزال يشكّل التطبيق العملي للإسلام على يد الرسّول صلّى الله عليه وسلّم فهو الذي جعل من الإسلام دينا كاملا

شاملا، متناولا كلّ جوانب الحياة، فدان المسلمون لأحكامه المتعلّقة بجميع أمور حياتهم في العقائد والعبادات والمعاملات، والأحوال الشخصية والاجتماعية، والآداب، وكلّ ما يتعلق بمظاهر حياتهم"[1].

وقبل الحديث عن أهمّ المستشرقين الذين خاضوا غمار الحديث في مجال السنّة النبويّة المطهّرة وأشهر تصانيفهم لا بأس بالتعريف بسند الحديث ومتنه.

2-1- سند الحديث:

لغة: سنَدَ، السّنَدُ: ما قابلكَ من الجبل وعلا من السّفح، وفلانٌ سنَدٌ أيْ: معتمدٌ، وسنَدْتُ إلى الشّيء أسنُدُ سنودًا، واستندْتُ بمعنًى، والإسناد في الحديث رفعهُ إلى قائله[2].

اصطلاحًا: هو طريق المتن، أي سلسلة الرّواة الذين نقلوا المتن عن مصدره الأوّل، وسُمّي هذا الطريق سنَدًا إمّا لأنّ المسند يعتمدُ في نسبة المتن إلى مصدره، أو لاعتماد الحفّاظ على المسند في معرفة صحّة الحديث وضعفه[3].

و**السّند** هو "حكاية طريق المتن"[4]، و**الإسناد** هو "رفع الحديث إلى قائله"[5].

2-2- متن الحديث:

المتن في الاصطلاح: هو كلام الرّسول عليه الصلاة والسلام: قول أو فعل أو تقرير أو صفة. عرّفه ابن جماعة بقوله" هو ما ينتهي إليه غاية السّند من الكلام"[6]، ويهدف الإسناد الى تمحيص، ووقاية السّنة النبوية لمنع إدخال بعض الشبه عليها، فبه يستطيع المسلمون تمييز السّنة الصحيحة من الضعيفة.

---

[1] – محمّد بهاء الدّين: المستشرقون والحديث النّبوي، ط1، دار النفائس، الأردن، 1999م-1420هـ، ص7.

[2] – ينظر: إسماعيل بن حمّاد الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، ط1، دار الحديث، القاهرة، 2009م، ص563.

[3] – محمّد بن سيدي محمد الأمين: الإسناد عند علماء القراءات، مجلّة الجامعة الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 129، المملكة العربية السّعودية، 1425هـ، ص148-149.

[4] – ابن حجر العسقلاني: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2001م، ص37.

[5] – جلال الدين السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ط2، مكتبة الكوثر، الرياض، 1415هـ، ص27.

[6] – نفسه، ص28.

ومن أهمّ الذين انكبوا على دراسة الأحاديث النّبوية المستشرق المجري اليهودي **إجناس جولد تسيهر** Ignác Goldziher ، وهو أحد المستشرقين المتعصّبين ضدّ الإسلام ونبيّه الكريم، وذلك في كتابه دراسات إسلامية، ثمّ خلفه المستشرق الألماني **جوزيف شاخت** Joseph Schacht في كتابه أصول الشّريعة المحمّدية، وقد أنكر فيه السّنة النّبوية جملة وتفصيلا.

وكان لهذين المستشرقين أعمق الأثر في كلّ المستشرقين الذين جاؤوا بعدهما وكتبوا عن السّنة النّبوية، وسنتعرض بالرّد على هذين المستشرقين بشيء من التفصيل أثناء عرض موقفيهما من السّنة وردود العلماء المسلمين عليهما.

ولا يفوتنا هنا ذكر العمل الكبير الذي قام به المستشرق الهولندي **فنسك** Arent Jan Wensinck أستاذ كرسي اللغة العربية بجامعة ليدن، وتلميذ المستشرقين هوتسما Houtsma و سنوك هورخرونيه Snouck Hurgronje، فقد قام بتأليف **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النّبوي**، الذي فهرس فيه الأحاديث الموجودة في تسعة من كتب الحديث عند المسلمين، واستعان في إنجاز عمله ب 38 باحثا أوربيا، وقد تمّ ترجمة هذا العمل الضخم إلى اللغة العربية على يد فؤاد عبد الباقي تحت عنوان **مفتاح كنوز السّنة** ويعدّ هذا المعجم مرجعًا هاما لكلّ طلّاب العلم إلى يومنا هذا.

3- الفقه الإسلامي:

اهتم المستشرقون كثيرا بالفقه الاسلامي باعتباره ناشئًا من الكتاب والسّنة، وقد كان من أبرز المهتمين به المستشرق جولد تسيهر Ignác Goldziher فقد أفنى -كما قال أحد تلامذته- جلّ عمره في البحث والدّراسة مخلّفا وراءه تراثا علميًا ضخما ما بين كتاب ومبحث في علوم شتى، شملت العديد من المجالات كالفقه الإسلامي والفلسفة والتّصوف وتاريخ المذاهب والفرق وآداب العرب ولغتهم.[1]

[1]- ينظر: إجنتس جولد تسيهر: دراسات محمدية، تر: الصديق بشير نصر، ط2، مركز العالم الإسلامي لدراسة الاستشراق، لندن،2009م، ج2، ص396.

يقول تلميذه جوزيف سوموجي j.–somogyi بأنّ جولد تسيهر يعتبر"أوّل من فسّر الفقه الاسلامي، وأوّل من رسم التّطور الديني للإسلام، مع اهتمام خاص بصراعاته الدينية الداخلية، وقد غطّى مجالُ بحثه كل ضروب الثقافة الاسلامية، وإلى حد ما يمكن استثناء التاريخ السياسي الحاضر للبلدان الإسلامية، الذي لم يتعامل معه في مؤلفاته باللغات الأجنبية"[1].

كما نجد أيضا المستشرق النّمساوي **ألفرد فان كريمر** Alfred von Kremer في كتابه **الحضارة الإسلامية ومدى تأثّرها بالمؤثّرات الأجنبية**، والذي تحدّث فيه عن أخذ الإسلام من الديانات الأخرى كالمسيحية واليهودية، كما أنّ النّظام السياسي في الإسلام متأثّر بعوامل أجنبية رومانية وفارسية.

4- الاهتمام باللغة العربية والأدب العربي:

إنّ الحضارة العربية والإسلامية هي أرقى ما عرفت الإنسانية في تاريخها الطويل فقد ساهمت بلغتها في حفظ ما وصل إلينا من الحضارات القديمة وأضافت إليها كلّ ما جادت به قرائح أبنائها، ثم بعد ذلك قدّمته جاهزا للعالم، وكان ما قدمته و منحته أساسا لقيام حضارات جديدة.

ولذلك فلم تكن اللغة العربية لتكون بمنأًى عن اهتمامات المستشرقين، فهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم وهي التي كُتبت بها مختلف العلوم التي اشرأبّت إليها أعناق المستشرقين، وعليه فقد نالت حظًّا وافرا من أبحاثهم ودراساتهم، باعتبارها المحور الأساس الذي قامت عليه تلك الحضارة، فقد كانت لغة العلم والتواصل في تلك الحقبة الزّمنية، وبذلك فقد وجّه المستشرقون أنظارهم نحوها، وأشهروا وسائلهم و إمكانياتهم المعنوية و المادية صوبها.

لقد بدأ الاحتكاك الفعلي بين الاستشراق واللغة العربية بإرسال الكنيسة لأتباعها إلى الأندلس ودراستهم في جامعاتها ومراكزها التعليمية على أيدي علمائها، ثمّ تطوّر الأمر بعد ذلك إلى ترجمة الكتب العربية في مختلف المجالات العلمية إلى اللغة اللاتينية، وذلك حتّى تكون أساسا لهم في نهضتهم، ثمّ

[1]– إجنتس جولد تسيهر: دراسات محمدية، مرجع سابق، ص384.

انتهوا إلى إنشاء كراسٍ خاصة بتعلّم اللغات الشرقية في جامعاتهم ليخرّجوا منها مستشرقين ومبشّرين متضلّعين من اللغة العربية، وقادرين على البحث والكتابة والتأليف، ومقارعة العرب والمسلمين بلغتهم.

في فرنسا مثلا ازداد الاهتمام بعلوم الشّرق منذ تأسيس مدرستي **ريمس وشارتر** في القرن الثاني عشر، ثمّ إنشاء كرسي اللغة العربية في باريس سنة 1311-1312م[1]، فنجد مثلا المستشرق **بوستل** Guillaume Postel قدْ ألّف كتابه **قواعد اللغة العربية** سنة 1538م.

ثمّ جاء الدّور على شيخ المستشرقين الفرنسيين **سلفستر دي ساسي** Silvestre de Sacy فهو" يعتبر أسطورة هذا الاستشراق، ومنبره الأبرز، وكانت الرّحال تشدّ إليه من أطراف أوربا للتّعلّم منه"[2]، حيث تخصّص في مجال اللغة العربية وألّف كتابه في النّحو العربي في مجلدين، كما حقّق وطبع مقامات الحريري، ثمّ حقّق ونشر كتاب كليلة ودمنة، وتتلمذ على يديه العديد من المستشرقين الفرنسيين والأوربيين، وقد خلفه بعد ذلك تلميذه أتيين كاترمير والذي يهمّنا في هذا المقام كتابه المعنون بـ "اللغة العربية وآدابها وجغرافيتها"[3]، وقد طبع في مجلّدين.

أمّا فيما فيما يتعلّق بالأدب العربي فإنّ "أهمّ دراسة في هذا الصدد هو كتاب‹‹ تاريخ الأدب العربي منذ البداية حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ›› الذي ألّفه المستشرق **ريجيس بلاشير** في ثلاثة مجلّدات تنتهي عند سنة 125 هجرية 742 ميلادية "[4].

وفي العصر الحديث ازداد نشاط الاستشراق الفرنسي واهتمامه باللغة العربية، خاصة بعد أن احتلت فرنسا الجزائر ودول الشّمال الإفريقي، فقد كانت هي لغة التواصل والتخاطب مع السّكان، وكانت

---

[1] – ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، ج1، مرجع سابق، ص138-139.

[2] – جهاد سعد: مناقشة كتاب رجل الاستشراق مسارات اللغة العربية في فرنسا، مجلّة دراسات استشراقية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد22، 1441هـ/ ربيع 2020م، ص193.

[3] – ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، ج1، مرجع سابق، ص171-172

[4] – ساسي سالم الحاج : نقد الخطاب الاستشراقي الظّاهرة الاستشراقيّة وأثرها في الدّراسات الإسلاميّة، ج1، مرجع سابق، ص112.

بحاجة إلى موظّفين يتقنون اللغة العربية، لكنّها ركّزت على اللهجة العامية، حيث قامت بإنشاء ثلاثة كراس لتعليم اللغة العربية، أحدهما لتعلم اللغة العامية في كوليج الجزائر، وآخر لتعليم العامية أيضا في وهران، والثالث في قسنطينة[1].

وفي انجلترا: ألّف **ليونارد شابيلو** Leonard Chappelow كتابًا في قواعد اللغة العربية سنة 1730م[2]، وترجم **السير ريتشارد برتون** Sir Richard Francis Burton كتاب ألف ليلة وليلة ترجمة فريدة في مطابقتها للأصل مطابقة شديدة[3]، ونشر **وليم رايت** William Wright كتاب الكامل للمبرّد لأوّل مرّة في العالم في ثلاثة أجزاء مع حواش وفهارس وافية[4].

وفي هولندا: لا يُنكر الدّور الذي لعبته جامعة ليدن في مجال الدّراسات العربية والإسلامية، ففيها برز العديد من المستشرقين الأكفاء أمثال **رينهارت دوزي** Reinhart Dozy الذي اشتهر بمعجم **تكملة المعاجم العربية** وهو في مجلّدين، وكذا المستشرق **سنوك هرجرونجه** Snouck Hurgronje الذي عدّ في أوربا عميد العربية بعد المستشرق المجري جولد تسيهر Ignác Goldziher [5]، وله مجموعة دراسات عن الإسلام وتاريخه وشريعته وبلاد العرب وتركيا والهند واللغة والأدب[6].

وفي إيطاليا: ذاعت شهرة **كارلو نللينو** Carlo Nallino الذي عمل أستاذا في الجامعة المصرية في الفلك وفي اللغة العربية، وله كتاب تاريخ الأدب العربي، ومن المشهورات أيضا المستشرقة **لورافيشيا فاغليري** Laura Veccia Vaglieri ولها مؤلّف بعنوان قواعد العربية الابتدائية.

---

[1] – ينظر: عبد الحميد برقية: الاستشراق الفرنسي والجزائر فيما بين 1879– 1962 دراسة تاريخية فكرية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة 8 ماي 1945، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قالمة ، الجزائر، 2021–2022م، ص160.

[2] – ينظر : نجيب العقيقي: المستشرقون، ج1، مرجع سابق، ص46.

[3] – المرجع نفسه، ص60.

[4] – المرجع نفسه، ص63.

[5] – ينظر : آمنة محمود الذيابات البطوش: المدرسة الاستشراقية الهولندية والتراث الإسلامي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد37، ج1، القدس، تشرين الأول 2015م، ص181.

[6] – ينظر : نجيب العقيقي: المستشرقون، ج1، مرجع سابق، ص316.

ولذلك فالفضل يعود لكثير من هؤلاء المستشرقين الغربيين في نفض الغبار عن أمهات الكتب العربية والإسلامية، وتحقيقها وفهرستها، ثمّ إخراجها في أبهى حلّة، وهذا لا يعني أنْ لا نردّ على ما وقعوا فيه من أخطاء، والتي ترجع كما يوضّح إسماعيل أحمد عمايرة، إلى أنّ قياسهم بمقاييس و موازين مختلفة عن مقاييسنا و موازيننا أوقع كثيرا منهم في الأخطاء، و في المقابل أوقعنا ذلك في الخطأ أيضا حين أقدمنا على تقويم أعمال المستشرقين دون دراية كافية، بطبيعة مناهجهم ومستلزماتها، والاستنتاجات المترتّبة عليها.[1]

5- الاستشراق و التصوّف:

يعتبر ميدان التّصوف من بين الميادين التي أولاها المستشرقون الغربيون اهتماما بالغًا، ففي دراسة مصغّرة قام بها عبد العظيم الديب على قدر لا بأس به من أعمالهم توصّل إلى ما مفاده أنّ ما نُشر من أعمال المستشرقين في مجال التّصوّف والفلسفة وعلم الكلام قد بلغ ما نسبته 43% من أعمالهم في حين حلّت التراجم والتاريخ في المرتبة الثانية بما نسبته 30% و لم يتجاوز التفسير واللغة والأدب والبلاغة والرحلات والجغرافيا والشّعر والطرائف والعلوم والفقه ما نسبته 3.2% لكلّ علم من هذه العلوم[2].

وهذا يدلّنا على مدى اهتمام المستشرقين بالتّصوف ورموزه، وقد تركّزت دراساتهم على محاولة الوصول إلى منشأ كلمة التّصوّف أو الصّوفي، كما خاضوا أيضا في مصادر نشأته وردّوها في الغالب إلى مصادر أجنبية على رأسها المسيحية، الغنوصية، الهندية، البوذية، الفلسفة اليونانية، وسنسلّط الضوء فيما يلي على مستشرقين بارزين اهتمّا بمجال التّصوّف أحدهما ينتمي إلى المدرسة الفرنسية، وهو **لويس ماسينيون** Louis Massignon ، والآخر هو **رينولد نيكلسون** Reynold Alleyne Nicholson أحد مستشرقي المدرسة الانجليزية.

---

[1]- ينظر: علي بن ابراهيم النملة: الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب،ط2، مكتبة بيسان، بيروت، ماي2015م، ص51-52.

[2] - ينظر: عبد العظيم الديب: المستشرقون والتراث، ط3، دار الوفاء، المنصورة، 1413هـ-1992م، ص15.

5-1- المستشرق ماسينيون والتّصوف:

يعتبر لويس ماسينيون Louis Massignon أحد أبرز المستشرقين الذين تكّلموا عن التّصوف عند المسلمين وارتبط اسمه بالمتصوّف الحسين بن منصور الحلّاج، ومن بين ما كتبه في هذا الميدان ما نجده مبثوثًا في دائرة المعارف الإسلامية تحت مادّة ‹‹ تصوف›› والتي طبعت بعد ذلك في كتاب شاركه فيه مصطفى عبد الرّازق، وفيه نجد نظرة ماسينيون للتّصوف، وتتكون هذه المادّة من عدة أجزاء منها أصل كلمة التّصوف و أصول التّصوف، شأن الصّوفية في الجماعة الإسلامية، و معنى الاتّحاد وتطوره في تاريخ التّصوف.

فعندما تطرق ماسينيون الى أصل كلمة التّصوف، قال بأنّها مصدر لفعل خماسي مصوغ من الفعل ‹‹ صوف ›› للدلالة على لبس الصوف، ومنه أصبح المنقطع لحياة الصوفية في الإسلام يعدّ صوفيا، وقد استعمل هذا المصطلح منذ القرن الثامن الميلادي.

ثمّ عرّج ماسينيون للحديث عن أصول التصوف، حيث يرى بأنّه لم يخْلُ منه قطر من الأقطار ولا أمّة من الأمم، ويمكن ردّه بالنّسبة للمسلمين إلى القرنيين الأولين للهجرة، والدّليل أنّنا إذا عدنا إلى كتابات الجاحظ وابن الجوزي فإنّنا نجدهما قد حفظا لنا أسماء أكثر من أربعين زاهدا عاشوا في ذلك العهد، وتبنّوا حياة التصوف[1].

أما بالنسبة لشأن الصوفية أو المتصوّفة- كما يراهم- في المجتمع الإسلامي فقد بيّن أنّهم لم يكونوا يتوقعون الاصطدام بالفرق الإسلامية الأخرى، فقد مالوا إلى العزلة وآثروا الفقر لكي يتقرّأوا القرآن لالتماس القربى من الله في الصلاة، لكنّ الفرق الأخرى قد نابذتهم العداء، وعلى رأسها الخوارج والمعتزلة

[1] – ينظر: ماسينون ومصطفى عبد الرّازق: التّصوف، تر: إبراهيم خورشيد وآخرون، ط، دار الكتاب اللبناني، 1984م، ص28-29.

والشيعة الإمامية وأهل السّنة، وذلك لأنهم يناشدون الضّمير ويحتكمون إلى قضائه الباطن، في حين أنّ شريعة القرآن تحاسب على الأعمال الظاهرة، وتعاقب النّاس على آثامهم[1].

ثمّ تكلّم ماسينيون عن معنى الاتّحاد وتطوّره في تاريخ التّصوف فرأى أنّ التّصوف في أول عهده كان يدور حول نقطتين هما أنّ العكوف على العبادة يولّد في النفس فوائد هي الحقائق الروحية، و أنّ علم القلوب يفيض على النّفس ‹‹معرفة›› تنطوي على استعداد الإرادة لتلقي هذه الفوائد[2].

وتطوّر التّصوّف أكثر في القرن الرّابع الهجري، وظهرت فيه مصطلحات اختلطت بالإلهيات عند أرسطو، وبمُثل أفلاطون، وفيوضات أفلوطين، ثمّ تطوّر أكثر في القرن السّابع الهجري وظهرت أبرز مدارسه وهي مدرسة وحدة الوجود التي تزعّمها ابن عربي الذي يرى بأنّ الله حالٌّ في مخلوقاته، وقد ردّ عليه علماء المسلمين من أمثال ابن تيمية.

وأخيرا يسلّط ماسينيون الضّوء على سمات وخصائص التّصوف ومن بينها[3]:

- أ- **الإسناد:** والذي يعتبر حلقة وصل تربط شيوخ الصوفية بالنّبي عليه الصلاة والسّلام.
- ب- **طبقات رجال الغيب:** وهم طبقة مكونة من النّقباء والأبدال والأمناء والعُمد، والقطب، وهم يتحكّمون في العالم حسب معتقدات المتصوّفة.
- ج- **الرُّخص:** ولاحدّ لسطوتها في نظر ماسينون وهي قديمة العهد، ترجع إلى أيام البسطامي والشّبلي.

أمّا مصادر المصطلحات الصّوفية عند لويس ماسينيون فهي أربعة[4]:

- الأوّل: القرآن وهو أهمّها.

---

[1] – ماسينون ومصطفى عبد الرّازق: التّصوف، مرجع سابق، ص32-33.

[2] – نفسه، ص35-36.

[3] – نفسه، ص44-45-46.

[4] – ر. أ. نيكلسون: في التّصوف الإسلامي وتاريخه، تر: أبو العلا عفيفي، د ط، القاهرة، 1947م، "مقدّمة المترجم"، ص: ي

- الثّاني: العلوم العربية الإسلامية كالحديث والفقه والنحو وغيرها.
- مصطلحات المتكلّمين الأوائل.
- اللغة العلمية التي تكوّنت في الشرق في القرون الستة المسيحية الأولى من لغات أخرى كاليونانية والفارسية وغيرهما وأصبحت لغة العلم والفلسفة.

5-2- المستشرق نيكلسون و التصوف:

يعدّ المستشرق الانجليزي رينولد ألن نيكلسون Reynold Alleyne Nicholson واحدًا من أبرز المهتمّين بالتّصوّف الإسلامي، حيث قضى سنوات طويلة من حياته في دراسة وتحقيق وترجمة مصادر المتصوّفة، ومن أبرز أعماله: نشر ديوان ‹‹ مثنوي معنوي›› للشاعر جلال الدين الرّومي مع ترجمة وشرح في ثماني مجلدات، كما حقّق ونشر كتاب ‹‹ تذكرة الأولياء›› للشيخ فريد الدين العطار، وكتاب ‹‹ اللّمع ›› لأبي نصر السّراج وهو من أمهات كتب الصّوفية، وكتاب ‹‹ ترجمان الأشواق›› لابن عربي[1].

ويوافق نيكلسون المستشرق ماسينون في أنّ كلمة التّصوف أو الصّوفي مأخوذة من لفظة ‹‹الصّوف››، وذلك اعتمادًا على بحث أجراه المستشرق الألماني نولدكه في هذا الشّأن، لأنّها كانت في الأصل موضوعة لزهاد المسلمين الذين تشبّهوا برهبان النّصارى في ارتدائهم غليظ الصّوف دليلَ ندمهم على ما أسلفوا.[2]

أمّا نشأة التّصوف وأصله فإنّه يرجع حسبه إلى عدّة مصادر امتزجت فيما بينها لتكّوّن التّصوّف الإسلامي، فمن بينها **الديانة المسيحية**، فالرّهابنة المسيحيون كثيرًا ما يظهرون في مقام المعلّمين يولون النّصح والتسديد لزهاد مسلمين متنقلين[3]، ومن بينها أيضا **الفلسفة اليونانية** فقد انتشرت أفكار أفلاطون

[1] – ينظر: عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص593.

[2] – ينظر: ر. أ. نيكلسون: الصوفية في الإسلام، تر: نور الدين شريبة، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2002م، ص11-12.

[3] – المرجع نفسه، ص19.

وأرسطو وكان الوصول إليها سهلا ميسورًا على السّكان المسلمين في غربي آسيا وفي مصر[1]، كما نجد من بين المصادر أيضًا **الفلسفة البوذية** فطريق الصّوفية من حيث كونها تثقيفًا خلقيا للنفس، وتأمّلا زهديا، وتحرّرا عقليا مدينة بالكثير للبوذية[2].

ولذلك فكلّ من ماسينيون ونيكلسون يتّفقان على أنّ منشأ التّصوف عند المسلمين ليسَ إسلاميًا بحتًا، بل كان امتزَاجًا بين عوامل داخلية وخارجية التقت لتكوّن مذهب التّصوف، وتبقى مسألة المصدر الأوّل الذي استقيت منه الحياة الرّوحية الإسلامية أو المصادر المختلفة التي استمدّت منها هذه الحياة بعض عناصرها موضعًا للبحث ومثارًا للخلاف في الرّأي سواءٌ بين القدماء أم بين المحدثين[3].

ثانيا: الموقف الاستشراقي الغربي من علوم المعرفة عند المسلمين:

لم تكن آراء المستشرقين حول القرآن الكريم، ومختلف العلوم الإسلامية مفاجئة لكثير من الباحثين العرب والمسلمين، فقد نشأ الاستشراق– كما عرفنا– من لدن الكنيسة وبمباركتها ولأهداف معلنة وخفية كانت تتوخّى الوصول إليها وتحقيقها، ولذلك فإنّنا قلّما نعثر على مستشرقين منصفين، بل إنّ غاية ما نجده من اختلاف بين المستشرقين عمومًا هو التّفاوت في شدّة حقدهم على الإسلام والمسلمين ومجاهرتهم بذلك العداء، أو التدثّر بمسوح البحث العلمي ودسّ السّم في العسل لخداع المسلمين وتشويه دينهم، والتأثير على من حذا حذوهم من المسلمين الذين يتلقون كل ما هو غربي بالتّصديق والتّسليم.

وفيما يلي بسط لأهم مواقفهم من القرآن الكريم وأهمّ العلوم الإسلامية، ولا يعنينا هنا التركيز والتوسّع في الرّد عليهم وإظهار المزالق التي وقعوا فيها بقدر ما يهمّنا بيان مواقفهم، كما أنّنا أرجأنا الرّد إلى الفصل الأخير الذي خصّصناه لطرح آراء المستشرق الألماني كارل بروكلمان من سيرة الرّسول ﷺ فمن من البديهي أنّ أغلب كلام المستشرقين هو اجترار عن بعضهم البعض.

---

[1] – ر. أ. نيكلسون: الصوفية في الإسلام، مرجع سابق، ص24.

[2] – نفسه، ص28.

[3] – ينظر: محمّد مصطفى حلمي: الحياة الروحية في الإسلام، د ط، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2011م، ص31.

1- موقف المستشرقين من القرآن الكريم:

1-1- القرآن من تأليف محمّد " ﷺ " ومستمد من مصادر يهودية ونصرانية:

سعى الكثير من المستشرقين إلى إثبات أنّ القرآن الكريم من تأليف النّبي محمّد ﷺ، وقد ألّفه مستعينًا بمصادر يهودية ونصرانية، متجاهلين كلّ ماورد في القرآن أو الأحاديث أو السّير عن كون النّبي ﷺ كانَ أمّيًا لا يقرأ ولا يكتب.

فنجد مثلا المستشرق اليهودي **أبراهام جيجر** Abraham Geiger يرى بأنّ النّبي حتّى وإنّ كان أمّيًا فلا يعني ذلك أنّه لم يطّلع على التراث اليهودي مشافهة، فقد كانت للنّبي محمّد" ﷺ " علاقة حميمة بعبد الله بن سلّام وورقة بن نوفل الذي كان يهوديًا ثمّ تنصّر، فهو مطّلع على اللغة والأسفار العبرية، وكذلك كان حبيب بن مالك وهو أمير عربي قوي، وقد أصبحوا أتباع محمّد " ﷺ " فيما بعد، وهكذا كان لمحمّد " ﷺ " فرصة كبيرة للتّعرّف على اليهودية[1]، ولكن الذي لم يشرحه غايغر هو أنّه كيف لعاقل التّصديق أنّ نفس الأشخاص الذين من المفترض أنّ النّبي قد أخذَ عنهم تعاليم القرآن قد أصبحوا أتباعه فيما بعد وليس العكس!

فالقرآن بالنسبة للمستشرق **غايغر** مأخوذٌ من اليهودية سواءٌ كان باللفظ أم بالمعنى، والنتيجة التي أراد الوصول إليها هي أنّ النّبي كان له اطّلاع على كتب اليهود بلغاتها المختلفة: العبرية والآرامية وبأنواعها المختلفة: التوراة والمكتوبات والأنبياء والمشنا والجمارا والمدراش والترجوم[2].

وفي نفس المنحى يأتي كلام **جورج سيل** George Sale حيث صرّح في مقدّمة ترجمته الانجليزية للقرآن الكريم قائلا " أمّا أنّ محمّدًا كان في الحقيقة مؤلّف القرآن والمخترع الرّئيس له فأمر لا

[1] – ينظر: أبراهام غايغر: اليهودية والإسلام، تر: نبيل فياض، ط1، دار الرافدين، لبنان، 2018م، ص74.

[2] – محمد صالح البنداق: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، مرجع سابق، ص107-108.

يقبل الجدل، وإنْ كان من المرجّح–مع ذلك– أنّ المعاونة التي حصل عليه من غيره في خطّته لم تكن معاونة يسيرة"[1]، ومن أين ستأتي تلك المعاونة حسب المستشرقين إنْ لم تكن من اليهود والنّصارى!

ونفس الرّأي نجده عند **إجناس جولد زيهر** Ignác Goldziher في كتابه العقيدة والشّريعة في الإسلام حيث يرى" أنّ تبشير النّبي العربي ليسَ إلّا مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتّصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثّر بها تأثّرًا عميقًا، والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه"[2].

كما اجتهد كثير من المستشرقين في إثبات أنّ مكّة وشبه الجزيرة العربية كانتا تعجّان بالمسيحيين واليهود، والذين كانوا يعملون في الصناعات والحرف الصّغيرة، وكلّ ذلك لإثبات نظريتهم في أنّ النّبي ﷺ كان على اتّصال بهم، ولا تخفى أيضًا قصّة الرّاهب بحيرا التي ردّدها كثير من المستشرقين و امتلأت بها كتبهم، والتي تزعم أنّ النّبي ﷺ قد التقى بهذا الرّاهب عندما سافر مع عمّه وهو صغير في قافلة تجارية إلى الشّام، فتعلّم من هذا الرّاهب حسب زعمهم.

وكلام هؤلاء مردود عليهم كما قلنا، ولا يصدّقها من له أدنى مسكة من عقل، فلو كان هؤلاء كلّهم أساتذة للنّبي ﷺ لكان تابعًا لهم، ولشاع أمره في مكّة، ولكان لهم متعلّمون آخرون غير النّبيّ الكريم، ولما آمن به بعض هؤلاء عندما أعلنَ أنّه نبيّ من عند الله كما تطالعنا بذلك كتب السّير.

1-2- جمع القرآن وتدوينه في نظر المستشرقين:

رغم أنّ هناك إجماعًا بين المسلمين على أنّ القرآن الكريم قد حفظ في الصّدور وكتبَ في السّطور في زمان النّبيّ ﷺ، على العُسب، والرّقاع والقراطيس والوسائل التي كانت متوفّرة آنذاك، ثمّ جمع بعد وفاة النّبي في عهد الخليفة الرّاشد أبي بكر الصّدّيق، وذلك خوفًا على ضياعه بعد أنْ استشهد خلق

[1] – محمّد عبد الله الشرقاوي : الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي، دط، دار الهداية، القاهرة، دت، ص33.

[2] – إجناس جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، تر: محمد يوسف موسى وآخرون، ط2، دار الكتب الحديثة، القاهرة، دت، ص12.

كثير من حملته في القتال الذي دار بين المسلمين والمرتدين في اليمامة من أتباع مسيلمة، ثمّ جمع في عهد عثمان بن عفّان ووزّع على الأمصار الإسلامية، إلّا أنّ المستشرقين كعادتهم يحاولون مخالفة الإجماع الذي عليه جمهور الأمّة، فيتركون المصادر المعتمدة، ويتتبّعون أي روايات واهية لتدعيم مواقفهم.

فنجد مثلا المستشرق الفرنسي **ريجيس بلاشير** Régis Blachère يرى بأنّ الوحي لم يكتب في مكّة كما يظنّ المسلمون بل كتب بعد هجرة النّبي إلى المدينة، حيث يقول" ويبدو أنّ فكرة تدوين مقاطع الوحي الهامة التي نزلت في السنوات السالفة على مواد خشنة من الجلود واللخاف لم تنشأ إلّا بعد أن أقام محمّد في المدينة"[1].

كما أنّ المستشرق **بول كازانوفا** Paul Casanova يشكّك في جمع القرآن وتدوينه أثناء حياة النّبي عليه الصّلاة والسّلام، ويتّهم الصّحابة بأنّهم حرّفوا القرآن الكريم وزادوا فيه بعد موت النّبي، ويورد عدّة أمثلة في كتابه ‹‹ محمّد ونهاية العالم››، وقدّ ردّ عليه إبراهيم عوض وتتبع طوامّه في هذا الكتاب، ومن بين المواضع التي ذكرها كازانوفا نجد قوله تعالى ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ** ﴾[2]، فهو يرى بأنّ كلمة "أمر" كلمة مطّاطة وأنّ عمر وأنصاره هم الذين ألصقوها بالقرآن بعد أن لم تكن موجودة فيه، وذلك لكي يقضوا على تطلّع علي في خلافة الرّسول[3].

[1] – بلاشير: القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، تر: رضا سعادة، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1984م، ص28–29.

[2] – سورة الشّورى/ الآية :38.

[3] – ينظر: إبراهيم عوض: محمّد ونهاية العالم للمستشرق الفرنسي بول كازانوفا عرض ومناقشة، دط، مكتبة الشيخ أحمد، القاهرة، 2018م، ص41.

كما نجد الكثير من تلك الشّبه المتهافتة في ثنايا كتب المستشرقين، والتي ردّ عليها علماء المسلمين وبيّنوا زيفها وبطلانها، ومن تلك الشّبه ماذكره ساسي سالم الحاج في كتابه، ومنها[1]:

- شبهة أنّ الصحابة أثناء الجمع أسقطوا منه بعض الآيات من أجل مصالحهم.
- شبهة أنّ في القرآن ما هو من كلام أبي بكر وعمر.
- شبهة غضب عبد الله بن مسعود لعدم إشراكه في جمع المصحف في عهد عثمان.
- شبهة إنكار نقل القرآن بالتواتر.

1-3- تفسير المستشرقين لظاهرة الوحي:

إنّ الوحي هو إعلام الله تعالى من اصطفاه من عباده كلّ ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة خفية غير معتادة للبشر[2]، فهو إذًا سبيل موصل لدين الله، وصلة تربط النّبيّ بربّه والله يبعث رسله إلى البشر مبلّغين لهم ما أراده سبحانه وتعالى من شرع وهداية.

ولمّا كان أغلب المستشرقين ينكرون نبوّة الرّسول ﷺ وأنّه ليسَ مرسلا من عند الله، فقد جرت أقلامهم في هذا الموضوع أيضا بالطّعن والتّشويه، ومحاولة ردّ الوحي إلى مصادر متعدّدة كما بيّنا آنفا وهي مصادر لم يأت فيها المستشرقون بجديد يذكر، فقد ردّدها قبلهم مشركو مكّة بعد أنْ أعجزهم القرآن بفصاحته وبلاغته، فوقفوا أمامه موقف العاجز المستسلم رغم نزوله على مبادئهم وقوانينهم.

فمن تفسيرات المستشرقين لظاهرة الوحي أنّه داخلي صادر من نفس النّبي ﷺ، وذلك نتيجة لإيمانه العالي وصفائه الرّوحي، وكثرة خلواته بنفسه، ولِما كان يعتلج في نفسه ممّا يراه من ضلال أهل بلده القرشيين وعبادتهم لأوثان لا تنفع ولا تضرّ. كلّ ذلك هيّأ له أنّه سمع ذلك الصّوت الدّاخلي الذي يقنعه أنّه نبيّ مرسل لهداية النّاس.

---

[1] – ينظر: ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي الظّاهرة الاستشراقيّة وأثرها في الدّراسات الإسلاميّة،ج1، مرجع سابق، ص322.

[2] – محمود ماضي : الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، ط1، دار الدعوة، القاهرة، 1996م، ص47.

ومن آرائهم أيضًا في أنّ الوحي ليس سماويا، بل بشري المنشأ هو ما ادّعوه من تعلّم النّبي محمّد من اليهود الذين دخلوا الإسلام، وهي شبهة متهافتة، فالمفترض أنّ الذين دخلوا الإسلام هم الذين تأثّروا بالقرآن الكريم وبالنّبي محمّد وصدّقوا كلّ ما جاء به من تعاليم وشرائع تعارض شرائعهم السّابقة، وإلّا فلماذا يتركون دينهم من الأساس!

ومنهم من ذكر أيضا المسيحية كمصدر للوحي إلى النّبي، فزعموا أنّه تعلمّ من الراهب بحيرا في رحلة خاطفة إلى بلاد الشّام، أو أنه تعلّم على يد ورقة بن نوفل الذي كان نصرانيا في مكّة، أو أنّه كان يتردّد على حدّاد رومي في مكّة أيضا، وهذا رأي منافٍ للعقل، فلو كان أحدُ هؤلاء مصدرا للوحي لكان الأحرى به أنْ يكون هو النّبي، ولا يمنح النّبوّة لغيره من البشر.

والحقّ أنّ كلّ من ذكرنا من اليهود أو النّصارى كانوا ينتظرون أنْ يظلّهم زمان نبيّ، عرفوا قرب مبعثه من كتبهم، فمن تبعه منهم فإنّما كان عن بيّنة وبصيرة، ومن عصاه فقد ظلم نفسه، وصدق عليه قوله تعالى ﴿ **قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ** ﴾[1].

وما قلناه عن المستشرقين الذين أنكروا ظاهرة الوحي لا يعني أنّنا نضع المستشرقين جميعًا في سلّة واحدة، بل إنّنا نجد أنّ هناك آراء ودراسات استشراقية تميّزت بالعدل والإنصاف، وانتهت إلى أنّ مصدر الوحي هو الله الواحد، وأنه بعيد كل البعد عمّا يدّعيه المغرضون كالاختلاق والشّعوذة والروحانيات والنبوغ والعبقرية وغير ذلك.

2- موقف المستشرقين من السنّة النّبوية:

تبوّأت السّنة النّبوية مكانًا مرموقًا لدى المسلمين قديمًا وحديثًا، وذلك لأنّها تمثّل أقوال الرّسول ﷺ وأفعاله وأعماله، فهي مصدر أساسي من مصادر التّشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، ولأنّها أيضًا لم تسلم منذ القديم من تكالب الفرق المنحرفة والوضّاعين وأتباع الدّيانات الأخرى من مبشّرين ومستشرقين.

[1] – سورة البقرة/ الآية :61.

وقد وردت آيات قرآنية كثيرة تدلّ على حجّية السّنة ومكانتها في الدّين، فمنها قوله تعالى ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[1]، وقوله أيضًا ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[2]، فالنّبي ﷺ بعد نزول القرآن أو الذكر يبيّن للنّاس ما أُشكل عليهم، كما أنّه حكم بين المسلمين بسنّته الشّريفة، وما عليهم إلّا السّمع والطّاعة.

وقد درس كثير من المستشرقين السنّة النّبوية لا ليكيلوا لها المديح والثّناء، بل للطّعن فيها والافتراء عليها، فقد عرفوا أنّ الحديث النّبوي هو الذي جعل من الإسلام دينًا كاملا شاملا متناولا كلّ جوانب الحياة في كلّ زمان ومكان، فبحثوا عن السّبيل لهدمه، فوجدوا أيسر وسيلة التّشكيك فيه أو ادعاء أنّ أكثره مختلق[3].

ومن أشهر الذين عُنوا بدراسة السنّة ووجّهوا سهامهم نحوها من عتاة المستشرقين نجد **إجناس جولد تسيهر** Ignác Goldziher الذي يعتبر أحد أعمق العارفين بالحديث الشّريف في رأي بني جلدته، لدرجة تصريح صاحب مادة ‹‹الحديث›› في دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية بأنّ العلم مدينٌ دينًا كبيرا لما كتبه جولد تسيهر في موضوع الحديث[4]، كما أكّد الصّديق بشير نصر في مقدمته لترجمة كتاب **‹‹دراسات محمّدية››** أنّه يعدُّ أهمّ مُؤلَّف يتّصل بموضوع الحديث النّبوي على الإطلاق، ولم يستطع الفكر الاستشراقي أن يتجاوز نتائجه حتّى الآن[5].

لقد اتّهم جولد تسيهر من غير مواربة الصحابة والتّابعين بوضع الأحاديث على لسان النّبي ﷺ لخدمة مصلحة معينة أو حزب معين، فنراه يقول" وبعد موت النّبي أضافوا كثيرا من الأقوال النّافعة التي

---

[1] – سورة النحل/ الآية :44.

[2] – سورة النّساء/ الآية :65.

[3] – ينظر: محمد بهاء الدين: المستشرقون والحديث النّبوي، مرجع سابق، ص23.

[4] – المرجع نفسه، ص21.

[5] – إجناس جولد تسيهر: دراسات محمدية، ج2، مرجع سابق، ص5.

ظنّوا أنّها تتّفق مع رأيه، وأنّها في نظرهم تنسبُ إليه شرْعًا"[1]، كما اعتبر أنّ الأحاديث الشريفة إنما كان منشؤها هو التّطوّر الديني والتاريخي والاجتماعي في الإسلام خلال القرنين الأوّل والثّاني الهجريين.

ومن المسلّم به لدى علماء المسلمين أنّ الحديث الشريف قد بدأ تدوينه بنسبة قليلة في عهد الرّسول ﷺ، فرغم أنّهم خصّصوا كلّ وقتهم للقرآن الكريم إلّا أنّ هذا لم يمنع من أنّ عددا لا بأس به من الصحابة كان لهم صحف خاصة بهم يكتبون فيها حديث النّبي ﷺ، وشجّعهم على ذلك أنّ الرّسول لم يمنعهم من الكتابة، وقد أُثِر عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنّه كان له صحيفة سمّيت بالصّادقة.

إلّا أنّ جولد تسيهر بأسلوبه التشكيكي يصرّح زاعما أنّه" ليس من الممكن التأكّد ممّا إذا كان وجود ما يسمى بالصّحف أو الكتب يتّفق مع الواقع أم أنّها صحف موضوعة اختلقها المتأخرون في مواجهة نفاة التّدوين"[2].

وهو يهدف من خلال ذلك كما يقول محمّد بهاء الدين إلى أمرين هما[3]:

- إضعاف الثقة بالحديث وحفظه في الصّدور.
- اتّهام الحديث كلّه بالاختلاق والوضع على ألسنة المدونين.

وحتّى بعد التدوين الرّسمي للسّنة الشّريفة في العهد الأموي وتحديدا على يد الخليفة عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى من الهجرة واصل جولد تسيهر طعنه في الحديث ورواته، فنراه يقول" وقدْ ظهر جيلٌ جديد يروي أقوالا تُعزى للنّبي، كما أنّ ثمّة أشياء جديدة خرجت للوجود، فأيّ شيء يبدو للأتقياء مرغوبًا فيه يمنحونه سندًا يرفعه للنّبي"[4]، كما رأى هذا المستشرق أيضًا أنّ بني أميّة كانوا بعيدين عن التّديّن وقاموا بتشجيع وُضّاع الأحاديث ومباركة عملهم، خاصة إذا كان يخدم أهدافهم.

---

[1] – إجناس جولد تسيهر: دراسات محمدية، ج2، مرجع سابق، ص17.

[2] – نفسه، ص23.

[3] – ينظر: محمد بهاء الدين: المستشرقون والحديث النّبوي، مرجع سابق، ص65.

[4] – إجناس جولد تسيهر: دراسات محمدية، ج2، مرجع سابق، ص57.

وقد تأثّر كثير من المستشرقين خُطى جولد تسيهر في الدّراسات الحديثية كالأمير الإيطالي **ليوني كايتاني** Leone Caetani ، **مونتغمري وات** Montgomery Watt ، **غاستون ويت** Gaston Wiet ، **إميل درمنغم** Émile Dermenghem، فتناولوا أحاديث النّبيّ ﷺ بالّطعن والتّجريح وتكلّموا عن المتن والسّند، ورأوا أنّ الأسانيد قد ظهرت متأخّرة، وشّوهوا رواة الحديث كابن عباس وأبي هريرة والزّهري واتّهموهم باختلاق الأحاديث وممالأة الأمويين، فنضرب مثلا بالمستشرق الفرنسي **إميل درمنجم** حيث يتّهم أبا هريرة باختلاق الأحاديث، فيقول" اشتهر أبو هريرة بعدد ما رواه من الأحاديث المشكوك في صحته، وكان أبو هريرة يتبع النّبي حيثما ذهب حتى في نزهه الخاصة، فيتسقط أقواله ويلاحظ أدقّ حركاته، وكان هذا الضيفن المحبوب يفضّل على العمل ملازمة مولاه، وما يصدر من تعاليمه، وكان إذَا ما عضّه الجوع يشدّ بطنه بحجر ويذهب إلى من يتلو عليه القرآن طمعًا في دعوته إلى الطّعام"[1].

فواضح أنّ كلام **درمنغم** يطفح بالحقد والانتقاص من هذا الصّحابي الجليل، كما لقيتْ أفكار **جولد تسيهر** صدًى لدى الحداثيين العرب كمحمد شحرور ونصر حامد أبو زيد، ومحمود أبو ريّة، هذا الأخير الذي ألّف كتابه الموسوم ‹‹ شيخ المضيرة أبو هريرة ›› فهو غاصٌّ بالطّعن والتشويه في هذا الصّحابي وهدف الجميع هو الطّعن في أحاديث النّبي ﷺ وإسقاط السّنة وضربها في مقتل.

3- نظرة المستشرقين لسيرة الرّسول ﷺ:

شدّت سيرة الرّسول ﷺ اهتمام المستشرقين على غرار القرآن الكريم والسّنة النّبوية الشّريفة، فدرسوا كلّ شاردة وواردة فيها منذ نشأة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام إلى غاية وفاته، فتكلّموا عن تاريخ مولده وعن والده وحالته المادية، وعن اليتم الذي عانى منه صغيرا وأثره على نفسيته، وعن كفالة جدّه ثم عمّه له، وعن رعيه الغنم لأهل مكّة ثمّ تجارته بعد ذلك، وعن زواجه من السّيدة خديجة واستفادته مادّيا من

[1] – إميل درمنغم: الشّخصية المحمّديّة السّيرة والمسيرة، تر: عادل زعيتر، ط3، الشعاع للنشر والتوزيع، مصر، 2005م، ص170.

ذلك الزّواج، وعن عزلته في غراء حراء، وعن تأثّره بكتب اليهود والنّصارى وادّعائه النّبوة، وعن هجرته عليه الصلاة والسلام وعلاقته باليهود في المدينة المنوّرة، وغير ذلك من المواضيع التي نجدها مبثوثة بين ثنايا كتب المستشرقين.

والحقيقة أنّنا لا نعثر إلا على النزر اليسير من الدّراسات الاستشراقية المنصفة في هذا المجال وذلك في مقابل الكمّ الهائل من الكتب والدّراسات المليئة بالتّحامل والافتراء على سيرة الرّسول ﷺ، ولا غرو في ذلك، فقد بدأ الاستشراق خطواته الأولى داخل الكنيسة، وأخذ الكتّاب اللّاتين كما يقول المستشرق الفرنسي **رودنسون** Maxime Rodinson يوجّهون اهتمامهم نحو حياة محمد دون اعتبار للدّقة، وأطلقوا العنان لخيالاتهم، فكان محمد ساحرا هدم الكنيسة في إفريقيا والشّرق عن طريق السّحر والخديعة[1].

وسنسلّط الضوء فيما يلي على بعض الشّبهات المثارة في مجال السيرة النّبوية:

3-1- غموض حياة الرّسول ﷺ:

ذكر العديد من المستشرقين هذه الشّبهة انتقاصًا من الرّسول ﷺ، فنجد المستشرق لويس سيديو Louis Sédillot يصرّح قائلا " كانت سنوات محمّد الأولى غامضة"[2].

ونفس الرأي نجده أيضا عند المؤرخ والمستشرق ويل ديورانت Will Durant في قوله " ولا نكاد نعرف عن شباب محمّد إلّا القليل"[3].

وحقيقة الأمر أنّ الغموض الذي يزعمه المستشرقون راجع إلى أنّهم يرفضون اعتماد القرآن الكريم وكتب السنّة النّبوية والسّير كدليل على حياة النبي محمّد ﷺ، ولا عجب في ذلك، فكيف يعتمدونها وهم يطعنون فيها من الأساس.

---

[1] – ينظر: إبراهيم أحمد: سيظلّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم مهما أساؤوا، دط، دار ناشري، الكويت، اكتوبر 2011، ص32.

[2] – سلطان بن عمر بن عبد العزيز الحصين: موقف المستشرق سيديو من السيرة النبوية، بحث مكمل لنيل درجة الماجيستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة، المملكة العربية السعودية، 1413هـ، ص25.

[3] – نفسه، ص26.

كما أنّ شبهة الغموض هذه لا يوافقهم فيها حتّى بنو جلدتهم فنثبت هنا مثلا كلاما للمستشرق البريطاني **رونالد فيكتور بودلي** Victor Bodley إذْ يقول" وبينَا أنّنا لا نجد ما دوّنه معاصرو موسى أو كونفوشيوس أو بوذَا، وبينا أنّنا لا نعرف إلّا بعض شذرات عن حياة المسيح بعد رسالته، ولا نعرف شيئًا عن الثلاثين سنة التي مهدت الطريق للسنوات الثلاث التي بلغ فيها أوجهُ، إلّا أنّ قصّة محمّد واضحة كلّ الوضوح، ففي سيرة محمّد نجد التاريخ بدل الظلال والغموض، ونعرف الشيء الكثير عن محمّد كما نعرف ذلك عن رجال عاشوا في أزمان أكثر قربًا من زماننا"[1].

3-2- رفض نبوته عليه الصلاة والسّلام:

يكاد الإجماع أن يتحقّق بين المستشرقين الغربيين على رفض نبوّة الرّسول محمّد ﷺ، فنراه يظهر في كتبهم في صور مختلفة، فأحيانا نراه عندهم كاهنًا أو متأثّرا بكتب أهل الكتاب، أو صاحب خيالات نفسية، وأحيانًا نراه يظهر صاحب طموح أو بطلاً أو مصلحًا أو عبقريا، ولكنّ الذي لا جدال فيه أنّه قطعا ليس نبيّا بالنّسبة لهم.

فمونتجمري وات Montgomery Watt مثلا يرفض نبوة محمد ﷺ ويرى بأنّ مصدر الوحي إلى النّبي نابع من نفسه حيث يقول عن الوحي" هذه الكلمات وصلت لمحمّد من لا شعوره..أي قبل أن يصبح شعوره واعيا بها، بل ويمكن للمرء أن يقول: إنّ اللاشعور هو الميدان الذي تؤثّر فيه الملائكة والشياطين أيضًا.. ونخلص من كلّ هذا أنّ اللاشعور مسألة غير بعيدة تمامًا عن فكرة الوحي"[2].

[1] – رونالد فيكتور بودلي : الرّسول حياة محمّد، تر: عبد الحميد حودة السّحار، محمد محمد فرج، دط، دار الكتاب العربي، دت، ص9-10.

[2] – رائد محمد عبد الوهاب أبو رية : السيرة النبوية في فكر(مونتجمري وات وكارين أرمسترونج) دراسة تحليلية تقويمية، رسالة ماجيستير، جامعة الأزهر الشريف، كلية أصول الدين والدعوة، طنطا، مصر، دت، ص336.

ويصوّر **سيديو** Louis Sédillot الرّسول ﷺ في صورة الزّعماء وطالبي المجد والملك حيث يقول " وهو إذا كان يتمنى لوطنه نظامًا غير الذي يحيق به كان يسأل في نفسه كيف يستطيع أن ينقذ النّفوس مما هي غائصة فيه من الهمجية"[1].

أمّا المستشرق **توماس كارليل** Thomas Carlyle فيرى في كتابه ‹‹ الأبطال›› أنّ محمّدا أحد أولئك الأبطال الذين يستحقّون المديح والثّناء نظرا لما قام من تغيير كبير في العالم وإتيانه بهذا الدّين الذي تتبعه هذه الأعداد الهائلة من البشر، ويصرّح بأنّنا" لا نعدّ محمدا هذا قطّ رجلا كاذبًا متصنّعًا يتذرّع بالحيل والوسائل إلى بغية أو يطمح إلى درجة ملك أو سلطان أو غير ذلك من الحقائر والصّغائر، وما الرسالة التي أدّاهاإلّا حقٌّ صراح وما كلمته إلّا صوتٌ صادقٌ صادر من العالم المجهول"[2]، ولكنّ كارليل عندما يذكر البطل في صورة شاعر، ويتكلّم عن الشّاعر شكسبير يرى بأنّ المقارنة بين شكسبير ومحمّد تعتبر غير ذات موضوع لأنّ بطولة شكسبير في أعلى عليين[3].

وفي هذا يرى عبد المتعال محمد الجبري أنّ المستشرقين يعمدون إلى تصوير النّبي بصورة البطل أو المصلح أو البليغ لأنّ كلّ هؤلاء تنتهي معهم كلّ أفكارهم، وليسوا جديرين بالخلود والاستمساك بمذاهبهم كما يستمسك النّاس برسالات الأنبياء[4].

ونخلص إلى أنّه: إذا كان وضعنا لجميع المستشرقين في منزلة واحدة فيما يخص نظرتهم للإسلام والمسلمين يخرجنا من دائرة الإنصاف، فإنّنا لا نجانب الصّواب إذا صنّفناهم كذلك في مسألة نظرتهم لنبوّة الرّسول محمّد ﷺ، فلا يظهر لنا فرقٌ ذو بال بين مستشرق اشتهر بشدّة عداوته للرّسول ﷺ مثل **الأب لامنس اليسوعي** Henri Lammens الذي كان متعصّبًا جدًّا ضدّ الإسلام والمسلمين حتى قيل

---

[1] – سلطان بن عمر بن عبد العزيز الحصين: موقف المستشرق سيديو من السيرة النبوية، مرجع سابق، ص33.

[2] – توماس كارليل: الأبطال، تر: محمد السباعي، ط3، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر،1930م، ص58.

[3] – ينظر: عبد المتعال محمد الجبري: السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، دط، مكتبة وهبة، القاهرة، دت ،96-97.

[4] – نفسه، ص97.

أنّه لا ينسى عواطفه فيما يكتب عن النّبي والإسلام[1]، وبين مستشرق مثل **غوستاف لوبون** Gustave Le Bon صاحب كتاب ‹‹ حضارة العرب›› الذي يعتبره كثير من الباحيثن العرب من المنصفين.

ولكنّ إنصافه يختفي عند تناوله لنبوّة النّبي ﷺ حيث يقول" حقًّا أنّ من أعاجيب التّاريخ أنّ يلبّي نداء ذلك المتهوّس الشّهير شعبٌ جامحٌ شديد الشّكيمة لم يقدر على قهره فاتح، وأن تنهار أمام اسمه أقوى الدّول، وألّا يزال يمسك وهو في جدثه ملايين من النّاس تحت لواء شرعه"[2].

3-3- رفض معجزاته عليه الصلاة والسّلام:

نتج عن إنكار المستشرقين لنبوّة الرّسول محمّد ﷺ إنكارهم أيضًا للمعجزات والكرامات التي خصّه به الله سبحانه وتعالى، ولعلّ من بين أبرز تلك المعجزات التي تحدّث عنها أهل الحديث والسّير حادثة شقّ الصّدر، ومعجزة الإسراء والمعراج.

وليس بمستغرب رفض المستشرقين الاعتراف بالمعجزات النبوية، فهو يأتي منسجما مع الاتجاه المادّي الذي اخترعوه ثمّ طبّقوه على السيرة النبوية، فهم يتعاملون معها دون اعتبار للجانب الغيبي الميتافيزيقي الذي هو لبّ الرسالات الدينية وجوهرها.

إنّ المشهور أنّ حادثة شقّ الصّدر قد وقعت عندما كان النّبي ﷺ صغيرا عند مرضعته حليمة السّعدية في بادية بني سعد، على أنّ هناك من العلماء من يرى بأنّها وقعت أكثر من مرّة واحدة للنبي ﷺ ومضمون الحادثة أنّ جبريل قد أتى إلى النّبي ﷺ وهو يلعب مع الغلمان فصرعه أرضا، ثمّ شقّ قلبه واستخرج منه علقة، وقال هذا حظّ الشيطان منك، ثمّ غسله بطست من ذهب، ثمّ أعاده مكانه.

يقول محمد سعيد رمضان البوطي تعليقًا على هذه الحادثة" وليست الحكمة من هذه الحادثة- والله أعلم- استئصال غدّة الشّر من جسم رسول الله ﷺ، إذْ لو كان الشرّ منبعه غدّة في الجسم أو علقة في

[1] – محمد العمارتي: السيرة النبوية في كتاب الإسلام عقائد ونظم، مجلّة دراسات استشراقية، السنة الثالثة، العدد الثامن، صيف2016م، ص 71.

[2] – شوقي أبو خليل: غوستاف لوبون في الميزان، ط1، دار الفكر، دمشق، 1990م، ص62.

بعض أنحائه لأمكن أن يصبح الشّرير خيّرًا بعملية جراحية، ولكن يبدو أنّ الحكمة هي إعلان أمر الرّسول ﷺ وتهييئه للعصمة والوحي منذ صغره بوسائل مادّية ليكون ذلك أقرب إلى إيمان النّاس به وتصديقهم برسالته"[1].

وقد رفض الكثير من المستشرقين حادثة شقّ الصّدر واعتبروها من الخرافات التي لا تثبت، وهذا مثلا ما نجده عند **ألفريد جيوم** Alfred Guillaume حيث رأى أنّ هذه الحادثة كانت سببًا في اتّهام المستشرقين للنّبي محمّد ﷺ بالصّرع، واعتبرها أسطورة وجرما في حقّ التّاريخ[2].

كما نجد هذا الرّفض أيضًا لدى المستشرق **نيكلسون** Nicholson الذي اعتبرها بدوره أسطورة نشأتْ من تفسير آية ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾[3]، ولو صحّت فيه لدلّت على الصّرع[4].

فمن الواضح أنّ المستشرقين جيوم ونيكلسون يرفضان حادثة شقّ الصّدر ويضعان من يقرأ لهما أمام خيارين أحلاهما مرّ: إمّا أنْ يرفض المعجزة وينكرها، وفي إنكارها إنكار لما يشاكلها من المعجزات وإمّا قبولها وإثبات أنّ النّبي كانت تعتريه حالات الصّرع.

ومن المستشرقين الآخرين الذي رفضوا حادثة شقّ الصدر ورأوا فيها دليلا على حالة عصبية أصابت النّبيّ محمّدًا ﷺ نجد المستشرقين الفرنسيين **فرانسو سفاري وإميل درمنجم**، وكذا الانجليزي **السير وليم موير**، وقد تابعهم في ذلك بعض الباحثين العرب كمحمّد حسين هيكل[5].

---

[1] – محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة النبوية، ط43، دار الفكر، دمشق، 2019م، ص62.

[2] – أمل بنت عبيد عواض الثبيتي: السيرة النبوية في كتابات المستشرقين البريطانيين دراسة تاريخية نقدية لآراء (توماس كارلايل، توماس أرنولد، ألفريد جيوم)، أطروحة ماجيستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1424هـ، ص138-139.

[3] – سورة الشرح/ الآية :1.

[4] – أكرم ضياء العمري: موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية ، مجلّة بحوث السّنة والسيرة، جامعة قطر، العدد8، ص 75.

[5] – ينظر: عبد المتعال محمد الجبري: السيرة النّبوية وكيف حرّفها المستشرقون(نقد لكتاب مختصر حياة محمد لسفاري)، ط1، دار الدعوة، الإسكندرية، 1994م، ص28.

كما شكّك فيها أيضًا صاحب كتاب ‹‹حضارة العرب›› حيث يقول "ورأى أبواه من الرّضاعة ما رأيا من الخوارق التي كانت تلازمه على زعم كتب السّيرة خافًا مغبّة الأمر ولم يريدَا بقاءهُ عندهما"[1].

وما قلناه عن حادثة شقّ الصدر نقوله عن معجزة الإسراء والمعراج التي حدثت في السّابع والعشرين من شهر رجب، قبل الهجرة النّبوية إلى المدينة المنورة بسنة واحدة، فقد طعن المستشرقون في حصول هذه المعجزة، وردّدوا ما قاله مشركو مكّة قبلهم.

فنجد مثلا **غوستاف لوبون** Gustave Le Bon في خضمّ حديثه عن الخوارق التي عزاها المسلمون للنّبي وألحقوها به يقول" وفضلا عن ذلك فإنّه أثبت للمسلمين الصالحين أنّه أسري بمحمّد ليلا على ظهر حيوان خيالي يسمّى البراق... ويعتقد المسلمون أنّ محمّدا اخترق السّماوات السّبع في معراجه حتّى بلغ عرش الإله"[2].

ويراها المستشرق **كولين تيرنر** Colin Turner مجرّد منام عابر حيث يقول" وفي ذلك الوقت مرّ بأكثر التّجارب الرّوحية وطأة، حيث قيل أنّه ترك جسده وصعد إلى العلا حيث مرّ بتجارب نفسية روحيّة عدّة.. مع تأكيد أنّها تمّت أثناء نومه"[3].

والواقع أنّ حادثة شقّ الصّدر أو معجزة الإسراء والمعراج من المعجزات التي حصلت للنّبي عليه الصّلاة والسّلام، والمعلوم أنّ المعجزات تتجاوز النّواميس الكونية، فلا سبيل إلى إثباتها عن طريق العقل لكنّ الذين آمنوا بنبوّة محمّد عليه الصّلاة والسّلام لن يجدوا صعوبة في قبولها لأنّ النّبيّ قد أخبر بذلك وأمّا من أنكر النّبوة، ورفض إلهية القرآن، واجتهد في البحث عن مصادر بشرية أثّرت على القرآن الكريم فلن تعييه الحيل في رفض هاته المعجزات وغيرها.

---

[1] – غوستاف لوبون : حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، دط، مؤسسة هنداوي للتّعليم والثقافة، مصر، 2012م، ص107.

[2] – نفسه، ص118" بتصرّف".

[3] – كولين تيرنر : الإسلام الأسس، تر: نجوان نور الدين، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009م، ص47.

3-4- علاقة النّبي ﷺ باليهود:

بدأت علاقة النّبي ﷺ الفعلية باليهود عند هجرته إلى المدينة المنورّة، فوضع وثيقة بين المهاجرين والأنصار ووادع اليهود، واتفق الجميع على نقاط معينة من بينها أن لا يقف اليهود مع أيّ عدوان يهدّد المدينة، ولكن مع توطّد أركان الدّولة الإسلامية في المدينة بدأ اليهود يكشّرون عن أنيابهم ويجادلون الرّسول ﷺ، وبدت البغضاء من أفواههم.

وكانت البداية بيهود بني قينقاع الذين أكثروا من استفزاز المسلمين، فقد كانوا معتدّين بقوتهم ويقولون للرّسول بعد بدر: يا محمّد لا يغرّنك ما أصبتَ من قومك، لئن لقيتنا لتعلمنّ أنّا نحن النّاس، ثمّ وقعت قصّة المرأة التي راودها اليهود على كشف وجهها في أحد أسواقهم، ووقع الشّر بين المسلمين واليهود، وكانت النتيجة هي إجلاؤهم خارج المدينة المنوّرة، وكان ذلك فيما يروي أهل السّير في السّنة الثانية للهجرة.

ثمّ جاء الدّور على بني النّضير الذين أرادوا الغدر بالرّسول ﷺ عندما كان في ديارهم، فنزل عليه الوحي يخبره بذلك، فحاصرهم النّبي ﷺ حتّى أجلاهم من المدينة، وقيل كان ذلك في السّنة الرّابعة للهجرة.

أمّا يهود بني قريظة فقد اتّفقوا مع الأحزاب الذين حاصروا المدينة المنوّرة في غزوة الخندق، ووقفوا في صفّ الأعداء وخانوا اتّفاقهم مع الرّسول ﷺ، والذي أبرموه مع المسلمين عند هجرة النّبي ﷺ ولذلك فقد حاصرهم النبي ﷺ حتّى نزلوا على حكمه، وحكم فيهم حليفهم سعد بن معاذ رضي الله عنه، ونالوا جزاءهم.

ولذلك فالغدر والخيانة متأصّلان في اليهود منذ القدم، ولكنّ كثيرًا من المستشرقين لعبوا على وتر أنّ الرّسول ﷺ قد ظلم اليهود وطردهم من ديارهم إمّا لأنّهم خالفوه، وكانوا يعرفون حقيقته–في زعمهم– أو طمعًا بما في أيديهم من المال.

فنجد مثلا **ألفريد جيوم** Alfred Guillaume يرى بأنّ النبيّ قد شنّ سلسلة من العمليات على اليهود بهدف طردهم من الحجاز، ويقدم جيوم سببين لذلك هما[1]:

- عدم اعترافهم بالنّبي في مجادلاتهم له.
- قوّتهم الاقتصادية والتي كانت مصدر ضيق شديد له.

فجيوم إذا يرى بأنّ النّبي ﷺ كانت له نيّة مبيّتة في الانتقام من اليهود وطردهم وذلك لأنّهم رفضوا دعوته وكانوا أقوياء ماليا.

والحقيقة التي لا مجال للشّك فيها هي أنّ القضاء على اليهود لم يكن بسبب مالهم ولا بسبب رفضهم لدعوة النّبي ﷺ، ولكن لأنّهم كانوا يظهرون غير ما يسرّون، ويسعون مع المنافقين في تثبيط المؤمنين وتخذيلهم، وكذا حياكة المؤامرات ضدّ الدولة الفتية، فكان لابدّ من قطع دابرهم.

4- موقف المستشرقين من الشعر الجاهلي:

نجد من أشهر المستشرقين الأوربيين الذين تكلّموا عن الشّعر الجاهلي المستشرق الإنجليزي **ديفيد صمويل مرجليوث** David Samuel Margoliouth ، وذلك في مقال له بعنوان ‹‹ نشأة الشّعر الجاهلي›› وقد ترجمه عبد الرحمان بدوي في كتابه ‹‹ دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي››، وهو مقال على جانب كبير من الخطورة نظرا للأفكار التي طرحها مرجليوث، ونظرا لأثره على الباحثين العرب وعلى رأسهم طه حسين في كتابه المثير للجدل الذي نشره سنة 1926م، والذي حمل اسم‹‹ في الشعر الجاهلي››.

يبدأ مرجليوث مقاله بالتّشكيك في أنّ العرب قبل الإسلام قد عرفوا الشّعر من الأساس، وكان دليله في ذلك هو أنّ النّقوش التي يرجع عمرها إلى ما قبل الإسلام لم تحمل لنا شيئا من الشّعر، وهذا شيء

[1] – أمل بنت عبيد عواض الثبيتي: السيرة النبوية في كتابات المستشرقين البريطانيين دراسة تاريخية نقدية لآراء (توماس كارلايل، توماس أرنولد، ألفريد جيوم)، مرجع سابق، ص160.

يدعو إلى الاستغراب في نظره لأنّ جميع الأمم ذوات الآداب قد تركتْ كتابات شعرية، وبصفة خاصة على المقابر.

ثمّ ينتقل مرجليوث للحديث عن نشأة الشّعر الجاهلي، معتمدا في كثير من أخباره على كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، فيرفض قول العلماء العرب بأنّ الشعر العربي قد بدأ ظهوره مع ‹‹المهلهل››، ثمّ بدأ في التّطور تدريجيا، ثمّ شرع في الحديث عن حمّاد الراوية واتّهامه بوضع الشّعر فيقول" ورواة الكوفة تمسكوا بصحة أشعار من المعروف أنّ حمادًا نظمها ونسبها إلى شعراء متقدّمين وكان يسامر بها خالد القسري والي الكوفة، ويروي ياقوت عن النحاس أنّ المعلقات السبع جمعها حماد هذا، وبودنا لو كان اكتشافها قد تمّ على يدي شخص آخر أدعى إلى الثقة والاحترام"[1].

وطبّق مرجليوث نفس شكوكه في حماد على راوية الشعر الآخر وهو خلف الأحمر، حيث يقول عنه "وبعد حماد بوقت قصير كان خلف الأحمر.. وكان هو الآخر سيّء السمعة، وقد أورد ابن خلكان عن أبي زيد أنّه أذاع في الكوفة قصائد منحولة بوصفها قصائد قديمة، وأصابته علة فاعترف بجريمته لأهل الكوفة، لكنه شأن كثيرين غيره استسهلوا أن يخدعوا على أن يكشفوا خداعهم"[2].

ولم تسلم طبقة العلماء الرواة الذين نقلوا عن حماد وخلف من اتّهامات مرجليوث بالوضع ونحل الشعر، ومن ذلك مثلا ما أورده عن **المبرد** بأنّه كان إذا سئل عن معنى كلمة معينة فإنّه يعطي إجابة وبعد ذلك يستشهد لها ببيت شعر من تأليفه، يضعه في نفس الوقت كدليل على جوابه، وقد فطن النّاس له، فأرسلوا له كلمة أخرى، فأعطاهم معناها واستشهد لها ببيت من الشّعر، فنال صنيعه إعجابهم بغضّ النظر عن كون الجواب صحيحا أو خاطئًا[3].

---

[1] – عبد الرحمان بدوي : دراسات المستشرقين حول صحّة الشعر الجاهلي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1989م، ص103.

[2] – نفسه، ص104.

[3] – نفسه، ص105-106.

لقد انطلق مرجليوث في مقالته عن الشّعر الجاهلي من أنّ الإسلام قطع كلّ صلة بالماضي وبالتالي فلا وجود حسبه لشعراء القبائل أو رواة القبائل الذين رووا عن أولئك الشعراء، وغاية ما هنالك حسب مرجليوث أنّ أولئك الشعراء" لم يكونوا ألسنة أحوال الوثنية. لقد كانوا مسلمين في كلّ شيء إلّا في كونهم لم يسمّوا مسلمين"[1]، فالجاهليون إذا حسب مرجليوث لم يملكوا من ذلك الشعر إلا الاسم، بل إنّ بعض القبائل كهذيل، لم تعرف أيّ شاعر من الشعراء الذين نسبوا إليها كما يدّعي مرجليوث.

ويضع مرجليوث دليلا أوّلا على دعواه، وهو أنّنا لا نقف إلّا على نزر يسير من إشارات الجاهليين إلى أوثانهم وآرائهم الدينية، بينما نجد أسماء من مثل الله والرحمان مبثوثة في أشعارهم وقصائدهم، ونتيجة ذلك حسب مرجليوث أنّ الدين الوحيد الذي يمكن أن ينسب إليه هؤلاء الشعراء الجاهليون هو الإسلام[2].

وثاني دليل يفترضه مرجليوث على صحة دعواه هو أنّ القصائد الجاهلية جميعها جاءت مكتوبة باللغة العربية التي جاء بها القرآن الكريم، فلا أثر فيها للهجات القبائل الشمالية أو الجنوبية التي كانت موجودة قبل الإسلام، وعليه فإنّ هذا الشّعر قد تمّ تغييره وتحريفه بعد الإسلام ليوافق لغة القرآن الكريم ويخلص مرجليوث من خلال دليليه إلى أنّ" وجود أفكار إسلامية في أعمال واضحة الوثنية هو دليل واضح على أنّها زائفة منحولة، كذلك فإنّ استعمال اللهجة التي جعلها القرآن كلاسيكية يدعو إلى ارتياب شديد"[3].

وقد تتبّع الكثير من الباحثين العرب مقالة مرجليوث، وكشفوا كذبه وادّعاءاته، وتعمّده لي أعناق الآيات القرآنية، وتفسيرها على هواه، ليستدلّ بها على نفي وجود الشّعر الجاهلي جملة وتفصيلا، مع أنّه لا يؤمن بالقرآن الكريم من الأساس.

---

[1] – عبد الرحمان بدوي : دراسات المستشرقين حول صحّة الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص109.

[2] – نفسه، ص113.

[3] – نفسه، ص121.

فعن مقالة مرجليوث في أنّ الإسلام قد منع رواية الشعر الذي يدور حول الحروب والضغائن التي كانت في الجاهلية يتساءل يحي وهيب الجبوري قائلا" هل كلّ ما نهى الإسلام عنه التزم به المسلمون؟ وهل كلّ المسلمين هم مسلمو مكة والمدينة؟"[1]، ويضيف أنّ" شعر البادية لم يتأثّر إلا قليلا، واستمر الشعراء على عادتهم في قول الشعر وحفظه وروايته كما كانوا يفعلون في الجاهلية، ولما جاءت الحروب بين مكة والمدينة صار الفريقان يقولان الشعر ويذكران أمر الجاهلية وأيامها"[2].

كما صحّ عن الرّسول ﷺ سماعه واستحسانه للشعر في مسجده، وكذا اتّخاذه للشعراء كحسّان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك لمواجهة شعراء قريش، كما أثر أيضا عن الصحابة رضي الله عنهم حبّهم للشعر وحفظه كأبي بكر وعمر، واشتهر أيضا عبد الله بن عباس، فقد كان يحفظ الشعر ويفسّر القرآن الكريم بالرّجوع إلى محفوظه من كلام العرب.

وعن الهدف الرئيس الذي دعا مرجليوث للقول بنفي وجود الشّعر الجاهلي يقول الجبوري" ومن المعلوم أنّ عداءه للشعر الجاهلي ليس لأنّه فن قولي، وإنّما لأنّه المصدر الذي فسّر به القرآن الكريم ومنه وعلى ضوئه وضعت علوم اللغة العربية، ومنه عرفت أخبار العرب وأيامهم وتاريخهم وعلومهم"[3].

أمّا عن اتّهام مرجليوث للرواة بنحل الشعر فلا ينبغي أنّ ننسى ذلك الصراع الذي كان دائرا بين مدرستي البصرة والكوفة، فلا غرابة أن يتهم حمادا أحد مناوئيه من مدرسة أخرى غير مدرسته، وأمّا تفرّده بجمع المعلقات السبع " فهذا لا يعني أنّ القصائد لم تكن موجودة قبله، بدليل أنّ الرواة الآخرين لم ينكروا هذه القصائد، وأنّ هذه القصائد موجودة لديهم وضمن مروياتهم"[4].

---

[1] – يحي وهيب الجبوري : المستشرقون والشّعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص85.

[2] – نفسه، ص85-86.

[3] – نفسه، ص87.

[4] – نفسه، ص93-94.

وأمّا فيما يخصّ عدم إبراز الشعر الجاهلي للوثنية العربية التي كانت موجودة قبل الإسلام كما يرى مرجليوث فلا يمكن قبول كلامه على إطلاقه، فإنّنا نجد **ابن الكلبي** قد ذكر في **‹‹ كتاب الأصنام››** جزءًا من أشعار الجاهليين فيه ذكرهم لمعبوداتهم وأصنامهم قبل مجيء الإسلام، وهذا بالتّأكيد لا ينفي أنّ هناك أبياتًا منحولة في قصائد أولئك الشعراء الجاهليين، ولكن وجود تلك الأبيات التي تحمل معاني إسلامية لا يعني أن نضرب بالقصيدة كاملة عرض الحائط أو نرفض نسبتها لصاحبها.

كما لا ننسى أيضًا أنّ أهل الجاهلية كانوا يؤمنون بوجود إله حتّى وإنْ لم يفردوه بالوحدانية، فقد كانوا يرون أنّ أصنامهم تقرّبهم وتشفع لهم عند الله، فلا غرابة في وجود اسم الله إذًا بين ثنايا قصائدهم وفي هذا يقول المستشرق **بروينلش** ردّا على مرجليوث " وفي مقابل‹‹الله›› الذي كان على الأقل من حيث الاسم، إن لم يكن أيضا في التصوّر يسمو فوق كلّ القبائل في العصر الجاهلي. لهذا ليس بغريب أن يظهر اسم ‹‹الله›› مرارا عديدة في الشعر الجاهلي. فمجرد ورود اسم ‹‹الله›› ينبغي ألا يعدّ سببا كافيا للطعن في صحة بيت من الشعر الجاهلي"[1]، ويضاف إلى هذا أيضا أنّنا لا ننفي" أن يكون قد سقط من الذاكرة العربية فيما سقط من شعر الجاهلية بعض الأشعار الوثنية أو يكون الرواة المسلمون قد حذفوا بعضًا آخر من هذه الأشعار"[2].

وبخصوص السرّ في كتابة الشعر الجاهلي بلغة فصيحة، وغياب اللهجات التي كانت موجودة بين القبائل، فهو" نفس السرّ في وجود أدب عربي واحد من المحيط إلى الخليج الآن مكتوب بنفس اللغة رغم اختلاف اللهجات بين شعب عربي وآخر، بل بين كلّ منطقة وأخرى، بل أحيانا بين القرية والقرية المجاورة لها"[3]، كما أنّنا نجد لحد الآن أقليات في البلاد العربية " تتحدّث كل منها فيما بينها بلغة خاصة

[1] – عبد الرحمان بدوي : دراسات المستشرقين حول صحّة الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص138–139.

[2] – ديفيد صمويل مرجليوث: أصول الشعر العربي، ترجمة وتعليق ودراسة: إبراهيم عوض، دط، دار الفردوس، 2006م، ص137–138.

[3] – نفسه، ص132.

بها تختلف تماما عن اللغة الرسمية للدولة التي تعيش في ظلالها، كأهل النوبة في مصر، والأكراد في العراق، والبربر في الجزائر، ومع ذلك فإنّ مثقفيهم يبدعون في أدبهم ويكتبون أبحاثهم باللغة العربية. فماذا يقول مرجليوث في هذا أيضا"[1].

لذلك فلا غرابة في أنْ يصلنا الشعر الجاهلي بلغة واحدة، فقد كان هناك تواصل واحتكاك واختلاط بين القبائل الشمالية والجنوبية عن طريق التجارة وزيارة البيت الحرام والمصاهرات والتحالفات والقرآن الكريم نفسه واضح وصريح في أنّه نزل بلغة تفهمها القبائل العربية المختلفة، حيث يقول الله سبحانه وتعالى عن اللغة التي نزل بها القرآن الكريم: ﴿ **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾[2]، وهذا دليل واضح على أنّ القبائل العربية قبل مجيء الإسلام كانت تجمعها لغة واحدة تكتب بها أدبها وشعرها.

ولذلك فكلام مرجليوث ونفيه لصحّة الشعر الجاهلي جملة وتفصيلا لا يقول به عاقل، وقد ردّ عليه الكثير من الباحثين حتّى من بني جلدته، واتّهموه بمجافاة الحقّ والغش في أدلّته، فنجد مثلا المستشرق **آربري** بعد رفضه لمقالة مرجليوث عن الشعر الجاهلي يقول" إنّ السفسطة – وأخشى أن أقول الغشّ في بعض الأدلة – التي ساقها الأستاذ‹‹ مرجليوث›› لا تليق البتة برجل كان –ولا ريب– من أعظم أئمّة العلم في عصره"[3].

كما ردّ عليه المستشرق **شارلس جيمس ليال** Sir Charles James Lyall ورفض ما ذهب إليه مرجليوث من النّفي التّام لوجود الشّعر الجاهلي، حيث يقول عنه" وأمّا أنْ نذهب كما ذهبَ أحد العلماء المحدثين إلى أنّ جميع ما نسميه بالشعر العربي القديم موضوع منحول، مستدلّين على ذلك بالقصص التي تروى عن حماد وخلف... فهو مذهب مخالف لجميع وجوه هذه القضية واحتمالاتها. إنّ حمادا وخلفا

[1] – ديفيد صمويل مرجليوث: أصول الشعر العربي، مرجع سابق، ص133.

[2] – سورة الشعراء/ الآية:195.

[3] – محمد مصطفى هدارة : موقف مرجليوث من الشعر العربي، مقال من كتاب: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، دط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ج1، ص400.

كانا يحاكيان أسلوبا للنظم كان قد قُرّر واتخذ صورته النهائية زمنا طويلا قبل الإسلام، وكان قد نظم به شعراء كثيرون كانوا وثنيين أو غير مسلمين في زمن محمد ثمّ أسلموا"[1].

وبناءً على ما سبق فإنّنا إذا ما استثنينا عصبية مرجليوث نحو الشّعر الجاهلي لا نقع على كبير اختلاف بين مختلف الدراسات الغربية حول الشعر الجاهلي، فقد دارت كلّها حول انتحال بيت معين أو قصيدة معينة، أو رفض نسبة قصيدة إلى شاعر معيّن، واعتبارها ملائمة أكثر لأسلوب وروح شاعر آخر في قول الشعر، أو اتّهام الرواة بوضع أبيات وقصائد على ألسنة شعراء آخرين، وكلّ هذه الاعتراضات قد أشار إليها علماء العربية ونقدة الشّعر الأوائل في مصنّفاتهم.

[1] – ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط7، دار الجبل، بيروت، 1988م، ص371.

الفصل الثاني

المـــدرســـة الاستـشـــراقية الألمـــــانية

المبحث الأوّل: نشأة الاستشراق الألماني وخصائصه

المبحث الثّاني: اتجاهات الاستشراق الألماني وأعلامه

المبحث الثّالث: إسهامات الاستشراق الألماني في التراث الإسلامي

المبحث الأول: نشأة الاستشراق الألماني وخصائصه

1- النّشأة والتّطوّر:

يرجع بعض الباحثين تاريخ اتصال ألمانيا بالحضارة العربيّة والإسلاميّة إلى **القرن العاشر الميلادي**، "وذلك عندما أرسل الإمبراطور الألماني أوتو كاهنا يدعى يوحنا سفيرًا لدى الخليفة الناصر وكان ذلك سنة956م، وأرسل الخليفة الناصر بدوره أحد القساوسة من رعاياه سفيرًا عند الإمبراطور الألماني"[1].

ولعلّ ممّا يعضّد هذا الرأي هو اكتشاف قطع نقدية تعود إلى عصر القيصر الألماني أوتو الثاني بين أعوام 955و983م، والذي يقال له أوتو التقي، مكتوب على أحد وجهيها لا إله إلا الله محمد رسول الله، وعلى الوجه الثاني اسم القيصر، وتاريخ صكّ النقود، ويقال أن بابا روما بنيدكت السادس كان وراء عزل هذا القيصر، وقتله ذلك العام لاعتناقه الإسلام[2].

أمّا في **القرنين الثّاني عشر والثّالث عشر** فقد عزّزت الترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية سنة1143م، أواصر هذه العلاقة بين ألمانيا والشّرق الإسلامي، وقد كانت هذة التّرجمة تحت إشراف بطرس المبجل Peter the Venerable (1094-1157م) رئيس دير مدينة كلوني، فقد سافر إلى إسبانيا في زيارة عمل سنة 1141م، وحاول فهم طبيعة الصّراع بين المسلمين والإسبان، وخلص إلى أنّه "لا سبيل إلى مكافحة هرطقة (محمد) بعنف السّلاح الأعمى، وإنّما بقوّة الكلمة ودحضها بروح المنطق الحكيم للمحبّة المسيحيّة"[3]، وقد ساعده في هذا العمل الرّاهب الألماني هرمان الدلماشي، ولكنّ هذه

---

[1]- ميشال جحا: الدراسات العربية والإسلامية في أوربا، ص75، نقلا عن محمد فتح الله الزيادي: الاستشراق أهدافه ووسائله، مرجع سابق، ص74-75.

[2]- ينظر: محمد هيثم عياش، الدراسات العربية في ألمانيا، الثلاثون من آب 2008م، موقع رابطة أدباء الشام: https://www.odabasham.net/

[3] - يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين، تر: عمر لطفي العالم، ط2، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2011م، ص17.

التّرجمة لم ترَ النّور إلا بعد أربعة قرون من تأليفها، حيث تدخّل بعض رجالات الكنيسة لنشرها وهذا بطبيعة الحال للردّ على الإسلام وإيقاف انتشاره في أوربا من خلال المغالطات التي احتوت عليها هذه التّرجمة عن قصد أو غير قصد.

وكذلك جاءت الحروب الصّليبية، لتوطّد هذه العلاقة أكثر، وبالأخصّ في حملتها الثّانيّة بين سنتي(1147-1149م) تحت حكم امبراطورها كونراد الثّالث Conrad III، فقد استجاب الألمان كغيرهم من الأوربيين لدعوة **البابا إيربان الثّاني** Pope Urban II أثناء خطبته في مجمع كليرمون بفرنسا والتي دعا فيها أوربا إلى التّوحد وحمل الصّليب والزّحف على بيت المقدس لنجدة المسيحيين المضطهدين في الشّرق، وتخليص قبر يسوع من المسلمين الغزاة -حسب زعمه- وقد ظهر ذلك التأثّر جليا في ألمانيا بعد "عودة حجّاجها من الأراضي المقدّسة، ووصفهم لها ونقلهم عنها شيْئا من حضارتها"[1].

وكذلك زادت هذه الصّلة قوّة بين الطّرفين في عهد الإمبراطور الألماني **فريديريك الثّاني** Frederick II (1194-1250م)، فقد كان محبّا للحضارة العربية والإسلامية، تقول **زيغريد هونكه** Sigrid Hunke "وفي خلال حياة فريديريك الثّاني التي دامت ستة وخمسين عاما باشر النّفوذ العربي من مختلف مصادره الثّقافية والفكرية تأثيره على دولته، حيث وجد جوّا فكريا مهيّأ لتقبّله ورعايته، وإذا كانت أوربا قد نظرت إلى تلك النّهضة القادمة إليها عبر إسبانيا وصقليّة نظرة الإعجاب حينا فإنّها نظرت إليها نظرة الشّك أحيانا لكنّها على أيّة حال لم تقف منها موقفا سلبيّا خاصّة بعد أن قدّم فريديريك في دولته نموذجا لمدى ما يمكن أن تحقّقه تلك النّهضة الجديدة من رفاهيّة وازدهار للشّعوب "[2].

[1] - نجيب العقيقي، المستشرقون، ج3، مرجع سابق، ص 340.

1- زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، دار صادر، ط8، ص448، نقلا عن: طارق أحمد شمس: يوهان يعقوب رايسكه المستشرق الذي مات شهيدا للأدب العربي، مجلّة دراسات استشراقيّة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، السنة الرابعة، العدد 10، شتاء2017م/1438هـ، ص55

أمّا **القرنان الرّابع عشر والخامس عشر** فقد كانا عصري إنشاء الجامعات الألمانية، وقد تأخر إنشاؤها مقارنة بدول أوربا الأخرى، وكذلك بدأ فيهما التّفكير في إنشاء كراسٍ للّغات الشّرقية على غرار الدّول التي سبقت ألمانيا وكان لها قصب السّبق في هذا المضمار.

وبحلول القرن **السّادس عشر** دخل الاستشراق الألماني مرحلة جديدة من مراحل تطوّره، اختلفت عن سابقاتها، فقد بدأ في الابتعاد تدريجيّا عن دائرة الكنيسة الكاثوليكية، وذلك نتيجة للإصلاحات التي قام بها **مارتن لوثر** Martin Luther من جهة، ومن جهة أخرى لوصول مخطوطات المستشرق الفرنسي **فيلهلم بوستل** Guillaume Postel إلى مكتبة جامعة هايدلبرغ، فقد اضطرته ظروفه الماديّة الصّعبة للانفصال عن المخطوطات التي جمعها في الشّرق، وبوساطة من صديقه (أندرياس ماسيوس) رهن لدى أميرها (أوتها ينريش) تلك المخطوطات لفائدة مكتبة هايدلبرغ العامّة، ولذلك يرجع بعض الباحثين بداية الدّراسات العربيّة في ألمانيا إلى هذا القرن.

وقد بدأت دراسة مخطوطات المستشرق الفرنسي بوستل (1505-1581م) من طرف المستشرق مانويل تريميليوس Immanuel Tremellius (1545-1602م)، وتلميذه فرانسوا يونيوس Franciscus Junius (1545-1602م) في هايدلبرغ، ولكن "أول شخص تعامل مع مخطوطات بوستل الموجودة في مكتبة هايدلبرغ تعاملا جادا كان أحد تلامذة يونيوس واسمه ياكوب كريستمان (1554-1613)"[1].

وقد وضع ياكوب (يعقوب) كريستمان Jakob Christmann فهرسة موجزة لبعض المخطوطات العربية، كما وضع كراسا لتعليم كتابة الحروف العربية، بالإضافة إلى أنه ترجم بعضا من أجزاء الإنجيل إلى العربية للتمرن على القراءة، وقد أعدّ بنفسه الحروف العربية في قوالب خشبية للمطبعة التي كان جوتنبرغ قد اكتشفها حديثا.

[1] – يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في أوربا، مرجع سابق، ص55.

ويمكننا القول أن الدراسات العربية الآنفة الذكر في ألمانيا لم تتخلص نهائيا من النّزعة الدينّية المناهضة للإسلام، كما لم تكن لخدمة الإسلام واللغة العربية، بل لاستعمالها وسيلة لدراسة العهد القديم واللغة العبرانية وذلك "لأن البروتستانت في ألمانيا صبّوا اهتمامهم بالدرجة الأولى على دراسة الكتاب المقدس وترجماته القديمة المختلفة، ومنه العربية والسريانية والقبطية"[1].

وبقي الحال على ما هو عليه في القرن **السابع عشر** فقد ظلّت دراسة العربية محصورة في طبقة الرّهبان وعلماء اللّاهوت، وبقيت ألمانيا متأخرة نسبيّا عن دول أوربا الأخرى، ولذلك فقد شدّ عدد من المستشرقين الألمان الرّحال صوب تلك الدّول وبالأخص هولندا،فقد كانت صاحبة الرّيادة في الدّراسات العربيّة والإسلامية في ذلك الوقت، وكانت **جامعة لايدن** منارة علمية لمعت فيها أسماء كبيرة **كتوماس اربينيوس** Thomas Erpenius وتلميذه **يعقوب جوليوس** Jacobus Golius .

وبحلول **القرن الثّامن عشر** كان الكثير من المستشرقين الألمان قد تعلّم اللغات الشّرقية في هولندا، وكان من ثمار ذلك أنّهم بعد أنْ "رجعوا إلى ألمانيا وعلّموها في جامعاتها أخرجوها من نطاق التوراة التي ضرب حولها ردحا من الزمان إلى ميدان الثقافة العامة، ومن مشهوريهم رايسكه (1716-1797) في جامعة ليبزيج، وجوستاف تيخسن (1734-1815) في جامعة روستوك"[2].

وفي الوقت ذاته كانت الدّراسات العربية والإسلامية في فرنسا تزداد تميّزا فقد "آلت القيادة في مستهل القرن وفي هذا المجال إلى فرنسا بفضل الإنجازات الخارقة لأنطوان إسحاق سلفستر دي ساسي(1758-1838) بدون منازع"[3].

---

[1]- ظافر يوسف: الاستشراق الألماني إلى أين(حوار مع المستشرق الألماني هارتموت بوبتسين)، مجلة التراث العربي، اتّحاد الكتاب العرب، السنة السابعة عشرة، العدد68، دمشق، آب 1997م/ ربيع الآخر 1418هـ، ص134.

[2] - نجيب العقيقي: المستشرقون، ج2، مرجع سابق، ص341.

[3]- يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في أوربا، مرجع سابق، ص141.

وقد ذاع صيت دي ساسي Silvestre de Sacy في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، وكان يتقن العديد من اللغات الغربية كاللاتينية والألمانية والإسبانية والإيطالية والإنجليزية، وكذلك الشرقية كالعبرية والعربية، ولذلك فقد قصده المستشرقون من كل حدب وصوب لينهلوا من علمه و"لكن أيّ بلدٍ لم يقم بإرسال طلبة أكثر من ألمانيا إلى دي ساسي... ذلك أن ألمانيا أيضا أدركت أهمية الدراسات الشرقية فعملت لها أضعافا مضاعفة، وأسست لها كراسي خاصة"[1]، وكان في طليعة المبتعثين الألمان هانيريش فلايشر Heinrich Fleischer (1801-1888)، وهاينريش إيفالد Heinrich Ewald (1803-1875)، حيث درسا على يد دي ساسي، ثم عادا إلى ألمانيا للتدريس بها، وعُدّ هذان العالمان "مؤسسي الدراسات العربية في ألمانيا، وقد أصبح فلايشر أستاذا للغات الشرقية في جامعة ليبزيج، وإيفالد أستاذا لها في جامعة جوتنجن"[2].

وقد درس على يد هذين العالمين الجيل الجديد من المستشرقين، داخل ألمانيا وخارجها كنولدكه وبروكلمان وفلهاوزن ودوزي وجولد زيهر ويعقوب بارت وأوجست مولر وغيرهم، ومن هنا بدأ الاستشراق الألماني يحاول أن يكتسب صفة العلمية، ويبتعد عن الدين والسياسة، يقول المستشرق الألماني رودي بارت Rudi Paret "إنّنا في دراستنا لا نسعى إلى نوايا جانبية غير صافية، بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة"[3].

ولابأس بالحديث عن علم من أعلام الاستشراق الألماني، والذي لمع اسمه أيضا في هذا القرن ألا وهو يوهان جاكوب رايسكه Johann Jakob Reiske، وذلك للتدليل على بقاء سيطرة الكنيسة على الاستشراق، وبقائه في خدمتها فقد تعلم رايسكه العربية بنفسه دون معونة من أحد، واشترى كل ما وصل

[1]- يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في أوربا، مرجع سابق، ص155.

[2]- نجيب العقيقي، المستشرقون، ج2، مرجع سابق،ص341.

[3]- ناصر المنيع: آثار مدرسة الاستشراق الألمانية في الدراسات القرآنية عرض وتحليل، حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، السنة الرابعة، العدد6، 2009م/1430هـ، ص399.

إليه من المؤلفات العربية، ولكن الاتجاه الذي سلكه رايسكه، وأعني بذلك إخراجه الدراسات العربية والإسلامية من الدائرة اللاهوتية جلب له العداوة من رجال الدين الذين أبغضوه وحاربوه، فلم يفلح في الحصول على وظيفة في مستوى كفاءته، كما لم يجد من ينشر له كتبه، مما اضطره إلى نشرها على نفقته الخاصة، وقد مات مسلولا، يقول عنه يوهان فوك Johann Fück "لقد أصبح شهيد الأدب العربي، وصارت حياته تاريخا لتلك الآلام التي سجلها في مذكراته...وقد كان من المخجل أنّ أحدا من الرجال البارزين(في عصره) لم يعرف الأهمية الفائقة لهذا الرجل العبقري الذي كان واحدا من أعظم علماء العربية"[1].

وقد تساءل الباحث شوقي أبو خليل عن عدم شهرة رايسكه مقارنة بكارل بروكلمان وتيودور نولدكه، فخلص إلى أنّ "نولدكه وبروكلمان لم يقدما حقائق تثير رجال الدين في أوربا، بل قدم الرجلان ما يرضيهم تماما، فروج لما قدما ونشر ما ألفا، فاغتنى الرجلان وعمت شهرتهما الآفاق وبلغت عنان السماء"[2].

أما رايسكه فلم يجامل علماء اللاهوت، ولم يسخر من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولا من الإسلام، ولم يقسم تاريخ العالم إلى مقدس وغير مقدس، حيث يقول "إن ظهور محمد وانتصار دينه هما من أحداث التاريخ التي لا يستطيع العقل الإنساني إدراك مداها، ويرى في ذلك برهانا على تدبير قوة إلهية"[3]، وكان رايسكه أيضا أول مستشرق واجه علماء اللاهوت ودعا إلى دراسة العربية بصورة مستقلة وعارض ما قرره الهولنديان **غولدنوس** Jacobus Golius **وشولتنس** Albert Schultens من أن اللغة العربية لهجة عبرية.

---

[1]– محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص37.

[2]– شوقي أبو خليل: كارل بروكلمان في الميزان، ط1، دار الفكر، دمشق،دت، ص6.

[3] – المرجع نفسه، ص6.

وقصّة المستشرق رايسكه تدلّنا على مدى سيطرة الكنيسة وودورها القوي، وأنّها كانت الآمر النّاهي في مجال الدّراسات الاستشراقية في بدايتها، وأنّ التّحرّر من ربقة الكنيسة قد جاء بالتّدريج.

2- مميزات الاستشراق الألماني:

تميّزت المدرسة الاستشراقية الألمانية على غرار كلّ مدارس الاستشراق بجملة من الخصائص والمميّزات التي تميّزها عن غيرها من المدارس، ومن أهم هذه الخصائص:

- أنّ الاستشراق الألماني لم يخضع لغايات سياسية، أو استعمارية أو دينية كنظيره في البلدان الأوربية الأخرى، فألمانيا لم يتحْ لها أن تستعمر البلاد العربية أو الإسلامية، وبالتالي فقد كان أكثر موضوعية وحيادية من غيره.
- أنّ المستشرقين الألمان لم يحاولوا التنصير، ولذلك نجدهم قد نجوا من العبث وتزييف التاريخ الإسلامي.

وقد تبنّى هذا الرأي بعض الباحثين العرب **كصلاح الدين المنجد**، و **ميشال جحا**، و **أنور محمود زناتي**، وحتى أنّنا نجد **إدوارد سعيد** يتجاهل الاستشراق الألماني في حديثه عن ارتباط الاستشراق بالنّية الاستعمارية.

لكنّنا أيضًا نجدُ نقيض هذا الرأي ممثّلا في كل من **ساسي سالم الحاج**، و **محمد فتح الله الزيادي**، حيث يرى سالم الحاج أنّ الميزة الأولى غير صحيحة في إطارها العام إذ إنّ الاستشراق الألماني كان مبعثه تحقيق الأهداف الدينية، خاصة عندما وقف جهده على دراسة التوراة، واللغة العبرية، هذا بالإضافة إلى مساهمات ألمانيا في الحروب الصليبية، وخاصة الحملة الثانية منها، كما اهتمّ المستشرقون الألمان في القرنين الثامن والتاسع عشر بتحقيق الأغراض السياسية، وكذلك فإنّ "ألمانيا لم تتعففْ عن استعمار البلاد العربية، والمشرق ولكن الظروف الدولية منعتها من ذلك، خاصة المنافسة البريطانية لها"[1].

[1]- ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، مرجع سابق، ص134.

كما أن ألمانيا احتلت الطوغو، وبعض الأقاليم الواقعة في جنوب إفريقيا، وكذلك إشعالها للحرب العالمية الثانية دليل على نواياها الاستعمارية.

أما فتح الله الزيّادي فيرى بأن الميزة الأولى لا يمكن التسليم بشقّها الأول لأن الألمان كانت لهم أطماع في الشرق، وكانوا يستعمرون مناطق واسعة في إفريقيا وبعض المناطق في آسيا، أما الشقّ الثاني من النقطة الأولى فيرى الزيادي أنّه يمكن أن يكون صحيحا، ولكن في القديم، أما في مراحله الأخيرة فقد خضع الاستشراق للسّياسة.

أمّا فيما يخص الميزة الثانية فيرى الدكتور الزيادي أنّها غير صحيحة على الإطلاق ويعترض عليها من وجهين:

1) أنّه ثبت أنّ للألمان جمعيات تنصيرية وأنّ أحد أهم مؤتمرات التنصير قد انعقد فيها.
2) أنّ الكثير من المستشرقين الألمان قد تتلمذوا على أيدي مستشرقين فرنسيين وبالأخص سلفستر دي ساسي، وهو معروف بدوره في المجال الديني.

ولكن **أبا الفضل بدران** يرد على مقولة أنّ الظروف لم تسمح لألمانيا بالاستعمار بأنّ "على الباحث أن يحلل الأحداث التي وقعت لا الأحداث التي من المفترض أنّها وقعت!!"[1].

وعلى العموم فإذا تجاوزنا قضية الجانبين الدّيني والاستعماري فإنّنا نجد أيضا أنّ من أهم ميزات الاستشراق الألماني[2].

- اتصاف المستشرقين الألمان بالتّفاني في العمل والصبر والمثابرة، مثل **رايسكه** الذي عارض علماء اللاهوت، فقد عاش فقيرا، ومات مسلولا، وسمّى نفسه بشهيد الأدب العربي، وكذلك **وستنفلد** Ferdinand Wüstenfeld الذي كف بصره من كثرة العمل والبحث في اللغة،

[1]– محمد أبو الفضل بدران: الاستشراق الألماني المعاصر، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، السنة السادسة، العددان الثاني والعشرون والثالث والعشرون، الإمارات العربية المتحدة، اكتوبر 1998م، ص50.
[2]– محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، مرجع سابق، 77 "بتصرّف".

وكذلك **كريستمان** Jakob Christmann الذي أعد للمطبعة حروفًا عربية في قوالب من الخشب.

- تركيز الاستشراق الألماني على الاهتمام بالتراث الإسلامي القديم، وهو ما أبعد مستشرقيه عن الخوض في السياسة.
- بدايته المتأخرة إذا ما قورن بنظيره في البلاد الأوربية الأخرى.
- الاهتمام بفهرسة المخطوطات العربية والإسلامية بشكل لافت.
- الاهتمام بوضع المعاجم العربية، أو العربية اللاتينية، أو العربية الألمانية، ونجد من بينهم فيشر، هانز فير، أوجست شراجله...
- الاهتمام بالبحث عن الآثار والتنقيب عنها، وأنشأ لذلك معاهد خاصة في بعض البلاد العربية كالقاهرة، بغداد، بيروت.
- تتلمذ الكثير منهم على يد المستشرق الفرنسي دي ساسي، وهو ما يفسر بروز الأثر الديني في كتابات المستشرقين الألمان.
- اختلف عن الاستشراق الأوربي في تركيزه على البلاد العربية والدين الإسلامي دون غيرها من بلاد وديانات الشرق.
- المنهج العلمي الدقيق، الذي يعتبر عند بعضهم مثالا نادرا يحتذى، رغم ما يوجد عند بعضهم من الأغلاط[1].
- الاهتمام بالنصوص اللغوية والأدبية بالدرجة الأولى، وخاصة في القرن التاسع عشر[2].

[1]– صلاح الدين المنجد: المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، ط1، دار الكتاب الجديد، لبنان، 1978م، ج1، ص12.

[2] – ظافر يوسف: الاستشراق الألماني إلى أين (حوار مع المستشرق الألماني هارتموت بوبتسين)، مرجع سابق، ص136.

- الاهتمام بالدراسة المقارنة للغات السامية...وأهم عمل في هذا المجال هو عمل كارل بروكلمان الرائد **الأساس الكامل في مقارنة اللغات السامية.**

المبحث الثّاني: اتجاهات الاستشراق الألماني وأعلامه

1- اتجاهات المستشرقين الألمان:

قسّم بعض الباحثين المستشرقين الألمان إلى ثلاثة اتجاهات:

1-1- الاتجاه الأول: الموسوعيون التراثيون:

يضم هذا الاتجاه طائفة من المستشرقين، من أمثال بروكلمان، فرايتاج، فريدريك روكرت، مارتن هارتمان سيمون فايل ،آنا ماري شيمل، وقد ركز هؤلاء المستشرقون على التراث العربي الإسلامي، ورأوا بأنه بحر زاخر لابد من خوضه، وقد أنفقوا سنوات من عمرهم في هذا التراث قراءة وتحقيقا ونقدا وتحليلا[1].

1-2- الاتجاه الثاني :المستشرقون التراثيون المتخصصون:

وهم كثر، ولعل من أهمهم أعضاء جمعية المستشرقين الألمان (GMD)، التي أسسها المستشرق فلايشر في مدينة هاله سنة 1845م، وقد عقدت مؤتمرها السابع والعشرين في رحاب جامعة بون، ونجد من بين هؤلاء شبيتا لير، هانس فير، هلموت ريتر، وقد أخذ مستشرقو الجيل الجديد أماكنهم بين هؤلاء الكبار ومن بينهم اشتيفان كوت، باتريك فرانكه، فيرينا كليم، وتنوعت أبحاث هؤلاء المستشرقين بين التراث والمعاصرة، كما اتجهت إلى التخصص[2].

1-3- الاتجاه الثالث: جماعة دافو(DAVO):

تأسست في هامبورغ سنه 1994م، بقيادة أودو إشتاين باخ، وهي أحد جماعات الاستشراق الألماني المعاصر، وتعنى بالواقع الاستشراقي المعاصر، وبأمور الشرق الأوسط المعاصرة، وأخرجت هذه الجماعة

[1] – ينظر : أنور محمود زناتي : زيارة جديدة للاستشراق، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2006م، ص111.
[2] – المرجع نفسه، ص 111.

التراث العربي والإسلامي من دائرة اهتماماتها، وهذا على عكس الاستشراق القديم، الذي اهتم بالتراث، أمّا هذه الجماعة فقد اهتمت بمواضيع جديدة، كالدراسات الاجتماعية والنظم السياسية والسياحة والعمران والاقتصاد والإعلام، أما الفرق بين جمعيتي (GMD) و(DAVO) فهو "أن الأخيرة لا تهتم بالتراث ولا بدراسته، بل جل اهتمامها منصب على الواقع المعاصر بكل أبعاده، وربما كان لهم في المستقبل الاتجاه الأكبر في عالم الاستشراق الألماني المعاصر"[1].

2- أشهر مؤسساتها:

2-1- كراسي اللغات الشرقية: أنشأت في العديد من الجامعات مثل هايدلبرج، ليبزيج، ميونيخ، توبنجن جوتنجن، برلين.

2-2- المجلات الشرقية الألمانية: وأشهرها:

- **المجلة الشرقية الألمانية:** (1847م)، تصدرها الجمعية الشرقية الألمانية عن دار في فيسبادن
- **المجلة الآشورية:**(1877م)، أسسها كارل بتسولد.
- **مجلة الآداب الشرقية:** (1898م)، أنشأها فيليكس باير في ليبزيج.
- **مجلة الإسلام:** (1910م)، أنشأها كارل هينريخ بيكر.
- **مجلة عالم الإسلام:** (1913م)، أنشأها المستشرقون هارتمان، وكيرن، وجيزة، وتصدر كل ثلاثة أشهر.
- **مجلة فكر وفن:** صدرت عام (1963م)[2]
- **مجلة دراسات اللغة العربية:** تصدر إلى الآن عن جامعة إرلنغن.

2-3- الجمعيات الشرقية: نجد من بينها:

---

[1]- محمد أبو الفضل بدران : الاستشراق الألماني المعاصر، مرجع سابق، ص56.

[2]- صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، ج1، مرجع سابق، ص12.

- **الجمعية الشرقية الألمانية (DMG):** أنشأت سنة 1845م على غرار الجمعيتين الفرنسية والانجليزية، وقد أنشأها فلايشر في مدينة هاله، ولها فروع في كل من تركيا ومصر ولبنان وصدرت عن الجمعية مجلة المستشرقين الألمان (GMDZ) سنة1847م.
- **الجمعية الشرقية الألمانية للدراسات الإسلامية:** أسسها مارتن هارتمان Martin Hartmann وأسس لها مجلة الإسلام سنة1913م.
- **مجلس العلوم الألماني:** أنشئ بعد العرب العالمية الثانية، واهتم بدراسة أحوال الوطن العربي.

3- أبرز أعلام المدرسة الاستشراقية الألمانية وأهمّ أعمالهم:

3-1- يوهان جاكوب رايسكه Johann Jacob Reiske (1716-1774)

ولد رايسكه في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر1716م، في مدينة زبوريج في سكسونيا، وكان عصاميا، فقد أتقن اللغة اليونانية واللاتينية والعربية دون مساعدة من أحد، سافر إلى هولندا رغم فقره المدقع، ودرس على يد ألبرت شولتنس، واستطاع بمساعدته الاطلاع على مخطوطات مكتبة ليدن، وقد تميز رايسكه بدراسته للعربية من أجل ذاتها، مما جلب له عداوة اللاهوتيين، فاتهم بالزندقة والهرطقة،ولذلك فقد عاش فقيرا، ولم ينل المكانة التي يستحقها، ومن أهم أعماله[1]:

- فهرس المخطوطات العربية في مكتبة ليدن أثناء سفره إلى هولندا.
- نشر معلقة طرفة بن العبد بشرح ابن النحاس.
- نقد كتاب الهولندي توماس إربنيوس، والذي نشره أستاذه شولتنس نقدا عنيفا.
- ترجم كتاب تاريخ أبي الفداء المسمى مختصر تاريخ البشر إلى اللاتينية سنة1754م.
- -ترجم سنة 1755م لامية العجم لمؤيد الدين الطغرائي إلى الألمانية، وكذلك رسالة بن زيدون الهزلية التي وجهها إلى بن عبدوس.

[1] – نجيب العقيقي، المستشرقون،ج2، مرجع سابق، ص354. "بتصرف".

3-2- جورج فرايتاج Freytag Georg (1788-1861)

ولد فرايتاج في لونبرج، وتلقى بها المبادئ الأولى للعربية، ثم رحل إلى باريس، ودرس على يد دي ساسي، وبعد عودته إلى ألمانيا عمل أستاذا في جامعة بون حتى وفاته.

ومن أهم آثاره[1]:

- نشر ترجمة تأبط شرا متنا وترجمة وشرحا(جوتنجن1814م).
- نشر الجزء الجاهلي من كتاب أبي الفداء سنة 1837م.
- نشر أسرار التأويل وأنوار التنزيل للبيضاوي(ليبزيج1845م)
- نشر قسما من كتاب زبدة الحلب في تاريخ حلب لابن العديم.
- نشر ديوان الحماسة لأبي تمام بشرح الخطيب التبريزي.
- صنف المعجم العربي اللاتيني في أربعة أجزاء.

3-3- جوهان كوزيجارتن Johann Kosegarten (1792-1850)

أخذ على يد أبيه اللاهوت والفلسفة، ثم ارتحل إلى فرنسا ودرس على يد دي ساسي، أتقن العربية والتركية والفارسية والعبرية والأرمينية، عمل في جرايفسفالد ثلاث سنوات، وقد كان كوزيجارتن أحد أصدقاء الشاعر جوته، ومن آثاره[2]:

- نشر قسما من بشرى اللبيب في ذكرى الحبيب لابن سيد الناس.
- نشر مختارات أدبية من ألف ليلة وليلة.
- نشر نبذا من المرج النضر للسيوطي (باريس1828م).
- ترجم الجزء الأول والثاني والثالث والخامس من تاريخ الطبري إلى اللاتينية.

---

[1] – نجيب العقيقي، المستشرقون، ج2، مرجع سابق، ص358-359. "بتصرف".

[2] – عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص486، بتصرف.

3-4- هاينريخ فلايشر Heinrich Fleischer (1801-1888)

درس اللاهوت في ليبزيج، سافر إلى فرنسا وتعلم على يد دي ساسي، عاد إلى ألمانيا سنة 1826م، وعين أستاذا للغات الشرقية في جامعة درسن، أسس الجمعية الشرقية الألمانية سنة 1845م، عرف بأنه مؤسس الدراسات العربية المنظمة في ألمانيا.

ومن آثاره[1]:

- نشر الجزء الجاهلي من تاريخ أبي الفداء متنا وترجمة لاتينية وتعليقا(ليبزيج1831م).
- فهرس المخطوطات الشرقية في مكتبة درسن الوطنية.
- ترجم كتاب ألف ليلة وليلة في تسعة مجلدات 1843م
- له كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام.

3-5- جوستاف فلوجيل Gustav Fluegel (1802-1870)

ولد في باوتس، بإقليم ساكس تعلم على يدي كروج وقنتسر ثم ارتحل إلى فينا لمدة عامين، وفيها اطلع على مخطوطات هامر بروجشتال، ثم شد الرحال إلى باريس وتتلمذ فيها على يد دي ساسي في الكوليج دي فرانس، عاد إلى ألمانيا وعمل أستاذا في كلية مايسن، وقد نال فلوجيل شهرة واسعة، ومن آثاره[2]:

- فهرس المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة القصر والدولة في منشن«ميونيخ».
- وضع فهرس للمخطوطات العربية الموجودة في جامعة فينا.
- نشر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة.
- وضع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، المسمى نجوم الفرقان في أطراف القرآن.

[1] – نجيب العقيقي، المستشرقون، ج2، مرجع سابق، ص362. "بتصرف".

[2] – عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص411. "بتصرف".

3-6- فيلهلم آلوارد Wilhelm Ahlwardt (1828-1909)

ولد في جرايفسفالد، و درس اللغات الشرقية على يد يوهان غوتفريد كوزغارتن، كما درس على يد إيفالد في جوتنجن، نال درجة الدكتوراه في الفلسفة، ثم شهادة الكفاءة للتدريس الجامعي في اللغات الشرقية، خلف كوزغارتن في جرايفسفالد، وظل فيها إلى وفاته، ومن آثاره[1]:

- فهرس مكتبة جامعة برلين في عشرة مجلدات.
- نشر دواوين بعض شعراء الجاهلية.النابغة، عنترة، طرفة، زهير، علقمة، امرؤ القيس.
- نشر ديواني العجاج والزفيان(1903م)، ثم ديوان رؤبة بن العجاج (1924م).
- له كتاب ملاحظات حول صحة الشعر العربي القديم، صدر سنة 1872م، وعرض فيه لمسألة الشك في الشعر الجاهلي.

3-7- تيودور نولدكه Theodor Nöldeke (1836-1930)

ولد في هامبورغ، وتعلم اللغات السامية والفارسية والتركية والسنسكريتية على يد إيفالد في جوتنجن سنة1853م، نال الدكتوراه سنة 1856م عن رسالته **أصل وتركيب سور القرآن**، تولى منصب أستاذ اللغات الشرقية في ستراسبورغ بين(1872م-1920م) خلفا لديلمان، فجعلها مركزا للغات الشرقية في ألمانيا، ولقب بشيخ المستشرقين الألمان، ومن أشهر تلامذته بروكلمان، زاخاو، شفاللي، ومن آثار نولدكه[2]:

- أصل وتركيب سور القرآن (رسالة دكتوراه)، وأعاد نشرها في كتاب بعنوان تاريخ القرآن.
- نشر وترجم إلى الألمانية ديوان عروة بن الورد (جوتنجن1863م).

---

[1] - صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية،مرجع سابق، ص101-102، "بتصرف"

[2] - نجيب العقيقي، المستشرقون،ج2، مرجع سابق، ص381. "بتصرف".

- ساهم في نشر تاريخ البلدان للطبري (ليدن1886م).
- ترجمة كليلة ودمنة، مع مقدمة برزويه (ستراسبورج1912م).
- – قواعد اللغة العربية الفصحى(فينا1896م).

3-8- يوليوس فلهاوزن Julius Wellhausen (1844-1918)

ولد في قرية هاملن بمدينة هانوفر، درس على يد إيفالد في جوتنجن، عمل أستاذ للغات الشرقية في جامعات هاله وماربورج وجوتنجن، تقاعد سنة1913م، ومن أهم أعماله[1]:

- أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام(برلين1903م) وهو مترجم إلى العربية.
- الدولة العربية وسقوطها، وقد ترجم مرتين إلى العربية.
- المدينة قبل الإسلام أو«تنظيم محمد للجماعة الإسلامية في المدينة».
- بقايا الوثنية العربية.

3-9- مارتن هارتمان Martin Hartmann (1851-1918)

ولد في برسلاو ودرس في جامعتها، ثم انتقل إلى ليبزيج، ودرس على يد فلايشر، نال درجة الدكتوراه سنة1874م، أتقن اللغة العربية كواحد من أبنائها، وأصبح عميد الدراسات الشرقية في ألمانيا، ومن أهم إنجازاته[2]:

- الشرق الإسلامي، في جزأين (ليبزيج1909م)، تناول فيه الآثار اليمنية.
- خمسة خطباء للإسلام (ليبزيج1912م).
- تاريخ الإسلام في الصين.
- الفصول المتعلقة بالجغرافية الإدارية من صبح الأعشى للقلقشندي.
- مئات المقالات عن تركيا وإيران.

---

[1]– عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص409. "بتصرف".

[2]– نجيب العقيقي، المستشرقون، ج2، مرجع السابق، ص394-395. "بتصرف".

3-10- أوجست فيشر August Fischer (1865-1949)

ولد فيشر في هاله، ودرس اللغات الشرقية على يد توربكه، خلف المستشرق سوسين في ليبزيج، ومن تلاميذه براجشتراسر، شاده،وقد نحا فيشر منحى فلايشر في العناية بفقه اللغة، أنتخب عضوا في مجمعي مصر ودمشق، ومن أعماله[1]:

- معجم اللغة العربية القديمة مرتبا حسب المصادر، وقد قضى في تأليفه أربعين سنة.
- كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري، ليبزيج 1896م.
- مخارج الأصوات في اللهجات العربية، ليبزيج 1917م.
- نشر ألف ليلة وليلة، ليبزيج 1918م.
- نشر تذكرة الحفاظ للذهبي، وكتاب القرآن لأبي العلاء المعري.

3-11-إينو ليتمان Enno Littmann (1875-1958)

أستاذ اللغات الشرقية في جامعة توبنجن، وفي الجامعة المصرية عند إنشائها، اشترك في تحرير دائرة المعارف الإسلامية، انتخب عضوا في عدة مجامع علمية، ومن بينها المجمع اللغوي بمصر، وآثار ليتمان تزيد عن 550 عمل بين تصنيف وتحقيق وترجمة، ومن أهمها[2]:

- ترجم كتاب ألف ليلة وليلة إلى الألمانية في ستة مجلدات.
- البعثة الأمريكية الأثرية إلى سوريا(1899-1900) في مجلة الآثار الأمريكية.
- الفكاهة العربية (نشرة جامعة برنستون1902م).
- الإسلام في شمالي الحبشة (الإسلام1910م).
- أبو سفيان (دائرة المعارف الإسلامية، ليدن1913م).

[1] – نجيب العقيقي، المستشرقون، ج2، مرجع سابق، ص415. "بتصرف".

[2] – نجيب العقيقي، المستشرقون، ج2، مرجع سابق، ص438-439. "بتصرف"

3-12- جوتهلف براجشتراسر Gotthelf Bergsträßer (1886-1933)

درس الفلسفة واللغات السامية على يد أوجست فيشر في ليبزيج، ونال فيها درجة الدكتوراه سنة 1911م، تولى تحرير المجلة الألمانية للدراسات السامية، قدم إلى مصر أستاذا زائرا، وألقى على طلبتها سلسلة من المحاضرات في قواعد نشر النصوص العربية، ومن آثاره[1]:

- حروف النفي في القرآن الكريم، وهي أطروحته للدكتوراه سنة 1911م.
- معجم قراء القرآن وتراجمهم، وهو رسالته للأستاذية سنة 1912م.
- رسالة حنين بن إسحق إلى علي بن يحي، متنا وترجمة ألمانية، ليبزيج 1925م.
- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، في جزأين سنة 1932م.

3-13- آنا ماري شيمل Annemarie Schimmel (1922-2003)

ولدت في مدينة إرفورت، وسط ألمانيا، أحبت اللغة العربية والقرآن الكريم، نالت درجة الدكتوراه سنة 1941م على يد المستشرق ريتشارد هارتمان، عملت أستاذة لتاريخ الأديان في جامعة أنقرة لمدة خمس سنوات، شغلت منصب مديرة قسم الدراسات الهندو إسلامية في جامعة هارفرد الأمريكية لمدة خمس وعشرين سنة، حصلت على العديد من الجوائز والأوسمة نظير مجهودها العلمي، ولقبت بعميدة الاستشراق الألماني، ومن آثارها[2]:

- مقدّمة في تاريخ الإسلام.
- محمد رسول الله ﷺ بالألمانية عام1981، وبالانجليزية عام 1987.
- فن الخط الإسلامي بالإنجليزية سنة 1970م.
- الآداب الإسلامية في الهند بالألمانية سنة 1975م.

---

[1] – نجيب العقيقي، المستشرقون، ج2، مرجع سابق، ص450-451. "بتصرّف".

[2] – حامد ناصر الظالمي: المستشرقة الألمانية آنا ماري شيمل وكتابها "وأنّ محمدا رسول الله"، مجلة دراسات استشراقية، المركز الإسلامي للدّراسات الاستراتيجية، السنة الثانية، العدد5، صيف2015م/1437هـ، ص27-28.

- محمد رسول الله بالألمانية سنة 1980م.

3-14-زيغريد هونكه Sigrid Hunke (1913-1999)

تعلمت في جامعات كيل وفرايبورغ وبرلين، وكان من أساتذتها المفضلين الفيلسوف الألماني المشهور مارتن هايدجر، حصلت على إجازة الدكتوراه سنة 1941م، قامت بعدة رحلات في الشرق سمحت لها بالتعرف على شعوبه وثقافاته، كما أتقنت اللغة العربية، وقد أنصفت العرب والمسلمين في كتاباتها، ونذكر من أهم أعمالها:

- في البدء كان رجل وامرأة، وهو أول كتبها، وصدر عام 1953م.
- شمس العرب تسطع على الغرب(أثر الحضارة العربية في أوربا) وترجم مرتين إلى اللغة العربية.
- جمال على معطف القيصر(لقاءات عربية ألمانية منذ كارل الأكبر)، صدر عام 1976م.
- كتاب العقيدة والعلم (وحدة الدين الأوربي وعلم الطبيعة).
- الله ليس كمثله شيء (الكشف عن ألف فرية وفرية عن العرب).

المبحث الثّالث: الاستشراق الألماني والتراث الإسلامي

أوّلا: جهود المستشرقين الألمان في خدمة التراث العربي والإسلامي:

اهتم المستشرقون الألمان بعلوم الشرق الإسلامي منذ القديم، فقد ترجموا القرآن الكريم، والسيرة النبوية الشريفة، وأنشأوا القواميس العربية، ونشروا الأشعار الجاهلية، هذا إلى جانب ما ألفوه من كتب ومعاجم وبحوث ومقالات عن الشرق، وخاصة الإسلامي، ولهذا فإنّنا لا نكاد نجد جامعة ألمانية إلا ونجد فيها أقسامًا لتدريس اللغات الشرقية، ولكلّ جامعة مكتبة عامرة بشتى المخطوطات والذخائر الشرقية وسنلقي الضّوء فيما على أهمّ الجهود المبذولة من طرف مستشرقي هذه المدرسة دون تركيز على أهدافهم أو غاياتهم.

1- في الدراسات القرآنية:

1-1- ترجمة القرآن الكريم:

تعدّ اللغة الألمانية من أكثر اللغات الأوربية التي تُرجمت إليها معاني القرآن الكريم، فقد بلغ عدد هذه الترجمات أربع عشرة ترجمة، وقد تعددت الأسباب التي دفعت المستشرقين الألمان إلى ترجمة معاني القرآن الكريم، بين من أراد تشويه صورة القرآن والدين الإسلامي، فتعمد التشويه والتحريف في الترجمة وبين من حاول الالتزام بالموضوعية، والتحلّي بالروح العلمية، ومع ذلك وقع في أخطاء نتيجة الجهل باللغة العربية ومن بين هذه الترجمات الألمانية نجد:

1-1-1- ترجمة سالمون شفايجر Salomon Schweigger: كانت ترجمته سنة1616م، في مدينة نورنبرج الألمانية، وتعد الترجمة الأولى للقرآن الكريم إلى اللغة الألمانية، وقد اعتمد فيه على ترجمة إيطالية رديئة لصاحبها أندريا أريفابيني، والذي تعدّ ترجمته هي الأولى في إيطاليا أيضا[1].

1-1-2- ترجمة دافيد فردريش ميجرلن David Friedrich Megerlin: ظهرت سنة1772م في فرانكفورت، وقد ترجمت مباشرة عن النص العربي، قرأها غوته، ومنها بدأ إعجابه بالإسلام.

1-1-3- ليون أولمان Ludwig Baruch Ullmann: كاهن يهودي، وقد كانت ترجمته سنة1840م في مدينة كريفيلد.

1-1-4- فريدريش ريكارت Friedrich Rückert: كانت ترجمته سنه1866، وهي ترجمة شعرية، أعاد نشرها وتحقيقها هارتموت بوبتسين سنة1995م.

1-1-5- رودي باريت Rudi Paret: كانت ترجمته عام 1966م، وهي من أكثر الترجمات الأوربية سهولة وتداولا.

---

[1] – سريسر مليكة : ترجمة معاني القرآن الكريم عند دونيز ماسون –دراسة تطبيقية–، شهادة ماجيستير، جامعة وهران، كلية الآداب والفنون، وهران، الجزائر، 2011–2012م، ص98.

ويعطي المستشرق الألماني ألبرت ديتريش Albert Dietrich رأيه في هذه الترجمات قائلا "بيد أن هذه الترجمات قد جاءت مليئة بالأخطاء التي نجمت عن عدم فهم النص القرآني فهما سليما"[1].

1-2- جمع القرآن الكريم وتدوينه:

اهتم المستشرقون الألمان بموضوع جمع القرآن الكريم وتدوينه من خلال المؤلفات التي صنفوها في هذا المجال، فنجد ممّن خاض في هذا المجال المستشرق جوستاف فايل Gustav Weil في كتابه «مدخل تاريخي نقدي للقرآن»، و نولدكه Theodor Nöldeke في كتابه «تاريخ القرآن» ويوليوس فلهاوزن Julius Wellhausen في كتابه «تاريخ الدولة العربية وسقوطها»، وبروكلمان Carl Brocklmann في «تاريخ الشعوب الإسلامية».

2- السيرة النبوية:

كتب المستشرقون الألمان عن السيرة النبوية كغيرهم من مستشرقي أوربا، فألفوا حولها الكتب والبحوث والمقالات، وكتبوا عنها في دوائر المعارف، ونشروا وحققوا وفهرسوا الكثير من المصادر الإسلامية، وهذا بغض النظر عن موقفهم منها أو الأهداف التي أرادوا الوصول إليها، فمهما كان موقف هؤلاء المستشرقين فإنّ علينا ألّا نغمض أعيننا عن كتاباتهم وآرائهم حتى وإن كانت مخالفة لمعتقداتنا لأنّهم في الغالب انطلقوا في مواقفهم مما أملته عليهم عقائدهم وخلفياتهم.

ونجد ممن خاض في مجال السيرة النّبوية **فرديناند وستنفيلد** Ferdinand Wüstenfeld ، فقد نشر سيرة ابن إسحاق برواية عبد الملك بن هشام سنة 1860-1858م، كما نقل جوستاف فايل Gustav Weil سيرة ابن هشام إلى اللغة الألمانية في مجلدين سنة 1864م.

وكذلك نجد ممّن ألّف في مجال السيرة المستشرق يوليوس فلهاوزن Julius Wellhausen في كتابيه الدولة العربية وسقوطها سنة1902م، وأحزاب المعارضة في صدر الإسلام، ومن بين أفكاره التي

[1]- ناصر المنيع، آثار مدرسة الاستشراق الألمانية في الدراسات القرآنية، مرجع سابق، ص403.

بثها في كتابيه أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس رسولا من عند الله، وإنّما هو صاحب طموح شخصي يريد تحقيقه، وكذلك نجد شيخ المستشرقين الألمان تيودور نولدكه Theodor Nöldeke في كتابه تاريخ القرآن فهو يؤمن بفكرة التأثير اليهودي النصراني في القرآن، كما ينكر نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويقول عنه "صائغ غير موهوب لسور مشوشة الأسلوب"[1].

ونجد أيضا ممن كتب عن السيرة المستشرق **جريمة** Hubert Grimme في كتابه "محمد" وهو في جزأين ، وكتبت **آنا ماري شيمل** Annemarie Schimmel كتابها محمد نبي الله أو"الرسول في الإسلام"، وكتب **أوجست فيشر** August Fischer بحثا بعنوان محمد وأحمد اسمان للنبي العربي، وقد نشر سنة 1932م، كما كتب **كارل بروكلمان** Carl Brocklmann كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية وهو مليء بالمغالطات، ونجد من بين الألمان المنصفين العالم المسلم **مراد هوفمان** Murad Wilfried Hofmann في كتبه عن الإسلام ومنها كتابة المترجم إلى العربية "الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود".

3-المخطوطات العربية والإسلامية:

ضاعت العديد من نفائس المخطوطات العربية والإسلامية نتيجة للظروف والأزمات التي مرت بها البلاد الإسلامية، من "احتلال هولاكو بغداد بجيوشه سنة (656هـ/1258م) إذ ألقيت مئات الآلاف من المخطوطات في نهر دجلة، كذلك حين سقوط غرناطة على يد الإسبان سنة (892هـ/1492م) إذ أحرقت عشرات الآلاف من المخطوطات"[2]، وكذا حرق مكتبة الإسكندرية، ووصولا إلى الاستعمار الحديث للبلاد الإسلامية، والذي لا يزال متواصلا إلى يومنا هذا.

---

[1]- حسن عزوزي، نبوة محمد في فكر المستشرق الألماني نولدكه، ضمن كتاب السيرة النبوية في الكتابات الألمانية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-إيسيسكو-1432هـ-2011م، ص32.

[2]- رائد أمير عبد الله: المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية الإسلامية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، العراق، السنة الثامنة، العدد15، 1435هـ/2014م، ص12.

أما الذي نجا من الحرق والإتلاف فقد نقل إلى الأديرة والكنائس والمتاحف الغربية خلال فترتي الحروب الصليبية والاستعمار الحديث للبلاد الإسلامية.

وقد رأى أحد الدارسين العرب للمخطوطات بأنّ هذه الأخيرة، وخاصة في وقتنا الحاضر لا تتعرض للحرق، إنما تسرق وتنهب، والذي يتعرض للحرق هو مكانها، وهو ما يحصل اليوم لمخطوطات الموصل في العراق، وكذلك في اليمن وليبيا، وهي اليوم تزيّن رفوف كبرى المكتبات الغربية، ولكنّ عزاءنا كما قال أحد الباحثين إنّ مخطوطاتنا "وجدت من يسعى إلى الحفاظ عليها وتصنيفها وفهرستها والعمل على تحقيقها، وإن نظرة في أعداد المخطوطات توضح لنا أهميتها بصفتها ذخائر تراثية لا تقدر بثمن"[1].

ومن بين البلاد الغربية التي حطّت بها المخطوطات الإسلامية رحالها نجد ألمانيا، فمكتبة برلين وحدها تحتوي على أكثر من عشرة آلاف مخطوط فهرست في عشرة مجلّدات، كما تحتوي جامعة جوتنجن على ثلاثة آلاف مخطوط، وتحتوي جامعة توبنجن على عدد كبير من المخطوطات الإسلامية ،وكذلك جامعة هايدلبرج التي رهن عندها الفرنسي بوستل مخطوطاته بسبب فقره المدقع، وكانت هذه المخطوطات فيما بعد هي الأساس الذي بنيت عليه الدراسات الاستشراقية في ألمانيا[2].

وقد تميز المستشرقون الألمان عن نظرائهم الأوربيين، بأنّ جمعهم للمخطوطات تم "من خلال الإهداءات والشراء، بعكس المستشرقين الانكليز والفرنسيين...الذين تعددت طرقهم للجمع منها الاعتداء والسرقة، وهذا ما لم يثبت عن الألمان"[3].

ولم يكتف المستشرقون الألمان بحفظ هذه المخطوطات، بل قاموا بفهرستها، وتحقيقها تحقيقا علميا، ثم نشرها، وكذلك ترجمتها ليستفيد منها الباحثون الآخرون، وقد كان رايسكه Johann Jacob

[1]– محمد أبو الفضل بدران: الاستشراق الألماني المعاصر، مرجع سابق، ص51.

[2] – نفسه، ص51.

[3]– رائد أمير عبد الله: المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص13.

Reiske أول من نشر معلقة طرفة بن العبد بشرح ابن النحاس، مع ترجمتها إلى اللاتينية عام1742م، وكانت نشرة رايسكة هذه فتحا جديدا في ميدان الدراسات العربية[1].

كما حقق المستشرقون الألمان، ونشروا عددا كبيرا من أمهات الكتب العربية في شتى المجالات كسيرة بن إسحاق وسيرة ابن هشام والكامل للمبرد وتاريخ الطبري، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ومؤلفات البيروني، ومؤلفات بن جني، وبدائع الزهور لابن إياس، والفهرست لابن النديم، والاشتقاق لابن دريد وديوان الحماسة لأبي تمام، وعددا كبيرا من دواوين الشعر العربي.

4- الكتابة والتأليف:

من بين الأعمال الجليلة التي قام بها المستشرقون الألمان لخدمة التراث العربي والإسلامي تأليف الكتب والمعاجم والبحوث والدراسات، ومن بين هذه الأعمال الخالدة نجد **كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان**، وهو كتاب مهم في الدراسات العربية و الإسلامية، ولا يستغني عنه أي باحث في هذا المجال وقد جمع فيه بروكلمان كل ما ألّف في اللغة العربية من مخطوط ومطبوع، وقد قام عبد الحليم النجار بترجمة هذا الكتاب إلى العربية في ثلاثة مجلدات، ولا ننسى المجهود الكبير الذي قام به العالم المسلم فؤاد سزكين في إتمام عمل بروكلمان في كتابه **تاريخ التراث العربي**، والذي قضى في تأليفه خمسة عشر عاما، وقد نقله من الألمانية محمود فهي حجازي، والدكتور مصطفى عرفة.

وكذلك نجد كتاب **العربية** لمؤلفه **يوهان فوك** Johann Fück ، وقد تناول فيه "تاريخ العربية، ابتداء من العصر الأموي والعباسي، وانتهاء بعصور السلاجقة والسيل المغولي«الذي أكمل حلقة الختام في مراحل الانحلال اللغوي، التي بدأت بظهور السلاجقة»، لكي يشير في«نظرة خاطفة» إلى الطريق الذي سلكه تطور العربية الأدبية في القرون التالية حتى العصر الحاضر"[2].

---

[1] – موسوعة المستشرقين : عبد الرحمان بدوي، مرجع سابق، ص299.

[2] – يوهان فوك، العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، تر: رمضان عبد التواب، دط، مكتبة الخانجي ، مصر،1400هـ-1980م، ص5. "مقدّمة المترجم".

ونذكر كذلك كتاب **أصول نقد النصوص ونشر الكتب** للمستشرق **براجشتراسر** Gotthelf Bergsträsser وهو عبارة عن مجموعة من المحاضرات التي ألقاها صاحبها على الطلبة في جامعة القاهرة سنة 1932م، وقد ترجمها إلى العربية محمد حمدي البكري في جزأين، وهي تعد أقدم دراسة في المجال ثم تأتي الدراسات العربية كدراسة عبد السلام هارون في كتابه تحقيق النصوص، ونشرها سنة 1954م، ودراسة محمود محمد الطناحي مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي سنة 1984م، وغيرها من الدراسات العربية.

وبالإضافة إلى تأليف الكتب فقد أدرك المستشرقون الألمان أهمية **المعاجم** في فهم القرآن الكريم والأحاديث النبوية، فعكفوا على تصنيفها، ونجد من أوائل من صنّف في هذا المجال **يعقوب يوليوس** Jacobus Golius سنة1667م، حيث وضع معجما عربيا لاتينيا، وكذلك نجد **جوستاف فلوجل** Gustav Leberecht Flügel الذي قام بفهرسة لألفاظ القرآن الكريم في معجمه الذي سماه **نجوم الفرقان في أطراف القرآن** سنة1842م، وفتح بذلك الباب للعلماء العرب مثل محمد فؤاد عبد الباقي الذي وضع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، يقول عبد الباقي"وإذ كان خير ما ألف وأكثره استيعابا في هذا الفن، دون منازع ولا معارض، هو كتاب "نجوم الفرقان في أطراف القرآن" لمؤلفه المستشرق فلوجل الألماني، الذي طبع لأول مرة عام 1842 ميلادية، فقد اعتضدت به وجعلته أساسا لمعجمي"[1].

وكذلك نجد المستشرق **جورج فيلهلم فرايتاج** Georg Wilhelm Freytag الذي صنف **المعجم العربي اللاتيني** في أربعة أجزاء، وقد قضى في تصنيفه سبع سنوات وصدر بين1830م-1837م، **وهانس فير** Hans Wehr الذي ألف **القاموس العربي الألماني**، وقد تناول فيه الكلمات المستعملة في اللغة العربية المعاصرة، ولم يرجع فيه إلى المعاجم العربية، وقاموس المستشرق **جوتس شراجله** Götz

[1] – محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دط، دار الحديث، القاهرة، 1364هـ، ص6.

Schregle الألماني العربي، وقد صدر سنة1974م، وكذلك نجد معجم **أوجست فيشر** August Fischer اللغوي التاريخي، وهو معجم ضخم، وقد توفي فيشر قبل أن يرى عمله النور.

ولا يجدر بنا ونحن نتكلم عن المعاجم أن ننسى القاموس الضخم للغة العربية الفصحى الذي اشتغل عليه المستشرق **أولمان** Manfred Ullmann في جامعة توبنجن، وفي سنة1980م كان العمل عليه قد وصل إلى حرف "الكاف"، وفي سنة2000م انتقل العمل عليه إلى جامعة ميونيخ، وقد وصل العمل فيه إلى حرف "الميم".

5- نشر اللغة العربية في ألمانيا:

تعلم المستشرقون الألمان اللغة العربية، وعملوا على نشرها وتدريسها لبني جلدتهم، وذلك لأنّها ارتبطت في البداية بالدّراسات اللاهوتية، وقد ساعدهم في ذلك العناية التي أولتها الدولة الألمانية للدراسات الشرقية، فقلّ أن نجد جامعة ألمانية-خاصة الكبرى- تخلو من وجود معاهد أو أقسام لتدريس اللغات الشرقية، ومنها العربية، بل إنّنا نجد في بعضها أكثر من معهد لتدريس اللغات الشرقية، كجامعة ميونيخ التي يوجد بها معهدان للدراسات الاستشراقية، ويوجد في ألمانيا اليوم (25معهدا) خاصا بالاستشراق[1].

6- ترجمة الأدب العربي إلى اللغة الألمانية:

سهر مستشرقو الجيل القديم من الألمان على ترجمة العديد من مصادر التراث العربي والإسلامي إلى اللغة الألمانية، أما في الوقت الحالي، فيرى المستشرق **هارتموت بوبتسين** Hartmut Bobzin أنّ الأعمال المترجمة إلى اللغة الألمانية قليلة نسبيا بالمقارنة بالترجمات عن الآداب العالمية الأخرى، أمّا عن الأعمال المترجمة فجلّها من الأدب العربي الحديث ، كأعمال نجيب محفوظ ومحمد شكري والطاهر بن جلون ورشيد بوجدرة ونصر حامد أبو زيد وحنان الشيخ وغيرهم، ولكنها أعمال قد لا تنقل الصورة

[1] – ظافر يوسف: الاستشراق الألماني إلى أين (حوار مع المستشرق الألماني هارتموت بوبتسين)، مرجع سابق، ص139.

الحقيقية للأدب العربي إلى المتلقي الألماني باعتبار أنّ الترجمة في الوقت الحالي أصبحت عملية تجارية تخضع للربح والخسارة، كما تتدخل في الأهواء الشخصية، وحتى سياسات الدول[1].

ثانيا: مواقف المستشرقين الألمان من العلوم الإسلامية:

1- نظرتهم للقرآن الكريم:

1-1- نظرتهم لظاهرة الوحي ومصدر القرآن الكريم:

لم تختلف نظرة أغلب المستشرقين الألمان الذين خاضوا غمار الدّراسات القرآنية عن نظرائهم الغربيين كثيرا، فقد ردّدوا تقريبًا ما قاله أساطين الاستشراق الآخرون حول كلّ ما يتعلّق بالقرآن الكريم كالحديث عن مصدر الوحي، والمصدر اليهودي النّصراني في القرآن، وتهمة الصّرع، وفواتح السّور وكذلك اقتراح ترتيب آخر لسور القرآن غير الترتيب المتعارف عليه، وغير ذلك من الشّبهات التي يلوكها لسان كلّ مستشرق حاقد.

ونجد من أبرز من تصدّى لهذا الموضوع شيخ المستشرقين الألمان **ثيودور نولدكه** Theodor Nöldeke في كتابه **« تاريخ القرآن»** والذي بدأه، ثم أكمله طلّابه من بعده، وقد صار كتابه فيما بعد عمدة بين المستشرقين خاصة فيما يتعلّق بالدراسات القرآنية، وتحدّث فيه **نولدكه** عن القرآن الكريم ومصدر نشأته، وكيفية جمعه كما اقترح ترتيبًا لسور القرآن الكريم يختلف عن ترتيبها حسب زمن نزولها.

في حديثه عن ظاهرة الوحي عند النّبي محمد ﷺ يسلّم نولدكه للقائلين بنظرية التأثير اليهودي المسيحي على القرآن الكريم، حيث يقول" قدْ يلقي المرء جزافا بالتهمة القائلة إنّ أهم تعاليم محمد مأخوذة عن اليهود والمسيحيين ، وليست نابعة من عقله. صحيح أنّ أفضل ما في الإسلام نشأ على هذا المنوال"[2].

---

[1] – ظافر يوسف: الاستشراق الألماني إلى أين، مرجع سابق، ص140-141.

[2] – تيودور نولدكه : تاريخ القرآن، تر:جورج تامر،ط1، دار نشر جورج ألمز، بيروت، 2004م، ص4.

ويصرّح أيضا بالمصدر الخارجي للقرآن قائلا بأنّه "لا لزوم للتّحليل لنكتشف أنّ أثر قصص الأنبياء في القرآن، بل الكثير من التعاليم والفروض هي ذات أصل يهودي، أمّا تأثير الإنجيل على القرآن فهو دون ذلك بكثير"[1].

فلا مشكلة إذًا لدى المستشرق نولدكه في أنّ مصدر القرآن هو اليهودية أو المسيحية، ولكنّه يرى بأنّ النّبي قد أعاد صياغة تلك المعرفة وتكييفها بعقله حتى تلائم مجتمعه، وبقي كذلك حتّى " أجبره أخيرا الصوت الداخلي الحازم على أن يبرز لبني قومه رغم الخطر والسخرية اللذين تعرض لهما ليدعوهم إلى الإيمان"[2].

وعن الصراع النّفسي الداخلي الذي ملأ جوانب نفس النّبي يقول نولدكه أيضًا " لهذا السّبب اعتبر ما حرّك نفسه أمرا موحى به منزلا من السماء، ولم يختبر اعتقاده مطلقًا، بل اتّبع الغريزة التي كانت تدفع به تارة إلى هنا وطورا إلى هناك ذلك أنّه اعتبر هذه الغريزة صوت الله الذي أتاه"[3].

فواضح ممّا سبق بأنّ مصدر الوحي عند نولدكه هو المكتسبات التي تحصّل عليها النّبي ﷺ من الكتب السابقة ثمّ ترجمها بطريقة تناسب المجتمع العربي، وهذا " الدين الجديد الذي قدّر له أن يهزّ العالم كلّه انصهر في وجدان محمّد من مواد مختلفة. ما أضافه هو إلى ذلك يقلّ أهمية عمّا أخذه عن الآخرين"[4].

ولا يختلف مستشرق ألماني آخر وهو **يوليوس فلهاوزن** Julius Wellhausen عن نولدكه في رفض ردّ الوحي ونبوّة الرّسول محمّد ﷺ إلى مصادر نفسية، حيث يقول في بداية كلامه عن النّبي" وكان

[1] – تيودور نولدكه : تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص7.
[2] – نفسه، ص4.
[3] – نفسه، ص5.
[4] – نفسه، ص19.

أوّل ما استولى على قلبه اليقين بالله القادر على كلّ شيء واليقين بيوم الحساب، ولكن ذلك اليقين الذي ملأ نفسه كان من القوة بحيث فاض عنها، فلم يجد بدًّا من أن يرشد إخوانه إلى نور الهدى"[1].

ڤلهاوزن أيضًا يرى بأنّ الوحي مصدره نفس النّبي ﷺ وقلقه على قبيلته القرشية، ورغبته كذلك في إخراجها من متاهات الضلال.

ولم يخرج المستشرق **رودي باريت** Rudi Paret عن الآراء السابقة التي وجدت قبله، فقد كان أحد المعجبين بثيودور نولدكه، فيرى باريت بالتأثير المسيحي واليهودي على القرآن الكريم خاصة في مجال القصص التي تتطرق للمسيح عليه السلام، فيقول" أمّا التفاصيل التي أوردها القرآن فهي عن قصّة مولد المسيح وعن طفولة مريم، وكلا الأمرين مأخوذ في الغالب عن إنجيل يعقوب المنحول"[2].

كما يرى أيضا أنّ الرقيق الموجود في مكّة كان له تأثير على الطقوس الإسلامية فيما بعد، حيث يقول" ولا بد أنّهم تركوا تأثيرا أيضا من خلال طقوسهم وحركاتهم في صلواتهم من ركوع وسجود وتلاوة للإنجيل، ففي طقوس المسلمين للصّلاة كما بدأها النبي محمد نجد معالم للنموذج المسيحي العربي واليهودي العربي أيضا"[3].

وعن المصدر النّفسي يقول **باريت**" وقد نشأ محمد في تلك الجاهلية ، وسط التصورات الوثنية العربية، وكبر في مرابعها قبل أن تتماس مع الديانات الأخرى غير العربية، وتحت التأثيرات المتنافسة في وعيه أعلن عن دعوته باعتباره حامل عقيدة جديدة"[4].

---

[1] – يوليوس فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط2، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1968م، ص1.

[2] – رودي باريت: محمد والقرآن دعوة النبي العربي ورسالته، تر: رضوان السيد، ط1، مؤسسة شرق غرب، الإمارات العربية المتحدة، 2009م، ص20.

[3] – نفسه، ص21–22.

[4] – نفسه، ص22.

1-2- نظرتهم لجمع القرآن الكريم:

جُمع القرآن الكريم كاملا في عهد الرّسول ﷺ، ولكنّه لم يكن مجموعًا في كتاب واحد، بل قد جمع في الأكتاف والعسب واللخاف، والوسائل التي كانوا يستعملونها للكتابة آنذاك، ويمكننا القول بأنّ عدم جمعه في الصّحف أو في مصحف واحد كما فعل أبو بكر وعثمان رضي الله عنهما بعد ذلك كان بسبب[1].

- ترقب النّبي الدائم لتتابع نزول الوحي، فتنزل آيات ناسخة أحكامه وألفاظه.
- ترتيب آيات القرآن وسوره لم يكن على حسب النزول، بل كان على حسب تناسب الآي وترابطها، وقد تنزل الآية أو السورة بعد الآية أو السورة وتكون في ترتيب الكتابة قبلها.

فلو كتب النّبي ﷺ القرآن الكريم في مكان -والشأن كما ذكرنا- لكان عرضة للتغيير والإزالة والمحو، وقد تكون كتابته في موضع واحد متعذّرة إن لم تكن مستحيلة في كتاب نزل منجّما كالقرآن الكريم في بضع وعشرين سنة[2].

وإذا ما نحن سلطنا الضوء على الموقف الاستشراقي الألماني حول هذه النقطة فإنّ أوّل ما يطالعنا في هذا الشّأن هو موقف ثيودور نولدكه، والذي نرى موقفه غامضا لأوّل وهلة، فلا يعتبر أنّ القرآن قد تمّ جمعه في عهد النّبي، حيث يقول "ألّا يكون القرآن قد جمع كاملا في أيام النبي أمر بديهي ذلك أنّ رسول الله استدعي بشكل مفاجئ وغير متوقع من المسرح الأرضي"[3]، لكنّه يصرّح في موضع آخر من كتابه أنّ المسلمين انقسموا إلى ثلاثة آراء مختلفة في قولهم بأول من جمع القرآن ، لكنّه لم يعتبر مرحلة الجمع في عهد النّبي من بينها[4].

---

[1] – محمد محمد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن الكريم، ط3، دار اللواء، الرياض، 1987م/1407هـ، ص269.

[2] – نفسه، ص269.

[3] – تيودور نولدكه : تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص240.

[4] – نفسه، ص252.

والجواب على نولدكه، أنّ القرآن كما ذكرنا كان مجموعا حفظًا وكتابة، وحفظه وكتبه عدد غير قليل من الصحابة الكرام، فلمّا اضطرّت الظروف واحتيج إلى جمعه في الصّحف أو في مصحف واحد كان من تولى مهمّة الجمع وهو زيد بن ثابت يركّز على القرآن المكتوب والمحفوظ تحرّيا في الدّقة.

ويشكّك نولدكه في الصّحابي زيد بن ثابت أحد كتّاب الوحي، وصاحب الجمع الثّاني في عهد أبي بكر الصديق ويرى بأنه لم يشتهر بسعة حفظه، وأنّ "المصادر المذكورة لا تقول شيئا على قدرة زيد على حفظ القرآن غيبًا ، فلو كان قادرا على ذلك لكانت المصادر أتت على ذكر هذا الأمر مرارًا"[1].

فنولدكه لا يقدّم دليلا على كلامه في التعريض بزيد، بل هو مجرّد الظّن، ومن البديهي أنّ أبا بكر لو لم ير زيدًا أهلا لهذه المهمّة ما كلّفه بذلك، وهذا غيض من فيض حول القرآن الكريم عند المستشرق الألماني نولدكه، وغير ذلك كثير ممّا ضربنا الذّكر عنه صفحًا، من مثل أنّ الصحابة حذفوا سورا من القرآن كانت في مصحف كتبَه أبيّ بنُ كعب، أو أنّ معارك الردّة لا تصحّ في أن تكون سبَبًا لجمع القرآن في عهد أبي بكر حيث اتّكأ على كلام المستشرق الإيطالي **ليونه كايتاني** Leone Caetani، وغير ذلك من الشّبه الكثيرة في كتاب نولدكه.

2- نظرتهم للحديث الشريف:

كانت السّنة النّبوية وحديث الرّسول عليه الصّلاة والسّلام من المواضيع التي بسط فيها المستشرقون الألمان القول، وذلك لأنّها الأصل الثاني من أصول التّشريع الإسلامي، وبإسقاطها يسقط صاحبها ويسقط معها القرآن الكريم، فحاولوا كغيرهم الطّعن فيها، والافتراء عليها وتوصّلوا إلى أنّه لا علاقة لها بالرّسول عليه الصّلاة والسّلام، بل هي متطوّرة في الأزمنة التي تلت زمن النّبي، ثمّ أضيفت إليه لإضفاء هالة من القداسة عليها.

[1] – تيودور نولدكه : تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص251.

ومن أبرز من حمل راية الطّعن في السّنة النبوية في ألمانيا تحت غطاء الموضوعية والبحث العلمي نجد المستشرق **جوزيف شاخت** Joseph Schacht الذي واصل ما بدأه سلفه **جولد تسيهر** Ignaz Goldziher في أوربا من طعن وتشكيك في السّنة النبوية، فنراه يوافقه في ما قرّره من أنّ " الغالبية العظمى من أحاديث النّبي هي وثائق لا تعود إلى الزمن الذي تدّعي أنّها تنتمي إليه، وإنّما تعود إلى المراحل المتعاقبة من تطوّر الشريعة في القرون الأولى، وقد أصبح هذا الاكتشاف البارز حجر الأساس لكلّ بحث جدّي يتناول بدايات الشّريعة والفقه المحمّدي"[1].

لقد قضى المستشرق **شاخت** ما يربو على عشرة أعوام في التنقيب عن الأحاديث، ونشر نتيجة بحوثه في كتابه ‹‹ أصول الشريعة المحمدية أو أصول الفقه المحمدي ››، وكانت خلاصة ما وصل إليه من نتائج أنّه ليس هناك حديث واحد صحيح، وبخاصة الأحاديث الفقهية، وصار هذا الكتاب منذ ذلك الوقت إنجيلا ثانيا لعالم الاستشراق بعد كتاب ‹‹ دراسات محمدية›› لجولد تسيهر[2].

ومن أهمّ الشبه التي أثارها المستشرق **جوزيف شاخت** في كتابه:

2-1- تأثر السّنة النّبوية بمصادر داخلية وخارجية:

وهو رأي يشاركه فيه غيره من أساتذته المستشرقين الذين ذكرهم وأثنى عليهم في كتابه مثل **جولد تسيهر، سنوك هورخرونيه ، هنري لامانس،** وقد تمثّلت المصادر الداخلية -في زعمه- في التقاليد والأعراف الجاهلية، وأمّا الخارجية فتمثّلت في التأثر بتعاليم اليهودية والنصرانية وغيرها من الأديان والنحل والقوانين المعروفة في تلك الحقبة من التاريخ[3].

---

[1] – جوزيف شاخت: أصول الفقه المحمّدي، تر: رياض الميلادي، وسيم كمّون، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2018م، ص17.

[2] – محمد بهاء الدين : المستشرقون والحديث النبوي، مرجع سابق، ص19-20.

[3] – محمد إبراهيم محمد نور عبد اللطيف : آراء المستشرق جوزيف شاخت حول حجّية السنة النبوية من خلال كتابه أصول الشريعة المحمدية، أطروحة ماجيستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة، المدينة النورة، المملكة العربية السعودية، 1417هـ/1997م، ص52.

فهي إذن نفس الطّعون التي وجهت للقرآن الكريم من طرف المستشرقين، حيث زعموا أيضا وجود مؤثّرات داخلية من البيئة المكّية المحلية التي ظهر بها، وكذا وجود مؤثّرات خارجية تمثّلت في كتب أهل الكتاب الأخرى، حيث تأثّر بها النّبي في رحلاته حسب زعمهم.

2-2- الصحابة والتابعون لم يهتموا بالسّنة كمصدر للتشريع:

يرى **جوزيف شاخت** أنّ السّنة النبوية لم تحتل المكانة التي نراها نحن اليوم كمصدر للتشريع إلّا متأخرا في زمن الإمام الشافعي (150هـ-204هـ)، فهو يرى أنّ الشافعي "كان أول فقيه ضبط معنى السنة بوصفها السلوك النموذجي للنّبي على خلاف سابقيه الذين لم تكن السّنة عندهم مرتبطة به بالضرورة، بل مثّلت سلوك الأمّة النموذخي في الماضي"[1]، فيقول " وقد كان الاعتماد على آثار الصحابة والتابعين القاعدة المعمول بها في الجيلين اللذين سبقا الشافعي، وكان اعتماد أحاديث النّبي نفسه استثناءً فجعل الشافعي من الاستثناء قاعدة"[2].

فمن الواضح أنّ شاخت لا يقيم وزنًا لكلّ الروايات الإسلامية الصحيحة التي تحدّثت عن كتابة الصّحابة للحديث النّبوي منذ زمن بعثة الرّسول عليه الصلاة والسلام، وما كان ذلك إلّا لمعرفتهم بقيمته وفائدته العظيمة كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وما كان ذلك أيضًا إلّا لمكانة السّنة من الدين ومنزلتها من القرآن الكريم، فحرصوا عليها حرصهم على القرآن، فحفظوها بلفظها أو بمعناها، وعرفوا مغازيها ومراميها بسليقتهم وفطرتهم العربية، وبما كانوا يسمعونه من أقوال النّبي صلّى الله عليه وسلم، وما كانوا يشاهدون من أحواله وأفعاله[3].

[1] - جوزيف شاخت: أصول الفقه المحمّدي، مرجع سابق، ص15.

[2] - نفسه، ص15.

[3] - ينظر: محمد محمد أبو شهبة: دفاع عن السنة، مجمع البحوث الإسلامية، ط2، القاهرة، 1406هـ/1985م، ص 18-19.

ولذلك فمن غير المعقول أن يكون ما ادّعاه **شاخت** صحيحًا من اعتماد من كان قبل الشافعي على أحاديث وكلام الصحابة والتابعين، وترك حديث الرسول ﷺ، فمرتبة سنّة الرّسول ﷺ تأتي دائما بعد القرآن الكريم في حالة ما أشكل على المسلمين شيء معين ومازالت هذه قيمتها منذ زمان النّبي ﷺ والشّافعي وغيره إنّما عرفوا قيمة السّنة وحجّيتها من كلام الله سبحانه وتعالى أوّلا ثمّ من سنّة النبيّ ﷺ نفسها ثانيا، ثمّ ممّا وصلهم عن الصّحابة وكيفية تلّقيهم للسّنة وإجلالهم لها ثالثا.

2-3- أسانيد الحديث ظهرت بطريقة اعتباطية:

يرى **جوزيف شاخت** أنّ الأسانيد كانت بسيطة في بداية ظهورها، لكنّها أصبحت على غاية كبيرة من الدّقة عندما دوّنت في كتب مجاميع الحديث في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة... ولذلك فإنّه يستحيل أن نطمئنّ إلى ما يعدّه علماء الفقه الإسلامي أسانيد صحيحة من الصنف الرفيع. فنقدهم الشكلي للأحاديث الذي يقوم خصوصا على نقد الأسانيد إنّما هو برمّته غير صالح للتحليل التاريخي[1].

لقد بدأ ظهور الأسانيد منذ عهد رسول الله ﷺ، وذلك منذ أن بدأت رواية الحديث، حيث كان الصحابة يتناوبون في حضور مجلس النّبي، فكان الشاهد منهم يبلّغ الغائب، وينقل كلّ منهم ما سمع للآخر من أحاديث النّبي وأقواله وأفعاله وسائر أحواله، وهؤلاء عندما يذكرون شيئًا سمعوه من النّبي ﷺ أو رأوه يفعله كانوا ينسبون القول أو الفعل إلى النّبي ﷺ[2].

أمّا قول **شاخت** بأنّ الأسانيد كانت بسيطة فهذا الأمر طبيعي، فالحديث كلّما كان قريبًا من عصر النّبي عليه الصّلاة والسّلام كلّما كان إسناده أقصر، فقد يروي التّابعي عن الصّحابي عن الرّسول ﷺ وكلّما ابتعد الحديث عن زمن النّبي كلّما صار الإسناد أطول، فهذا تفسير البساطة والدّقة الذي ذكره شاخت في معرض كلامه عن الإسناد في الأحاديث.

---

[1] – ينظر: جوزيف شاخت، أصول الفقه المحمدي، مرجع سابق، ص 211.

[2] – ينظر: محمد بهاء الدين: المستشرقون والحديث النبوي، مرجع سابق، ص86.

وأمر آخر يذكره الباحثون في مجال السّنة النبوية في الرّد على جوزيف شاخت وهو أنّه لم يعتمد في دراسته للأسانيد على كتب أهل الحديث المعروفة، بل اعتمد على كتب **أهل الفقه** ككتاب الموطأ للإمام مالك، والموطأ للإمام محمد بن الحسن الشيباني، وكتاب الأم للإمام الشافعي، وذلك لأنّ" الاعتناء بالأسانيد والمتون ليس من وظيفة الفقهاء، بل من وظيفة المحدّثين لأنّ الفقهاء همّهم استنباط المسائل الفقهية من الأحاديث بعد حصول ثقتهم بمدى حجّيتها لما ذهبوا إليه، لذا كثيرا ما نجد الفقيه يكتفي بأدنى إشارة إلى الحديث... وليس معنى هذا أنّ الأحاديث التي استند عليها الفقهاء خالية من الأسانيد في مستودعاتها من كتب الحديث أو لم يعرفها الفقهاء"[1].

إذا فالخطأ الذي وقع فيه شاخت هو أنّه بنى دراسته لمسألة مرتبطة بالسّنة النبوية والحديث الشريف على كتب الفقه لا على مظانّها الأصلية في كتب المحدّثين الصحيحة.

أمّا مسألة النّقد الشكلي للأحاديث، فشاخت يرى أنّ المحدّثين اهتموا بنقد الإسناد في حين أهملوا نقد المتن حيث يقول في موضع آخر من كتابه" ومن المهمّ أن نلاحظ أنهم أخفوا نقدهم لمادة الحديث وراء نقدهم للإسناد نفسه"[2].

وفي الرّد على هذه الفرية نقف على كلام لمحمد محمد أبي شهبة حيث يقول أنّه" كما عني المحدّثون بنقد الأسانيد–النقد الخارجي– عنوا بنقد المتون–النقد الداخلي– وليس أدلّ على هذا من أنّهم جعلوا من أمارة الحديث االموضوع مخالفته للعقل أو المشاهدة و الحس مع عدم إمكان تأويله تأويلا قريبا محتملا، وأنّهم كثيرا ما يردّون الحديث لمخالفته للقرآن أو السنة المشهورة الصحيحة أو التاريخ المعروف"[3].

[1] – محمد بهاء الدين : المستشرقون والحديث النبوي، مرجع سابق، ص103.

[2] – جوزيف شاخت: أصول الفقه، تر: إبراهيم خورشيد وآخرون، دط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981م، ص64.

[3] – محمد محمد أبو شهبة: دفاع عن السنة، مرجع سابق، ص34.

وقد ردّ علماء الحديث كثيرا من الأحاديث، وحكموا عليها بالوضع وضربوا بها عرض الحائط لأنّها تخالف المعايير التي اشترطوها لصحّة المتن، ولذلك نقول إنّ علماء المسلمين لم يألوا جهدا في نقد الأحاديث من جهتي المتن والسّند، وكانوا حريصين على سنّة رسول الله ﷺ وخدمتها وليس كما يدّعي شاخت، والمعايير التي وضعها المحدّثون المسلمون قديما لنقد الحديث كانت مضرب المثل لدى المستشرقين الغربيين المنصفين قبل غيرهم.

3- نظرتهم للسيرة النبوية الشريفة:

أخذ المستشرقون الألمان أيضا بنصيبهم من البحث في مجال السيرة النبوية، فترجموا كتب السيرة وحقّقوا وألفوا ونشروا الأبحاث والدّراسات في مجلّاتهم ومؤتمراتهم و دوائر معارفهم بغضّ النظر عن قربهم أو بعدهم من المنهج العلمي.

وبغضّ النظر عن الصورة السوداوية التي رسمها **مارتن لوثر** Martin Luther مؤسس الكنيسة البروتستانتية عن النّبي ﷺ، والتي صوّره فيها على أنّه الشيطان أو أوّل أبناء إبليس، وأنّه مصاب بالصّرع، وأنّ الإسلام عبارة عن ترقيع مبعثر لمبادئ اليهودية والمسيحية والوثنية[1]، فإنّ الذي يعنينا هنا هو تسليط الضّوء على الكتابات الألمانية التي توصف بأنّها أخرجت الاستشراق الألماني من ربقة الكنيسة.

ولعلّ أبرز ما يطالعنا في هذا الشّأن هو اسم المستشرق **ثيودور نولدكه** Theodor Nöldeke وثلّة ممّن تتلمذ على يده من المستشرقين الألمان الذين خاضوا في ميدان السيرة النبوية، وذلك لما كان لكتابه ‹‹ تاريخ القرآن›› من أثر في من جاء بعده من المستشرقين.

أمّا فيما يخصّ ظاهرة النّبوة فقد أشار نولدكه كما أسلفنا الذّكر إلى أنّ الرسول ﷺ هو الذي أنشأ القرآن، وكان ذلك بمساعدة **مصادر خارجية** تمثّلت في رحلات النّبي التجارية ولقائه برهبان النّصارى

[1] – عمرو كامل عمر : حصان طروادة الغارة الفكرية على الديار السّنية، ط2، دار القمري، مصر، 2014م، ص271.

وأحبار اليهود أو **مصادر داخلية** تمثّلت في جماعات الرقيق والحرفيين الذين وجدوا في مكّة وكان لهم إلمام ولو بسيط بالكتب اليهودية والنّصرانية، وكلّ ذلك اعتمل في نفس النّبي ردحًا من الزّمن حتّى ألجأه الصوت الداخلي إلى أن يعلن نفسه نذيرا لبني قومه، ولذلك **فنولدكه** يخلص إلى نتيجة مفادها أنّ" الإسلام في جوهره دينٌ يقتفي آثار المسيحية أو بعبارة أخرى أنّ الإسلام هو الصيغة التي دخلت بها المسيحية إلى بلاد العرب كلّها"[1]، ويرى أيضًا" أنّ اطلاع محمد على اليهودية والمسيحية كان جيّدا إلى الحدّ الذي كان ممكنا في عصره في مكّة، وقد اعتمد على هذين الدينين إلى درجة أنّه نادرًا ما توجد فكرة دينية في القرآن ليست مأخوذة عنهما"[2].

ومن الشّبهات الأخرى التي ذكرها **نولدكه** في كتابه حول السيرة النبوية:

1) شبهة أنّ المصادر التي أخذَ عنها النّبيّ ﷺ شفوية وليس مكتوبة:

حيث يرى نولدكه بأنّه ليس في حوزتنا أن نقدّم دليلا ملموسًا عن المصادر المكتوبة التي أخذ منها محمّد "ﷺ" القرآن، كما ينفي أيضا ما طرحه مستشرقون آخرون من أمثال **شبرنغر** Aloys Sprenger و **كليمان هوار** Clément Huart من مصادر شفوية تدلّ أنّ النّبي أخذَ عن زيد بن عمرو بن نفيل وهو أحد الحنفاء، أو من شعر أمية بن أبي الصّلت وهو نصراني، فهو يراها مصادر غير معتبرة، وفي مقابل ذلك يقدّم نولدكه مصدرا شفويا يراه جديرا بالاحترام، وهو تعلّم النّبي من اليهود والنّصارى حيث يقول" لا بدّ لنا أن ننفي إمكانية محمّد استعمال مصادر مكتوبة، فهو تقبّل أهمّ أجزاء تعليمه من اليهود والمسيحيين شفويا على الأرجح"[3]، فنولدكه افترض المصدر الشّفوي لأنّه يعلم أنّ النّبي ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب.

---

[1] – تيودور نولدكه : تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص8.

[2] – نفسه، ص343.

[3] – نفسه ، ص16.

2) شبهة أنّ النّبي ﷺ تأثّر بالاعتقادات الدينية لقومه:

يرى نولدكه بأنّ أحد أهم مصادر تعليم النّبي كانت الاعتقادات الدينية التي كانت سائدة في مكّة ومنها استمدّ تلك الأساطير التي تتحدّث عن الجنّ، كما قام النّبي حسبه بتعديل الطقوس التي كانت تمارس في الحج، وربطها بأصول إبراهيمية، كما قام النّبي بتبديل قصص عاد وثمود وسيل العرم حتّى لم يبق من الصّيغ الأساسية لهذه الروايات إلّا القليل[1].

3) شبهة أنّ النّبي ﷺ كان يعاني من الصّرع أو الاضطراب النّفسي:

في حين رأى المستشرق الألماني **جوستاف فايل** Gustav Weil أنّ الذي كان ينتاب النّبي من أعراض أثناء نزول الوحي عليه هو نوع من أنواع الصّرع، نجد أنّ **نولدكه** Theodor Nöldeke فضّل أن يسميه اضطرابًا نفسيا شديدا ويواصل زعمه قائلا بأنّ " محمّدا كان يعاني منها منذ حداثته... ورأى لاحقًا في ما كان يغشاه تأثيرًا خاصا عليه من الإله الحقيقي، وقد تكاثر على الأرجح عدد النوبات من بعد مبعثه نبيًّا... وبما أنّ الغيبوبة كانت على الأرجح تعتريه فجأة، حين كان غارقًا في تفكير عميق فقد اعتقد أنّ قوة إلهية كانت تحلّ فيه"[2].

4) شبهة أنّ معجزة الإسراء والمعراج حلم وخرافة:

زعم نولدكه أنّ ما كان يعاني منه النّبي من وضع جسدي ونفسي مضطرب يفسّر الأحلام والرّؤى التي رفعته فوق مستوى العلاقات البشرية المعروفة و" لعلّ أشهر ما يذكر في هذا الصّدد الإسراء أو المعراج التي كانت مجرّد حلم"[3].

---

[1] – تيودور نولدكه : تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص18.

[2] – نفسه، ص24.

[3] – نفسه، ص25.

ويضيف في موضع آخر"وبالنظر إلى أنّ المعراج لا يذكر في أيّ موضع قرآني آخر، فقد تكون هذه القصّة الخرافية نشأت بعد وفاة محمد ، ولعلّ ذلك حصل اعتمادًا على ما تنقله إلينا المصادر المسيحية القديمة عن بعض من اختطفوا إلى السّماء"[1].

فنولدكه إذا يرفض المعجزتين، ويفصلهما عن بعضهما البعض من النّاحية الزّمنية، ولكن إذا افترضنا مع نولدكه أنّ معجزة الإسراء كانت حلمًا، فكيف نفسّر قوله تعالى ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[2] فإننا نجد الفعل أسرى: سريْتُ سُرىً ومسْرًى وأسريْتُ بمعنًى، إذَا سرت ليلا[3]، فالسّرى هو السير ليلا، ثمّ ما هي الآيات والمعجزات التي رآها النّبي الكريم في حلمه–حسب نولدكه– حتّى تكون حجّة له على قريش، فإنْ كان النّبي قد رأى حلمًا فإنّ في استطاعة القرشيين الذين زاروا بيت المقدس من قبل أنْ يدّعوا هم أيضًا أنّهم رأوا أحلامهم الخاصة، فالإسراء والمعراج كان بالرّوح والجسد كما يذهب إليهم أغلب علماء المسلمين.

أما معجزة المعراج إلى السّماء فقد جاءت في **سورة النّجم** في قوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**﴾[4].

كما وردت معجزة الإسراء والمعراج أيضا في السّنة النبوية الصحيحة، ولكنّ نولدكه وغيره من المستشرقين يطعنون في نبوّة الرّسول ﷺ، فلا غرابة أن تكون معجزاته أيضا بالنسبة لهم من وحي خياله أو مستمدّة من كتب اليهود والمسيحيين.

---

[1] – تيودور نولدكه : تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص121–122.

[2] – سورة الإسراء /الآية :1.

[3] – إسماعيل بن حمّاد الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، مرجع سابق، ص530.

[4] – سورة النجم/ الآيات :13–14–15–16–17–18.

كما نجد ممن خاض في ميدان السيرة النبوية المستشرق **يوليوس فلهاوزن** Julius Wellhausen، ولم يخرج عمّا هو معهود قبله في نظرته للرّسول ﷺ وسيرته، فمن آرائه مثلا:

1) غزوات النّبي ﷺ ضدّ يهود المدينة:

يرى **فلهاوزن** أنّ أسباب إجلائهم واهية وضعيفة، وأنّ عين النّبي ﷺ قد كانت منذ البداية على ممتلكاتهم وأموالهم ليزيد قوّته، فنراه يقول" وفي غضون سنوات قليلة أخرج كلّ الجماعات اليهودية أو قضى عليها في الواحات المحيطة بالمدينة حيث كانوا يكوّنون جماعات متماسكة كالقبائل العربية واتّخذ لذلك أسبابا واهية، وأعطى ما كان لهم من مزارع النّخيل الخصبة إلى المهاجرة... وبهذه الطريقة أيضا زاد في قوّته، لأنّ المهاجرة كانوا أشبه بحرسه الخاص"[1].

ففلهاوزن يتجاهل ما فعله اليهود من نقضهم للعهود مع المسلمين، وتعريض الدولة المسلمة الجديدة في المدينة إلى خطر محدق يهدد كيانها ووجودها، والمتأمّل لسيرة النّبي ﷺ مع اليهود تحديدا يجد أنّها قامت على الحلم والعلم، فرغم علمه بنفاقهم ودسائسهم التي لم تتوقف للإجهاز على جماعته المؤمنة إلّا أنّه صبر عليهم حتى ظهر له أنّ بقاءهم أو بقاء بعضهم في المدينة سيهدم كلّ ما يبنيه، فاضطرّ ﷺ لإبعادهم[2].

كما أنّ **فلهاوزن** ينقض كلامه بعد عدّة أسطر من كلامه عن الأسباب الواهية لطرد اليهود وذلك في سياق الحديث عن غزوة الخندق، فيقول" ثمّ إنّ قريشا فشلت في هجوم ثانٍ قامت به على المدينة وحالفت فيه المشركين واليهود"[3]، فاليهود إذًا كان يظاهرون قريشًا على المسلمين، ولم يظلمهم النّبي ﷺ.

---

[1] – يوليوس فلهاوزن: تاريخُ الدّولة العربيّة من ظهور الإسلام إلى نهاية الدّولة الأمويّة، مرجع سابق، ص16.

[2] – إدريس مقبول: ملامح المنهج المادي الإسقاطي في كتابة السيرة عند المستشرقين الألمان (نموذج فلهاوزن)، ضمن كتاب: السيرة النبوية في الكتابات الألمانية، ندوة دولية منظمة من طرف مجموعة البحث في السنة والسيرة وقضايا الإعجاز بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس–فاس، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة،2011م، ص46.

[3] – يوليوس فلهاوزن: تاريخُ الدّولة العربيّة من ظهور الإسلام إلى نهاية الدّولة الأمويّة، مرجع سابق، ص16.

2) الجهاد في سبيل الله كان لظروف اقتصادية وذريعة للتّوسع:

نظر **فلهاوزن** للجهاد في سبيل الله على أنّه ضربٌ من التّوسع وإلهاء للمسلمين عمّا حدث من فوضى داخل الجزيرة العربية بعد موت النّبي ﷺ، فنراه يقول" وكان الجهاد وهو الحرب في سبيل الله وسيلة إلى جعل القبائل المتمرّدة تحرص على مصلحة الإسلام وجعلها ترضى به، ولم يكن الجهاد لنشر الدين أكثر من ذريعة وتعلة للحرب، كما لم تكن دعوة أعداء الله إلى الدخول في الإسلام قبل محاربتهم إلّا مسألة شكلية لأنّه لم يكن ينتظر منهم أنْ يلبّوا هذه الدّعوة حقيقة"[1]، ويضيف" ولم تكن الحكومة يهمّها سوى حمل الخراج إلى بيت المال على المقدار المفروض له"[2].

إنّ الجهاد في سبيل الله من أجلّ الأعمال التي تقرّب العبد من ربّه، وقد ورد فضله في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف، فمن كتاب الله قوله تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[3]، ومن حديث النّبي ﷺ نجد مارواه ابن مسعود رضي الله عنه في قوله ‹‹ سألتُ رسول الله ﷺ قلتُ: يارسول الله أيُّ العمل أفضلُ؟ قال الصّلاة على ميقاتها. قلتُ: ثمّ أيٌّ؟ قال: برّ الوالدين. قلتُ: ثمّ أيٌّ؟ قال: الجهادُ في سبيل الله. فسكتُّ عن رسول الله ﷺ، ولو استزدتهُ لزادني››[4].

وقد أُذن للمسلمين بالجهاد بعد هجرة النّبي ﷺ إلى المدينة المنورة لرفع راية الإسلام، ولتكون كلمة الله هي العليا، فكان المؤمنون يجاهدون من أجل الظّفر بإحدى الحسنيين: النّصر أو الشهادة، فقد كانوا يعرفون منزلة الشّهادة من قوله تعالى ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ**

---

[1] – يوليوس فلهاوزن: تاريخُ الدّولة العربيّة من ظهور الإسلام إلى نهاية الدّولة الأمويّة، مرجع سابق، ص23.

[2] – نفسه، ص27.

[3] – سورة التوبة/ الآية :111.

[4] – محمّد ابن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ط1، دار ابن كثير، دمشق،1423هـ/2002م، ص689. رقم الحديث"2782".

يُرْزَقُونَ﴾[1]، وقوله أيضًا ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾[2]، وكانوا يعرفون قيمة الدّنيا وتفاهتها من أقوال الرّسول ﷺ وأفعاله، فكانوا يحرصون على الموت مثلما كان يحرص غيرهم على الحياة، ولولا ذلك ما دانت لهم الدّنيا.

ولكنّ المستشرقين بفكرهم القاصر عاملوا وقائع السيرة النّبوية بمناهجم السقيمة، فرأوا أنّ الجهاد كان لأغراض مادّية أو توسّعية، وأسقطوا ما عرفوه في المسيحية من همجية وقتل وسلب ونهب واعتداء على الآخرين على الإسلام وأحداثه، وما قاله فلهاوزن قاله كثير من المستشرقين مثله، فنجد مثلا المستشرق الانجليزي **توماس أنولد** Thomas Arnold يقول" إنّ العرب شعبٌ نشيط فعّال، دفعته يد الجوع والحاجة إلى ترك صحاريه القاحلة واجتياج الأراضي الغنية المترفة"[3].

ويقول **ستانلي لين بول** Stanley Lane-Poole وهو مستشرق إنجليزي أيضًا" إنّنا لا نستطيع أن ننكر أنّ ثروة الأكاسرة والقياصرة، والأراضي الخصبة والمدن العامرة في الممالك المجاورة كانت عاملا كبيرًا في تحمّس المسلمين لنشر الإسلام"[4].

إنّ الباحث المتجرّد للحقّ في دراسته للسيرة النبوية يقف على أنّ النّبي ﷺ لم يترك أموالا ولا حدائق ولا قصورا، ورغم أنّ الله عزّ وجلّ قد فتح عليه بلاد العرب وجبيتْ إليه الأموال إلّا أنّه مات ﷺ ولم يترك درهما واحدًا ولا دينارا ولا شاة ولا بعيرا ولا عبدا ولا أمةً[5]، وقد تأسّى الصحابة وتابعوهم بالرّسول ﷺ في الإعراض عن الدّنيا، فلم يجعلوها أكبر همّهم، ولم يكن الخراج ولا الجبايات لتغيّر موقفهم منها وكلّ هذا ظاهر لمن يقرأ سير الصحابة رضوان الله عليهم.

---

[1] – سورة آل عمران/ الآية: 169.

[2] – سورة البقرة/ الآية: 154.

[3] – شوقي أبو خليل: الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشّرين، ط1، دار الفكر، دمشق، 1995م، ص181.

[4] – نفسه، ص181.

[5] – ابن قيم الجوزية: عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ط3، دار ابن كثير، دمشق، 1989م، ص198.

ونجد بونًا شاسعا بين الفتوحات الإسلامية التي كان يعرض فيها على غير المؤمنين ثلاثة أمور إمّا الدخول في الإسلام، فيحفظوا أموالهم وأملاكهم ولا يتعرّض لهم أحد بسوء فقد دخلوا في دائرة الإسلام وإمّا دفع الجزية مقابل حماية المسلمين لهم، وإمّا القتال حتى يستسلموا ويعطوا الجزية، وبين ما نجده من تنكيل وإهلاك للبلاد والعباد الذي تمّ ممارسته باسم المسيحية، فلو كان الهدف ماديا توسّعيا كما يقول المستشرقون فما الحاجة لعرض هاته الخيارات على غير المسلمين من الأساس.

ولا حاجة لعقد مقارنة بين مافعله المسلمون خلال فتوحاتهم في الشّام والعراق ومصر والأندلس من نشر للعدل والتّسامح بين المسلمين والطوائف الأخرى حتّى صارت هاته البلدان مضرب المثل، يأتيها القاصي والدّاني طلبا للعلم والمعرفة، وبين ما حدث في الأندلس بعد طرد المسلمين منها، وإقامة محاكم التّفتيش باسم المسيحية، وإرجاع البلاد بعد ذلك إلى العصور المظلمة بعدما كانت هذه البلاد منارة للعلم والمعرفة في يد المسلمين.

كما نجد ممّن خاض في مجال السيرة النبوية المستشرقة الألمانية **أنا ماري شيمل** Annemarie Schimmel في كتابها ‹‹**روحي أنثى**›› والذي ركّزت فيه على العنصر الأنثوي في الإسلام، فدافعت عن المرأة المسلمة، ونفت عن الإسلام ما يتّهم به من كونه جاء معاديا لها.

وتضرب المستشرقة **شيمل** مثلا بخديجة بنت خويلد زوجة النّبي ﷺ التي تزوجها النّبي محمّد ﷺ لمدّة خمس وعشرين عاما فهي من دعمته في بداية الوحي وأنجب منها فاطمة أمّ حفيدي النّبي المقتولين الحسن والحسين، وفاطمة هي المثل الأعلى والأنبل للنساء في التدين الشيعي[1].

لكنّها لا تنفي أيضًا أنّ خديجة رضي الله عنها لم تأخذ المكانة التي تستحقّها ولم يتم تقديرها حقّ قدرها، فهي تبقى المرأة التي عرضت الزواج على شريكها الشاب المجتهد محمد، وولدت له الأولاد، وهي

[1] – أنا ماري شيمل: روحي أنثى (الأنوثة في الإسلام)، تر: لميس فايد، ط1، الكتب خان، 2016م، ص43.

من عزّته بعد رؤيته الأولى وسماعه الوحي، فآزرته وأقنعته بأنّ التّجلي الذي ظهر له في غار حراء أثناء تأمله ليس برؤيا شيطانية ولكنه من عند الله[1].

ثمّ انتقلت شيمل للحديث عن إكرام الإسلام للمرأة بعد أن كان يتمّ وأدها حيّة في الجاهلية، فالنّبيّ نفسه كان له أربع بنات، وتتجلّى قيمة البنت من خلال الكنيات التي أضحت موجودة في الإسلام، فنجد مثلا أبا ليلى أو أبا ريحانة.. فكلّ هذا يعتبر إضافة نوعية للمرأة لم تكن تحظى بها سابقا[2].

كما عرّجت **شيمل** أيضا على مكانة فاطمة بنت النّبي ﷺ عند السنة والشيعة، فالسنّة عرفوا لفاطمة المكانة الخاصة بها كواحدة من آل بيت النّبي ﷺ، وهي عند الشيعة أعلى رتبة من البشر، فلقّبوها بالمعصومة وغيرها من الأسماء التي يتسمّى بها الشيعة.

وعن صورة المرأة في القرآن الكريم ترى **شيمل** بأنّ وضعها قد أصبح أفضل بمجيء الإسلام حيث تقول" ويعدّ وضع المرأة في القرآن أفضل بكثير بما كانت عليه قبل الإسلام، وأصبحت تتمكن من نصيبها المكتسب بسبب الزواج أو الميراث ولها أن تتصرف فيه"[3].

وكنقيض لما هو شائع في التراث المسيحي حول فكرة توارث الخطيئة، وأنّ حواء تتحمل مسؤولية إغواء آدم بالأكل من الشجرة، فإنّ **شيمل** تقرّ بأنّ القرآن يخلو من فكرة توارث الخطيئة، ويبرّئ المرأة ممثلة في صفة حوّاء من كلّ ما وصمتها به المسيحية، فالإسلام لا يعترف ولا توجد به الخطيئة الأولى[4].

وعلى العموم فإنّه بإمكاننا تصنيف **آنا ماري شيمل** ضمن المستشرقين الألمان المنصفين للدين الإسلامي إضافة إلى **يوهان جاكوب رايسكه**.

---

[1] – أنا ماري شيمل: روحي أنثى (الأنوثة في الإسلام)، مرجع سابق، ص51.

[2] – نفسه، ص55.

[3] – نفسه، ص97.

[4] – نفسه، ص100.

4- موقفهم من الشعر الجاهلي:

اهتم المستشرقون الألمان بدراسة الشّعر الجاهلي منذ القديم، ولعلّ من أوائل الدّراسات التي جاءت في هذا المجال هي دراسة المستشرق الألماني **ثيودور نولدكه** في كتاب له بعنوان ‹‹ حول الشعر الجاهلي ››، وقد ترجم الفصل الأول منه عبد الرحمان بدوي في كتابه ‹‹ دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي››، وجاء بحث نولدكه بعنوان ‹‹ من تاريخ ونقد الشعر العربي القديم ››.

يبدأ **نولدكه** بحثه بالتّأكيد على شكّه في الشّعر الجاهلي وأنّ هذا الشعر لم يصل إلينا في صورته الأصلية، وذلك بسبب غياب الكتابة، حيث يقول" لا شكّ في أنّ شذرات الشّعر العربي القديم كما هي عندنا الآن تختلف اختلافًا شديدًا عن صورتها الأصلية، فأدب شعب من الشّعوب لا يمكن أن يبقى في صورته الأصلية وقتا طويلا بدون مساعدة الكتابة"[1].

ويضيف **نولدكه** بأنّ الثروة اللغوية الكبيرة التي تزخر بها اللغة العربية كثيرا ما أدّت إلى استبدال كلمات بكلمات أو عبارات بعبارات وذلك لتيسير الفهم، كما ضُمّت قطع منعزلة من مصادر مختلفة إلى بعضها البعض، وذلك في حال سمحت بذلك القافية والوزن وتناسب المضمون[2].

كما حصل-في نظر نولدكه- تغيير وتحريف متعمّد للشّعر الجاهلي لاعتبارات دينية، فقد غيّر الرّواة أو النسّاخ الذين جاؤوا بعد العصر الجاهلي أسماء آلهة العرب الوثنية التي ذكرت في القصائد واستبدلوها بأسماء الله المعروفة، ومع تسليم نولدكه بأنّ الجاهليين لم يكونوا أصحاب تديّن قوي إلّا أنّ "من المنتظر أنْ نجدهم في قصائدهم يذكرون آلهتهم مرارًا وتكرارا أكثر ممّا نجده الآن فيما لدينا"[3].

---

[1] - عبد الرحمان بدوي : دراسات المستشرقين حول صحّة الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص21-22.

[2] - نفسه، ص23.

[3] - نفسه، ص26.

وسبب حذف المسلمين لتلك الأسماء حسب نولدكه يرجع إلى أنّهم أرادوا تجنّب الصدمة التي تحدثها مثل تلك الأقوال الوثنية، فاضطرّوا إلى أن" يحذفوا أبياتا ومقاطع بأكملها أو يولجوا بدلا منها أسماء الله الإسلامية"[1].

ويردّ يحي وهيب الجبوري على نولدكه في هذه النّقطة ويتّهمه بالجهل بطبيعة الحياة الجاهلية وذلك أنّ الجاهليين كانوا يعرفون الله وعلى اطّلاع بالحنفية، وإنّما جاء شركهم من تقديسهم لأصنامهم ومعبوداتهم مع الله، أمّا أن يستبدلوا اسم الله باسم اللات فهذا ما يخالف طبيعة الشّعر ووزنه، ويخالف المعنى والسياق المطلوب، فهم كانوا يقسمون بالله ويعرفون أنّ أوثانهم دون الله، كما يقرّر ذلك الشاعر أوس بن حجر:

وباللات والعزّى ومنْ دانَ دينها وباللهِ إنّ الله منهنّ أكبرُ[2]

كما واصل نولدكه اتّهامه للشّعراء والرّواة المتأخّرين بوضع القصائد على ألسنة شعراء سابقين وذلك لينالوا القبول والحُظوة، وبذلك "انتحلت قصائد كاملة أو أبياتٌ مفردة إمّا من أجل الوعظ أو المحاضرة أو الفخر بقبيلة أو ذمّها، ثمّ أضافوها على قصائد صحيحة... كما أنّ بعض رواة الشعر لم يقاوموا إغراء إقحام بعض أشعارهم التي نظموها في قصائد صحيحة، واعتقدوا أنّ أبياتهم هذه جديرة بأن تحمل اسم شاعر قديم"[3].

ويختم نولدكه بحثه عن الشّعر الجاهلي بالحديث عن المعلّقات وأنّ قصة تعليقها على الكعبة تعتبر خرافة، وذلك أنّ مكّة ما كانت لتقبل بتعليق قصائد قيلت في أماكن بعيدة عنها، ولشعراء من قبائل لا ترى مكّة وأوثانها جديرة بالتّبجيل، حيث يقول" أمّا فيما يتعلّق بخرافة تعليق القصائد فيلاحظ أوّلا أنّ

[1] – عبد الرحمان بدوي : دراسات المستشرقين حول صحّة الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص26.
[2] – ينظر: يحي وهيب الجبوري : المستشرقون والشّعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، مرجع سابق، ص17-18.
[3] – عبد الرحمان بدوي : دراسات المستشرقين حول صحّة الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص27.

الشواهد عليها رديئة للغاية، وعندي أنّ هذا الخبر مشكوك فيه جدّا لأنّه لم يذكره واحد من الكتّاب الأقدمين الذين كتبوا تاريخ مكّة"[1].

وختامًا **فنولدكه** في بحثه القصير يرى أنّ جلّ الشعر الجاهلي إن لم كلّه قد طاله الشكّ والانتحال بسبب عدم التّدوين، وكذب الرّواة وعدم أمانتهم، فالشّعر الذي نراه نحن جاهليا رآه نولدكه مكتوبًا بعد العصر الجاهلي، وهذا ما لا يقول به عاقل، فحتّى وإن كان ما يقوله نولدكه له جذور عند نقدة الشّعر القدامى كابن سلّام في طبقاته مثلا فإنّ هذا لا يعني إسقاط الشّعر الجاهلي بجرّة قلم، فقد عرف العرب باعتراف المستشرقين باعتمادهم على الذّاكرة والحفظ، فنقلوا إلينا القرآن الكريم والحديث الشّريف اعتمادا على الذاكرة والكتابة معًا.

ويوافق المستشرق الألماني الآخر **فيلهلم ألفرت** Wilhelm Ahlwardt كلام نولدكه عن الشّك في الشّعر الجاهلي لنفس الأسباب ومن بينها تعذّر كتابته في العصر الجاهلي، وأنّ انتقاله كان عن طريق السماع من فم إلى فم بل إنّ الشّك بقي يحيط بهذا الشّعر حتّى في زمن كتابته، فتطالعنا قصائد صغيرة الحجم في مكان معيّن ونفس القصائد نجدها كبيرة في مكان آخر، وقصيدة هنا ذات مطلع، وبدونه في موضع آخر، كما نجد ترتيب الأبيات مختلفا في القصيدة الواحدة.

كما يتّهم الرّواة أيضا بالكذب وخداع علماء اللغة الذين كانوا يجمعون الشّعر حيث يقول" وهل نظنّ بأنّه من غير الممكن أن يلذّ لبعض الرواة أن يوهموا عشاق الشّعر القديم المتطلعين إليه وأن يخدعوهم في الظلام؟ هذا ليس فقط ممكنا، بل هو مؤكّد"[2].

ويضيف **فلهم** أنّ الرواة وبدافع من غرورهم ظنّوا أنّهم يعرفون كلّ شيء ولا يعجزون عن الجواب عن أيّة مسألة، فكانوا حين تعوزهم المعرفة يخترعون من عند أنفسهم، وتبعا لذلك يطرح التّساؤل قائلا" ألا

[1] – عبد الرحمان بدوي : دراسات المستشرقين حول صحّة الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص35.
[2] – نفسه، ص52–53.

يحقّ لنا أن نفترض أنّهم من كنز ذاكرتهم جمعوا –تحت اسم شاعر قديم مشهور– قصائد تنتسب أجزاؤها إلى من لسنا ندري من الشعراء؟ وأنّهم في إنشادهم لقصيدة قديمة صحيحة قد غيّروا فيها حسبَ رأيهم فأضافوا هنا وأسقطوا هناك، وغيّروا في موضع ثالث؟ وفضلا عن هذا فإنّهم حتى لو قصدوا أن يكونوا صادقين، فهل كانت قواهم تكفي للوفاء بذلك؟ هل كانت ذاكرتهم من الدقة بحيث استطاعت أن تحفظ كلّ عبارة، وأن تحافظ تماما على ترتيب الأبيات؟"[1].

فمن الواضح أنّ كلام **فيلهلم** مبنيّ على وضع الفرضيات، والشّك من أجل الشّك، ومحاولة إثبات رأيه في أنّ الانتحال قد أتى على كثير من الشّعر الجاهلي، وهذا طبعًا دون دراسة وتمحيص، بل هو مجرّد الشّك وإلقاء الكلام على عواهنه.

ويواصل **فيلهلم** منهجه التشكيكي وطعنه في الرواة، ضاربًا عرض الحائط بكلّ ما وصلنا عنهم وعن حفظهم وعلمهم بالشّعر، فيقول عن **حمّاد الراوية** " كان غير موثوق به، وكان لا يتردّد في الجواب عن أيّ سؤال يوجّه إليه يتعلق بقائل بيت من الشعر أو قصيدة أو ما أشبه ذلك، كان يتصرّف في كنز علمه بدون إخلاص ولا إيمان، وبالجملة كان مزيّفًا متعمّدًا للتّزييف، ويجب على المرء أن يحذر منه دائمًا"[2].

ويضيف أيضا " لقد فقد الشّعر بين يدي هذا الرجل كلّ صحة وثقة بقيتا له من العصر القديم"[3] ثمّ ينتقل للحديث عن **خلف الأحمر** ويرى بأنّه كان أعظم خطرا من حماد الراوية، فقد كان قادرا على نظم قصائد كاملة بروح القدماء، وأن يدخل في أشعارهم ما يشاء.

ولم يكن الرواة وحدهم هم الذين طالهم اتّهام ألفرت، فقد هاجم أيضًا علماء اللغة واتّهمهم بالتزييف والتحريف في مضمون الشّعر لأسباب دينية في الغالب، وأساسُ اتّهامه أنّه" لا يوجد في الخمسة عشر

[1] – عبد الرحمان بدوي : دراسات المستشرقين حول صحّة الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص53.

[2] – نفسه، ص57.

[3] – نفسه، ص58.

ألف بيت تقريبًا التي وصلت من العصر الجاهلي غير عدد قليل جدا من المواضع التي تتضمن إشارة ضعيفة إلى عبادة الأوثان"[1].

إذًا فالنتيجة التي يريد أن يصل إليها ألفرت، ومن قبله نولدكه هي أنّ أغلب الشعر الجاهلي منحول ولا يجب أنْ نطمئن إليه، وأنّه تمّ تغييره من طرف رواة الشعر أو علماء اللغة في العصور التّالية وتبعًا لذلك فقد قاما بالاتّكاء على الروايات الضعيفة التي تخدم النّتيجة التي يتوخّيان الوصول إليها فجاءت دراسة كلّ منهما سطحية بعيدة عن المنهج العلمي الذي يتشدّق به كلّ المستشرقين.

وحتّى تتّضح الصّورة فإنّ الرواية في الجاهلية وصدر الإسلام لم تكن صناعة معروفة، لها رجال مميّزون يختصّون بها، بل كان أمر رواية الشّعر والأخبار موكولا إلى فطرة النّاس في التّلقّي والتّذوق والحرص على مآثر الأهل والعشيرة، وحبّ التّغني في حال الوحدة..إلى غير ذلك ممّا يحمل النّاس على تحفّظ الشعر والأخبار، وعلى إنشاد ما يحفظون، والتّحدّث بما يدّخرون[2].

ولمّا جاء عصر الرّواة الذين انبعثوا من الحواضر إلى البوادي، فجعلوا همّهم تتبّع الشّعر والشعراء في قبيلة بعد قبيلة، لقوا في رحلتهم رواة مختلفين من أهل البادية.. فربما سمع الرّجل منهم القصيدة من رجل أو رجلين أو ثلاثة من رواة البادية، بين مكثر منهم ومقلّ، وحافظ متقن وحافظ غير متقن فتختلف عليه القصيدة في تمامها أو نقصانها، وتختلف بعض ألفاظها، ويختلف أيضًا ترتيب أبياتها،وربما وقعت له أبيات من قصيدة يرويها عن راو من البادية قد ذهب أوّلها وضاع آخرها، ولم يجد يومئذٍ من يتمّها له، ولكن يتّفق لآخر من العلماء الرواة أن يلقى راويًا من البادية قد حفظ من هذه القصيدة ما ذهبَ وضاع عند غيره، وربما اتفق أيضًا لأحد العلماء الرواة أن يروي عن البادية شعرا لم يسمعه أحد غيره من العلماء الرواة الذين خرجوا في طلب الشعر، فينفرد هو بروايته[3].

---

[1] – عبد الرحمان بدوي : دراسات المستشرقين حول صحّة الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص60.

[2] – محمود محمد شاكر: نمط صعب ونمط مخيف، ط1، دار المدني، جدّة، 1996م، ص38.

[3] – نفسه، ص39–40.

كما نجد أنّ الرواة الذين طعن فيهم المستشرقان **نولدكه وألفرت** قد أثنى عليهم معاصروهم ومن جاء بعدهم من العلماء، يقول محمود شاكر" ولا يغرنّك ما قال القائلون في خلف، من أنّه كان يقول الشّعر وينحله المتقدّمين، وأنّه كان أقدر النّاس على قافية، فإنّ خلفًا كان صدوقًا، أثنى عليه جماعة من العلماء ولم يتّهموه"[1].

أما ناصر الدين الأسد فتعرّض بالنّقد لبعض الأخبار والروايات التي اعتمد عليها المستشرقون في اتّهام حمّاد الراوية، وأثبت زيفها وبطلانها بأدلّة علمية، ووصل إلى ما مفاده أنّ ما اتّهم به حمّاد مزيّف وباطل دعت إلى وضعه عدّة عومل منها "العصبية التي كانت متأجّجة بين البصرة والكوفة، ومنها تلك المنافسات والخصومات الشخصية التي كانت بين المفضّل وحمّاد، ومنها العصبية السياسية، فقد كان حمّاد أموي الهوى والنزعة، وكانت دولة بني أمية قد ولّت وأقبلت دولة جديدة تناصبها العداء وتريد أن تمحو محاسنها وتحطّ من قيمة من اشتهر فيها أو نال لديها حظوة، ومنها أنّ حمادا كان–باعتراف الرواة– كثير الرواية واسع الحفظ، فكان يروي ما لا يعرفه غيره، ويحفظ مالا يحفظون، فاتّهموه بالتّزيّد والوضع"[2].

وختامًا فإنّنا لا ننكر وقوع الانتحال في الشّعر الجاهلي جملة وتفصيلا، ولكنّنا نرى بأنّ الذي حصل لشعرنا الجاهلي هو عين ما حصل لشعر الأمم الأخرى التي اعتمدت في بادئ أمرها على الرواية الشّفهية، كما أنّنا نرفض الأحكام الجاهزة التي أطلقها كثير من المستشرقين على الشّعر الجاهلي دون تمحيص وتثبّت.

5– موقفهم من دور العرب والمسلمين في النهضة الأوربية:

يظهر اسم المستشرقة الألمانية **زيغريد هونكه** Sigrid Hunke كأبرز المستشرقين الألمان والأوربيين على حدّ سواء الذين تكلّموا عن فضل الحضارة العربية الإسلامية وعلمائها على النّهضة

[1] – محمود محمد شاكر: نمط صعب ونمط مخيف، مرجع سابق، ص59.

[2] – ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، مرجع سابق، ص450.

الأوربية، و كان ذلك في كتابها الخالد ‹‹ شمس العرب تسطع على الغرب›› ، حيث قالت في سبب تأليفها لذلك الكتاب "أردت أنْ أكرم العبقرية العربية، وأن أتيح لمواطني فرصة العود إلى تكريمها، كما أردت أن أقدّم للعرب الشكر على فضلهم الذي حرمهم من سماعه طويلا تعصب ديني أعمى أو جهل أحمق"[1].

5-1- التأثير الاقتصادي للمسلمين على أوربا:

بدأت **هونكه** الحديث عن المفارقة التي كانت سائدة في العصور الوسطى بين الشّرق الثري الزاخر بالكنوز، وبين الغرب الذي يتخبّط في المجاعة، ويعتمد على خيرات الشّرق، وقد توطّدت الصلات فعليا بينهما انطلاقًا من صقلية، فالإسلام" قد انتشر، وبانتشاره أصبح البحر حدا فاصلا بين عالمين اثنين، فجاءت البندقية لتمد البحر من جديد، جسرًا مكّن بلاد الشّرق بكنوزه النادرة حينًا والمجهولة حينًا من غزو بلاد الغرب الجائعة"[2].

وتضيف" إنّ أساس كلّ رخاء سابق في بلاد الغرب قد نبت في سلال التوابل العربية ونما معها وبانعدامها انطفأت التجارة الداخلية فترة وأفلس التاجر وذاب الذهب المتداول بين أيدي الناس وفي اللحظة التي تقطّعت فيها خيوط الصلة مع الشرق غاض الغرب في أعماق الهاوية، وعاد القهقرى إلى مستوى زراعي فلاحي بحت"[3].

وعن صناعة الورق واستعماله في أوربا لأوّل مرّة، فقد كان ذلك عن طريق البلاد الإسلامية وذلك عندما عاد بعض الحجّاج في القرن الثاني عشر من زيارة الأماكن المقدّسة في إسبانية، فأحضروا معهم أولى لوحات الورق، ومنذ ذلك الحين أصبح الأوربيون" يسافرون جماعات وفرادى إلى برشلونة

---

[1] – زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب " أثر الحضارة العربية في أوربا"، تر: فاروق بيضون، كمال دسوقي، ط8، دار الجيل، بيروت، 1993م، ص9. "مقدمة خاصة بالطبعة العربية".

[2] – نفسه، ص30.

[3] – نفسه، ص36-37.

وبلنسية، حيث كان يصنع بالقرب منها الورق الناعم الفاخر، وذلك بشهادة الجغرافي العربي والرحالة الكبير الادريسي الذي قال:‹‹ أنه لا يوجد مثله في العلم إطلاقا››... وظلّ الأمر على هذا الحال إلى أن جاء تاجر التوابل أولمان سترومر.. فكان أوّل من فكّر بصنع الورق في بلاده نفسها، وفي عام 1389م أنشأ أولى مطاحن الورق في ألمانيا، وذلك على مقربة من نورنبرغ، ثمّ سعى إلى طلب عمال متخصّصين في هذه البضاعة من إيطالية حيث بنيت أولى مطاحن الورق في أوربا سنة 1340م"[1].

وتبعًا لانتشار استعمال الورق، فقد أدّى هذا إلى اختراع الطّباعة" ليس فقط في بلاد الغرب كما تحاول فئة أن تصوّر للناس ذلك، فهناك صينيون وعرب إلى جانب الأوربيين... كلّهم قد ساهموا الواحد بعد الآخر، من غير أن تجمع بينهم رابطة، في خلق هذا العمل الثقافي العظيم"[2].

5-2- أوربا نقلت الأرقام الهندية عن العرب:

ابتكر الهنود نظام الأرقام التسعة، وفيما بعد أضافوا الصفر كرقم عاشر، واستعملوا ذلك النّظام في حساباتهم، ثمّ قدم أحد العلماء الهنود إلى بلاط الخليفة المنصور، وكان يحمل كتابًا مشهورا لديهم في الفلك والحساب، وترجمه العرب باسم‹‹ سند هند››، ومن هنا بدأت معرفة العرب بالأرقام الهندية، فقد ألّف **الخوارزمي** كتبًا في الفلك والجغرافيا، وكتابين مهمّين في الرياضيات، حمل أوّلهما اسم ‹‹ حساب الجبر والمقابلة››، وكان" كتابه الثاني تعليميا صغير الحجم في علم الحساب، شرح فيه استخدام نظام الأعداد والأرقام الهندية، كما شرح طرق الجمع والطرح والقسمة والضرب وحساب الكسور، ونقل هذا الكتيب وترجم إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر، وقد حمل الكتاب المترجم إلى اللغة الألمانية، وترجع أوّل نسخة منه إلى 1143م وهي مكتوبة بخط اليد وموجودة في مكتبة البلاط في فيينا"[3].

[1] – زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب، مرجع سابق، ص44.

[2] – نفسه، ص47.

[3] – نفسه، ص75.

وعن فضل **الخوارزمي** أيضًا على أروبا تضيف **زيغريد هونكه**" ولم يقتصر الخوارزمي على تعليم الغرب كتابة الأعداد والحساب، فقد تخطّى تلك المرحلة إلى المعقّد من مشاكل الرياضيات، وما زالت القاعدة الحسابية (Algorithmus) حتى اليوم تحمل اسمه كعلم من أعلامها، وعرف أنصاره في اسبانية وألمانية وانكلترة الذين كافحوا كفاحا مريرا من أجل نشر طريقته الرياضية باسم الخوارزميين... فانتشرت الأرقام العربية التسعة يتقدّمها الصفر في كلّ أنحاء أوروبة"[1].

5-3- مساهمة العرب في علم النّجوم والفلك:

ذكرت **زيغريد هونكه** قصّة **موسى بن شاكر**، وأولاده الثلاثة من بعده، وهم محمد وأحمد والحسن حيث شاع ذكرهم في عصر الرّشيد ثم المأمون من بعده، وقد اشتهروا في علوم الفلك والنّجوم والرياضيات، فحرصوا على بعث رسلهم إلى الإمبراطورية البيزنطية لإحضار المخطوطات الفلكية والفلسفية والرياضية والطبّية، ثم العكوف على ترجمتها، والبناء عليها، فوصلوا إلى ما لم يصل إليه غيرهم، تقول هونكه"وقد تناول العلماء العرب علم النجوم بعد أن صمت صوت الإغريق إلى الأبد، فوهبوه حياةً، وهيّأوا له وثبة هائلة ودفعوه ليملأ الفراغ الثقافي في أوربة، فأحدثوا بذلك أثرًا بعيد المدى"[2].

وتضيف **هونكة** " لقد اهتمّ العرب اهتمامًا بالغًا بالآلات الفلكية ، وما ورثوه عن اليونان كان بدائيا وأعجز من أن يساندهم في سباقهم نحو الأمجاد التي رسموها لأنفسهم، فكان أن طوروها وزادوا عليها أشياء عديدة، وقدّموا اختراعات أخرى تشبه المعجزات، مبتكرين بذلك آلات مختلفة للمراقبة والقياسات أخذها الغرب عنهم، وبقي على استعماله لها أمدًا طويلا"[3]، وعن تأثير **أبي الحسن بن الهيثم** على الغرب

[1] – زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب، مرجع سابق، ص75-76.

[2] – نفسه، ص126.

[3] – نفسه، ص134.

تقول هونكه" لقد كان تأثير هذا العربي النابغة على بلاد الغرب عظيم الشأن، فسيطرت نظرياته في علمي الفيزياء والبصريات على العلوم الأوربية حتى أيامنا هذه"[1].

5-4- تفوّق العرب في ميدان الطب على من سواهم:

تقرّ **زيغريد هونكه** بتقدّم العرب والمسلمين على غيرهم في ميدان الطّب واستعمال الأدوية، فنراها تتساءل قائلة" أين هو البلد الذي عرف فيه الطب بشموليته وعمقه وازدهاره كما كان الطب العربي؟ وأين هي الدولة التي عرفت مثل هذا الجمع الكبير من الإخصائيين بشتى حقول الصحة وتركيب الأدوية والعقاقير كما كانت الحال عند هذا الشعب؟"[2].

أمّا في أوربا فقد كان الفكر الكنسي مسيطرا على كلّ شيء، ورأى في كلّ مرض علامة من علامات المسّ والشيطان، فحرّموا التداوي بتلك العقاقير، ونصحوا باللجوء إلى الخالق وعدم الأخذ بالأسباب، ولذلك فقد" اعتبر التعاطي بعقاقير غير عقاقير الكنيسة وأدوية الروح أو ممارسة مهنة الطب وإجراء العمليات الجراحية بالآلات عملا دون مركز الكنيسة، ودون جلال الروح وقدسيتها"[3].

ولذلك فقد كان أهل الدين ينظرون بازدراء إلى الأطباء ويرون أنّهم جهلة لا يفعلون شيئًا غير زيادة آلام المرضى بمباضعهم وإبرهم، وهو موقف عبّر عنه **البطريرك غريغوريوس التوري** بقوله" ماذا بوسع الأطباء أن يحققوا بآلاتهم؟ إنّ وظيفتهم تسبب الآلام أكثر من العمل على تخفيف وطأتها "[4]، وليس بمستغرب تأخّر الطب في أوربا في ذلك الوقت نظرا لما كانت تتمتع به الكنيسة من قوّة في أوساط الأمّة المسيحية.

---

[1] – زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب، مرجع سابق، ص150.

[2] – نفسه، ص217.

[3] – نفسه، ص219-220.

[4] – نفسه، ص220.

وتضيف **هونكه** أنّ أوربا لم تعرف المستشفيات إلّا بعد الحروب الصليبية، وذلك بعد عودة المحاربين من المشرق ورؤيتهم للمستشفيات العربية، فأنشأوا مستشفيات مثلها خصصت للمرضى ومعالجتهم فحسب، وإنْ كان قد مرّ زمن طويل على هؤلاء حتى استطاعوا أن يقوموا بالمعالجة الطبية على أكمل وجه"[1].

فهونكه إذا تقرّ بتفوق العرب والمسلمين في العديد من المجالات التي استفادت منها أوربا في نهضتها العلمية فيما بعد، ولكنّ رأيها لا يحظى بالإجماع الكافي في الغرب، وهو أمر مفهوم لمن عرف طبيعة الشخصية الغربية التي لا ترى فضلا لأحد سواها فيما وصلت إليه البشرية من تقدّم.

[1] – زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب، مرجع سابق، ص225.

الفصل الثالث

قراءة نقـدية لكتاب تـاريخ الشّـعوب الإسلاميـة

المبحث الأوّل: كارل بروكلمان وكتابه تاريخ الشّعوب الإسلامية.

المبحث الثّاني: الرّد على كارل بروكلمان في موقفه من سيرة الرّسول صّلى الله عليه وسلم.

المبحث الأوّل: كارل بروكلمان وكتابه تاريخ الشّعوب الإسلامية:

1- ترجمته الشّخصية والعلميّة:

ولد المستشرق الألماني كارل بروكلمان (Carl Brocklmann) بمدينة روستوك في السّابع من شهر سبتمبر سنة 1868م، في أسرة متوسطة الحال، حيث كان أبوه تاجرًا "يتّجر فيما يسمّى سلع المستعمرات"[1]، وقد كان قبل ذلك "يميل إلى الزّراعة مثل أجداده، ولكنّه اضطرّ إلى الاشتغال بالتّجارة دون رغبة منه حتّى انتهى إلى الإفلاس، فتولّى أعمالًا إداريّة بسيطة في مستشفى الجامعة، وفي إحدى المكتبات"[2].

كما كانت أمّه امرأة متميّزة، حيث حبّبته في طلب العلم وقراءة الرّوايات التّاريخية للكثير من الكتّاب الألمان، وقد كان حلم بروكلمان منذ صغره أن يسافر ويعمل في المناطق الموجودة وراء البحار البعيدة، أو يعمل طبيبًا أو مترجمًا، أو مبشرا دينيا، ويوضّح سبب آماله تلك بقوله "وممّا كان يدفعني إلى ذلك الأوضاع السّيئة في (روشتوك). فقد كانت الحياة التّجارية في الحضيض، وكان التّجار الموهوبون يسعون إلى خارج البلاد، وكنّا نسمع كثيرا عنْ أبناء جيراننا الذين كانوا يمارسون التّجارة أو إدارة الشّركات في أمريكا الجنوبية أو في روسيا، وعن الذين أصبحوا أغنياء"[3].

إذن فقد كان هدفه منذ البداية أن يحصل على وظيفة مرموقة لكي يستطيع أن يحيا حياة كريمة، وكانَ من نتائج كلّ ذلك أنْ بدأ دراسة العبرية والآرامية والسريانية، وهو لا يزال تلميذًا بالمرحلة الثانوية، ويتحدث بروكلمان بفخر عن تلك المرحلة فيقول "فإنّني وأنا لا أزال تلميذًا في المدرسة الثّانوية وضعت

---

[1] – عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص98.

[2] – كامل عياد: السيرة الذّاتية للمستشرق الألماني بروكلمان، مجلّة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد60، العدد3، يوليو 1985م، ص426.

[3] – نفسه، ص 427-428.

مشروعًا لكتاب نحو لهجة البانتو التي كان يتكلّم بها في المستعمرة البرتغالية: أنجولا، وقد احتفظت بهذا المخطّط وقتًا طويلًا"[1].

واصل بروكلمان بعد ذلك دراسة اللغات الشّرقية ومن بينها العربية بجامعة روستوك سنة 1886م على يد الأستاذ مارتن فيليبي، كما درس إلى جانبها مادتي اللغات الكلاسيكيّة والتّاريخ، وذلك حتّى يتسنّى له الحصول على وظيفة في المستقبل من خلال التّقدّم إلى فحص أهلية التّعليم الثّانوي، ثمّ انتقل بروكلمان بطلب من أستاذه فيليبي إلى جامعة برسلاو لإكمال دراسته على يد الأستاذين" فرانتز بريتوريوس، وزيجموند فرنكل".

كما ارتحل بعد ذلك إلى شتراسبوغ وتتلمذ على يد تيودور نولدكه Theodor Nöldeke أشهر المستشرقين الألمان في ذلك العصر، ودرس إلى جانب ذلك "السّنسكريتية والأرمنية لدى عالم اللغات الإندو- جرمانية هاينريش هوبشمان Heinrich Hubchmann، وجذبته كذلك دراسة الحضارة المصرية القديمة فراح يحضر محاضرات دوميشن Dumichen الذي كان عالم آثار بالدّرجة الأولى"[2].

وفي سنة 1890م نال بروكلمان شهادة الدّكتوراه من جامعة شتراسبورغ عن أطروحته الموسومة ب"العلاقة بين كتاب الكامل في التّاريخ لابن الأثير وكتاب أخبار الرّسل والملوك للطّبري".

شغل بروكلمان عدة وظائف من بينها عمله كمعلم في المدرسة الثّانوية بستراسبوغ، ثم انتقل بعد ذلك سنة ألف وثمانمئة وثلاثة وتسعين "1893م" إلى برسلاو، وعمل مدرّسًا في جامعتها، وذلك بعد أنْ "حصل على درجة الكفاءة للتّدريس الجامعي في 1893/1/28 بدراسة تاريخيّة أدبيّة عن مؤلف ابن الجوزي التّاريخي"[3]، وفي نفس الوقت كان بروكلمان عاكفًا على جمع المادة العلمية للمعجم السّرياني الذي

[1] – عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص98.

[2] – صلاح الدين المنجد: المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، مرجع سابق، ص155.

[3] – نفسه، ص155.

أراد تأليفه نظرًا لتطور الدّراسات في النّصوص السّريانية، وكذا لقدم المعاجم القديمة وعدم مواكبتها لما هو جديد، وقد صدر ذلك المعجم سنة ألف وثمانمئة وخمسة وتسعين1895م.

سافر بروكلمان بعد ذلك إلى لندن" لاستنساخ مخطوطة أحد أجزاء (كتاب الطّبقات الكبير)لابن سعد، الذي كان المجمع العلمي في (بروسيا) قرّر نشره بإشراف الأستاذ (ساخاو)"[1] ، ومن لندن شدّ الرّحال إلى استانبول حيث كان يوجد بها المخطوطة الوحيدة الكاملة لكتاب عيون الأخبار لابن قتيبة، وبعد نسخها عاد إلى برسلاو، وقد طبع كتاب عيون الأخبار بعد ذلك في " أربعة أجزاء في (برلين) و (شتراسبورغ) بين سنة1900-1908"[2].

وفي سنة ألف وتسع مائة 1900م، شغل بروكلمان كرسي اللغات الشّرقية في جامعة "لايبزيغ"، بعد وفاة الأستاذ "سوسين"، فتحسّنت أحواله المادّية نوعًا ما، فقد "كان معهد الاستشراق تابعًا للجامعة، ولكنّه يخضع في الوقت نفسه لإشراف وزارة الخارجية، ولهذا السّبب كان يتمتّع بميزات ماليّة"[3]، وفي نهاية صيف 1900م، عرضت عليه وظيفتان في كلّ من جامعتي "أرلانغن" و "برسلاو"، فاختار جامعة (برسلاو) في نهاية المطاف.

بعد ذلك وفي سنة ألف وتسعمئة وثلاث 1903م انتقل كارل بروكلمان Carl Brocklmann إلى جامعة كونيكسبرغ وتوّلى بها كرسي اللغات الشّرقية لمدّة سبع سنوات خلفًا للأستاذ "جوستاف يانّ" الذي أُحيل على التّقاعد، وفيها "ألّف أكبر كتبه أصالة وأحبّها إلى نفسه، وهو بعنوان (موجز النّحو المقارن للغات السّامية)"[4]، ثم انتقل سنة 1909م إلى جامعة (هالة) خلفًا لأستاذه (بريتوريوس)، وقد عمل بها إلى غاية سنة 1922م، ويصف بروكلمان حالته في جامعة هالة بقوله" إنّ ظروف وظيفتي في (هالة) كانت

[1] – كامل عياد : السيرة الذّاتية للمستشرق الألماني بروكلمان، مرجع سابق، ص434.

[2] – نفسه، ص434.

[3] – نفسه، ص435.

[4] – عبد الرحمان بدوي : موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص102.

أفضل بكثير ممّا في (كونيكسبرغ) فقد لقيت هنا عددًا من الطّلاب الموهوبين والمستمعين المهتمّين باللّغات الشّرقية"[1].

وفي سنة 1921م عرض على بروكلمان كرسي اللغات الشّرقية بجامعتي بون وبرلين، فاختار جامعة برلين لأنّه كان يأمل "أن يجد في برلين أنسب الظّروف والإمكانات لمواصلة عمله. لكن لم تتحقّق آماله ولم يستطع الانتقال للإقامة في برلين لمدّة يومين في الأسبوع طوال فصلين دراسيين، ولهذا تخلّى عن منصبه في برلين بعد عامٍ من تعيينه، وعاد إلى برسلاو خلفًا لأستاذه بريتوريوس"[2].

وفي سنة 1928م انتخب بروكلمان Carl Brocklmann عميدًا للكلّية ، ثمّ انتخب سنة 1932م رئيسًا لجامعة برسلاو، وقد حصلت له مشاكل عديدة بفعل الحكم النّازي، وتمرّد الطّلاب في الجامعة ضدّ أحد الأساتذة اليهود، ممّا دفعه إلى الاستقالة سنة 1933م.

انتقل بروكلمان سنة 1937م إلى هالله ليكون قريبًا من مكتبة الجمعيّة الشّرقية الألمانيّة(DMG)، فقد كان يعمل على كتابه تاريخ الأدب العربي، وكان "منذ ظهور الطّبعة الأولى منه 1898-1902 يكتب التّصحيحات والإضافات على نسخته الخاصّة، واستمرّ في هذا التّصحيح والاستدراك والإكمال طوال أربعين سنة"[3].

كما أصدر أيضًا كتاب تاريخ الشّعوب الإسلامية سنة 1939م، وهو يمثّل عصارة سنوات من الدّراسة ومن تتّبع ما يصدر عن تاريخ الإسلام، وقد اعتمد فيه على مجموعة من أساتذته المستشرقين كنولدكه Theodor Nöldeke وفلهاوزن *Julius* Wellhausen .

[1] – كامل عياد، السيرة الذّاتية للمستشرق الألماني بروكلمان، مرجع سابق، ص442.

[2] – عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص103.

[3] – نفسه، ص104.

ظلّ بروكلمان يعيش على راتب التّقاعد حتّى انقطع سنة 1945م نتيجة "لانهيار الحكم النّازي واحتلال (برسلاو) من قبل البولونيين"[1]، فعمل في الجمعيّة الشّرقية الألمانية، حتى يستطيع توفير المال ليصرف على نفسه وعلى أسرته، ثمّ" تولّى بروكلمان كرسي اللغة التّركيّة مدّة عدة سنوات اعتبارًا من سنة 1947 إلى أنْ أحيل على التّقاعد للمرة الثّانية سنة 1953م"[2].

في عام 1954م تدهورت حالة بروكلمان الصحّية نتيجة تعرّضه لزكام شديد، لكنّه لم يتوقف عن مواصلة كتابته وأبحاثه، مستعينًا في ذلك بزوجته وأحد تلاميذه، وقد بقي كذلك حتّى توفي سنة 1956م، وأفلت شمس واحد من الباحثين الكبار في مجال الدّراسات الاستشراقيّة.

2- أهم أعماله[3]:

خلّف بروكلمان العديد من الأعمال المهمّة التي أصبحت مرجعا يعتمد عليه الدّارسون الغربيون والعرب بعده، ومنها:

- العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن كثير، وكتاب أخبار الرسل والملوك للطبري، وهو رسالته للدكتوراه، جامعة ستراسبورج1980م.
- نشر كتاب تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار، لمؤلفه أبي الفرج بن الجوزي، رسالة الأستاذية، جامعة برسلاو1893م.
- كتاب عيون الأخبار، تأليف بن قتيبة، الجزء الأول والثاني طبعا في برلين1900م-1903م.
- كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية، مونخن وبرلين سنة 1939م.
- كتاب تاريخ الأدب العربي.

[1] – كامل عياد، السيرة الذّاتية للمستشرق الألماني بروكلمان، المرجع السّابق، ص449.

[2] – نفسه، ص449-450.

[3] – شوقي أبو خليل: كارل بروكلمان في الميزان، مرجع سابق، ص20.

3- كتاب تاريخ الشّعوب الإسلامية:

يعتبر كتاب تاريخ الشّعوب الإسلاميّة واحدًا من أبرز الكتب التي ألّفها المستشرق الألماني الشّهير كارل بروكلمان Carl Brocklmann سنة ألف وتسعمئة وتسع وثلاثين 1939م، وقد قام الباحثان نبيه أمين فارس ومنير البعلبكيّ بنقله إلى اللغة العربية، حيث نقرأ في مقدّمة الكتاب ثناء الباحثين على صاحب الكتاب بقولهما أنّنا "لا نعدو جانب الحقيقة إذا قلنا أنّ أحدًا من المؤرّخين، من شرقيين ومستشرقين لم يسبق العلامة بروكلمان إلى مثل هذا الكتاب الجامع الذي يستغرق بين دفّتيه تاريخ العرب والمسلمين منذ أقدم العصور حتّى يومنا هذا"[1]، وقد قسّم بروكلمان كتابه هذا إلى خمسة أقسام:

3-1- العرب والإمبراطورية العربية:

وتناول في هذا القسم تاريخ العرب منذ أقدم العصور حتّى سقوط الدّولة الأمويّة، فتكلّم عن هجرات شعوب الجزيرة العربية بحثًا عن مواطن الخصب، وكذا عن حضارة بلاد العرب الجنوبيّة، فتحدّث عن المعينيين وعن دولة سبأ، والدولة الحميريّة بعدها، وعن الصّراع بين الديانتين اليهودية والنّصرانية في أرض العرب الجنوبيّة.

كما تحدّث في هذا القسم أيضًا عن مكّة التي كانت تعتمد على التّجارة وعن الكعبة باعتبارها مكانًا مقدّسًا للعرب، كما تحدّث عن المدينة التي كانت تعتمد على الزراعة بالدّرجة الأولى، وتحدّث أيضا عن الصّراعات التي كانت تقع بين العرب بين الفينة والأخرى.

وتطرّق أيضًا في هذا القسم إلى سيرة النّبي عليه الصلاة والسلام، وتناول كلّ ما يتعلّق بحياته من مولده إلى شبابه وبعثته، ولقائه بالراهب بحيرا، ثمّ تحدّث عن هجرة الصحابة إلى الحبشة، وعن معجزة الإسراء والمعراج، ثمّ هجرة الرّسول إلى المدينة، وغزواته ضد المشركين واليهود.

---

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشّعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، تموز 1968م، ص5.

3-2- الإمبراطورية الإسلاميّة وانحلالها:

وتناول فيه الخلافة العبّاسيّة وما تعلّق بها من أحداث من قيامها إلى سقوطها، وكذا نشوء الدّويلات المستقلّة في الأندلس، وشمال إفريقية، كما ذكر فيه أيضا الإسلام في الأندلس وشمال افريقيا إلى غاية إخراج المسلمين من الأندلس، وكذا تكلّم عن الحروب الصّليبية ودولة المماليك.

3-3- الأتراك العثمانيون وحضارتهم:

تطرّق في هذا القسم إلى أصول الإمبراطورية العثمانية، واتّساعها حتى عهد سليمان الأول، فتحدّث عن السلاطين العثمانيين وجيوشهم وطبيعة الحياة الدينية والفكرية والفنية والاجتماعية والاقتصادية في الدولة العثمانية، كما تحدث فيه أيضًا عن نشأة الإمبراطورية الفارسية الجديدة.

3-4- الإسلام في القرن التّاسع عشر:

تحدّث في هذا القسم عن الدولة العثمانية ومصر في القرن التاسع عشر، وتطرّق إلى محمد علي والي مصر، وظهور الحركة الوهابية في بلاد العرب، كما تحدّث في هذا القسم أيضا عن ظهور الاحتلال في شمال إفريقيا وإعلان الجهاد ضدّه.

3-5- الدول الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى:

تحدث فيه عن الدول العربية والإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى، فتطرّق إلى تركيا وإعلان إلغاء الخلافة الإسلامية، وظهور مصطفى كمال أتاتورك وتغييراته في تركيا، كما تطرّق إلى مصر وفرض الحماية الانجليزية عليها، كما تحدث عن الحجاز وعن الشريف حسين وتتويج آل سعود ملوكا على نجد والحجاز، وتحدّث أيضا عن سورية وفلسطين، وبلاد فارس وأفغانستان.

المبحث الثّاني: الرّد على كارل بروكلمان في موقفه من سيرة الرّسول صّلى الله عليه وسلم.

1- موقفه من الحجر الأسود:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann " وفي وسط مكّة تقوم الكعبة، وهي بناء ذو أربع زوايا (يبلغ ارتفاعه اليوم بعد مختلف التّجديدات التي تعاقبت عليه 16 يردة ونصف) يحتضن في إحداها الحجر الأسود، ولعلّه أقدم وثن عُبد في تلك الدّيار"[1] .

ويقول أيضًا "وعندما بلغ محمّدٌ الكعبة طاف بها سبْعًا على راحلته، لامسًا الحجر الأسود بعصاه في كلّ مرّة، وبذلك ضمّ هذا الطّقس الوثنيّ إلى دينه"[2].

ويضيف في موضع آخر من كتابه "ولعلّ هذا الحجر أقدم الأوثان التي عرفتها مكّة قبل الإسلام"[3].

وانطلاقًا ممّا سبَق فبروكلمان يعدّ الحجَرَ الأسود وثَنًا من أوثان الجاهليّة التي ضمّها الرّسول محمّد عليه الصّلاة والسّلام إلى الإسلام، والجواب على هذا أنّ للحجر الأسود مكانة خاصّة وقيمة رمزيّة في قلب كلّ مسلم، فقد جاء في الأحاديث أنّه حجر من حجارة الجنّة، أحضره الملَك جبريل إلى الخليل إبراهيم عليه السّلام لمّا كان يقوم ببناء الكعبة، فوضعه في إحدى زواياها، وقد تعرّض للعديد من الحوادث التّاريخيّة من تشقّق وتصدّع وسرقة واحتراق، وكان ممّا زاد الحجر الأسود مكرمة وشرفا لدى المسلمين هو تقبيل النّبيّ ﷺ له، وبكاؤه عند استلامه.

---

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشّعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص31.

[2] – نفسه، ص61.

[3] – نفسه، ص76.

ورغم هذه المكانة التي تبوّأها الحجر الأسود فإنّه لم يعبد في جاهليّة ولا في إسلام كما ادّعى بروكلمان في كلامه، بل إنّ غاية ما في الأمر أنّه "سنّة من سنن الطّواف، وكلّ ما يفعله الحاج هو أنْ يلمسه بيده، فإنْ تعذّر ذلك بسبب الزّحام اكتفى بالإشارة إليه من بعيد"[1].

وعليه فتقبيل الحجر الأسود لا يعدُّ" ركنًا من أركان الحجّ، ولم يقل أحدٌ بوجوبه، ولم يَرد للحجر الأسود ذكرٌ في القرآن الشّريف مطلقًا، ولا لبئر زمزم ولا للشّرب منها"[2]، أمّا تعظيم المسلمين له فهو من باب التّأسّي بالرسول الكريم عليه الصّلاة والسّلام، والامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى في **قوله ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾**[3]، وفي قوله أيضًا **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**[4].

ومن أروع الأمثلة التي ضربها السّابقون في الامتثال لأوامر الله ورسوله ما يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند وقوفه على الحجر وتقبيله، ثمّ قوله "إنّي أعلم أنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع ولولا أنّي رأيت النّبيّ ﷺ يقبّلك ما قبّلتك"[5].

وقد قال **المحبّ الطبري** رحمه الله تعليقا على قول عمر" إنّما قال ذلك عمر رضي الله عنه– والله أعلم – لأنّ النّاس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام فخشي عمر أن يظنّ الجهّال أنّ استلام الحجر هو مثل ما كانت العرب تفعله، فأراد عمر أن يعلّم النّاس أنّ استلامه لا يقصد به إلّا تعظيم الله عزّ وجلّ، والوقوف عند أمر نبيّه صلّى الله عليه وسلّم وأنّ ذلك من شعائر الحجّ التي أمر الله بتعظيمها ، وأنّ

---

[1] – إبراهيم عوض: مصدر القرآن دراسة لشبهات المستشرقين والمبشّرين حول الوحي المحمّدي، دط، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1417هـ/1997م، ص60.

[2] – محمّد عمارة: الإسلام هل هو القرآن وحده؟ أو القرآن والسّنّة؟ مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، عدد ذي الحجة 1440هـ، ص83.

[3] – سورة الأحزاب/ الآية:21.

[4] – سورة: الحشر/ الآية:07.

[5] – محمّد ابن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، مرجع سابق، ص388، رقم الحديث"1597".

استلامه مخالف لفعل الجاهليّة في عبادتهم الأصنام لأنّهم كانوا يعتقدون أنّها تقرّبهم إلى الله عزّ وجلّ زلفى، فنبّه عمر على مخالفة هذا الاعتقاد، وأنّه لا ينبغي أن يعبد إلّا من يملك الضرر والنّفع ، وهو الله جلّ وعلا"[1]، ومن هنا تتّضح حكمة الله عزّ وجلّ في رعاية الحجر الأسود وحفظه من العبادة في الجاهلية رغم كثرة الآلهة آنذاك.

ولذلك فلا يوجد دليل علميٌّ على صدق كلام بروكلمان، بل هو مجرّد السّير على هدى من قبله من المستشرقين، فنجد أستاذه **فلهاوزن** Julius Wellhausen يقول" وأصبحَ الحجّ إلى الكعبة، وتقبيل الحجر المقدّس من الشّعائر الدّينيّة المفروضة، وبذلكَ دخلَ في الإسلام مركز للشّعائر، وعيدٌ وثنيّ شعبيّ"[2].

وفي نفس السّياق يأتي كلام المستشرق الإنجليزي **إميل درمنغم** Émile Dermenghem حيث يقول" وكان الحجر الأسود الشّهير، الذي هو صنمُ مكّة الخاص، والذي ذهب العرب إلى أنّه الشّيء الوحيد الذي تشتمل عليه الأرض ممّا في الجنّة وإلى أنّ جبريل جاء به إلى إسماعيل منها فاسودّ بخطايا النّاس"[3]، وفي نفس المنحى أيضا يندرج قول **ويلز** H.G. Wells عن الحجر الأسود" وكانَ هذا الحجر النّيزكيّ يعدّ ربًّا، وفي حمايته كلّ الآلهة القبليّة الصّغيرة ببلاد العرب"[4].

والجواب على فرية بروكلمان وغيره من المستشرقين أنّ الحجر الأسود ليس وثنًا ولا ربًّا، ولو كان كذلك لحطّمه الرّسول عليه الصّلاة والسّلام غداة فتح مكّة عندما أمر بتحطيم الأوثان بدون استثناء، وذلك امتثالا لأوامر الله تعالى في قوله ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**﴾[5].

---

[1] – سائد بكداش: فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1996م، ص52.

[2] – يوليوس فلهاوزن: تاريخُ الدّولة العربيّة من ظهور الإسلام إلى نهاية الدّولة الأمويّة، مرجع سابق، ص18.

[3] – إميل درمنغم: الشّخصية المحمّديّة السّيرة والمسيرة، مرجع سابق، ص64.

[4] – ويلز: معالم تاريخ الإنسانيّة، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، ط3، ج3، دت، ص88.

[5] – سورة المدّثّر/ الآيات:1،2،3،4،5.

فقد اتّفق أهل التّفسير على أنّ الرّجز المقصود بالهجر هو التّقرّب للأوثان وجعلها ندّا لله في العبادة، كما أنّ في الكثير من سور القرآن الكريم ردًّا صريحًا على مزاعم المستشرقين، فسورة "**الإخلاص**" مثلًا دليل أنّ أصل الإسلام هو الإقرار بتفرّد الله بالألوهية، وأنّه منزّه جلّ وعلا عن الصّاحبة والشّريك، وسورة "**الكافرون**" دليل صريح على القطيعة الواضحة بين عقيدة التّوحيد وعقيدة الشّرك، وأنّ المسلمين منهيّون عن عبادة ما يدينُ به المشركون، وليس هناك مجال للمداهنة مع بدع الجاهلية التي جاء الإسلام لهدمها، ولو كانَ الحجر الأسود من بين معبوداتهم لتمّ التّخلي عنه، ولكنّه كما بيّنا سنّة من سنن نبيّنا الكريم ﷺ، ولذلك فهناك فرق كبير بين ما كان يدعو إليه مشركو مكّة من عبادة للأوثان، وبين ما جاء به الرّسول محمّد عليه الصّلاة والسلام من دعوة إلى التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى، فكلام بروكلمان وغيره مجرّد افتراض لا أساس له من الصّحّة.

2- مولد النّبيّ ﷺ

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann " لسنا نعلم علم اليقين السّنة التي ولد فيها النّبيّ. والمشهور أنّ ولادته كانت حوالي سنة 570 ولكنّ الذي لا شكّ فيه أنّها متأخّرة عن ذلك بعض الشّيء"[1].

كانت ولادة النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام على ما عليه جمهور العلماء سنة خمسمائة وسبعين للميلاد 570م في العام المعروف بعام الفيل، أمّا يوم ولادته فقد كان يوم الاثنين، وقد ثبت عنه حينما سئل عن صيام يوم الاثنين قوله "ذاك يوم ولدت فيه وأنزل عليّ فيه"[2].

أما الاختلاف فقد كان في تاريخ يوم ولادته عليه السّلام، فقيل في الثاني من ربيع الأوّل، وقيل لثمان خلون منه، وقيل بل في العاشر منه، وهناك رأي آخر يرى أنّه ولد في الثّاني عشر من ربيع الأوّل، وهذا هو رأي جمهور العلماء، ولذلك فقد درج المسلمون على الاحتفال بهذا اليوم من كلّ عام تعظيما

---

[1]- كارل بروكلمان: تاريخ الشّعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص32.

[2] – مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1991م، ج2، ص819، رقم الحديث"1162".

للرّسول عليه الصّلاة والسّلام، وقد أثبتت الدّراسات الحديثة التي قام بها بعض الباحثين من المستشرقين والمسلمين، ومنهم محمود باشا الفلكي أن عام الفيل يوافق سنة571/570م.

والحقّ أنّ هناك روايات أخرى متضاربة منها ما يرجع ولادة الرّسول عليه السلام إلى ما قبل عام الفيل بسنوات، ومنها ما يرجعه إلى ما بعد عام الفيل أيضًا بثماني سنوات أو عشرٍ ، أو ثلاثٍ وعشرين سنة، ولكنّها كلّها روايات معلولة لا تصحّ.

وقد اعتمد بروكلمان Carl Brocklmann في حديثه عن ولادة النّبيّ- ص- على المستشرق **هنري لامنس** Henri Lammens وهو مستشرق معروف بنظرته العدائية للإسلام، فقد أخّر **لامنس** ولادة الرّسول ﷺ بعشر سنين بعد عام الفيل، وكان غرضه من ذلك إبطال صحة الحديث الذي ينصّ على أنّ الأنبياء يبعثون على رأس الأربعين، وبذلك يكون عمر الرّسول- حسب لامنس- عند بعثته ثلاثين سنة، وهذا الزعم كما أسلفنا لا يقوم على روايات تاريخية صحيحة، ولكن يقوم على حقد دفين لبعض المستشرقين الغربيين اتجاه الإسلام ونبيّه الكريم، خاصة الذين كانت لهم صلة بالمؤسسة الدّينية المسيحية **كهنري لامنس** الذي وصفه عبد الرّحمان بدوي بأنّه "يفتقر افتقارا تامّا إلى النّزاهة في البحث والأمانة في نقل النّصوص وفهمها، ويعدّ نموذجا سيئا جدّا للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين"[1].

كما يتحدّث عنْ طريقة لامانس في تشويه الحقائق والكذب والتّلفيق في موضع آخر بقوله "ولا أعرف باحثا من بين المستشرقين المحدثين قد بلغ هذه المرتبة من التّضليل وفساد النّيّة"[2]، ولذلك ينبغي لمن يتصدّى للبحث في سيرة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام أن يعود إلى المصادر والمراجع الإسلامية المعتبرة، لا أنْ يطلقَ الكلام على عواهنه دول دليل علمي.

[1] – عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص503.

[2] – نفسه، ص504.

3- مكانة النّبي ﷺ وعشيرته في مكّة:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "وليس يبدو أنّ عشيرته هاشم قد لعبت دورا على شيء من الامتياز في مكّة، والواقع أنّ الرّوايات الإسلامية قد سعت إلى أن تحيط النّبيّ بهالة من التّمجيد منذ اللحظة الأولى"[1].

يرى بروكلمان أنّ كلّ ما نُسب إلى النّبيّ ﷺ وعشيرته من تمجيد هو مجرّد افتراء من الرّواة والمؤرّخين المسلمين لأنّه- في نظره - كان شخصا عاديا خامل الذّكر، كما أنّ قبيلته لم تلعب دورا كبيرًا في الجاهليّة، وهو تجنٍّ من طرف بروكلمان يشاركه فيه غيره من المستشرقين من أمثال **مونتجمري وات** Montgomery Watt الذي يقول "والسؤال الأساسي المتعلّق بحياة محمّد هو ما إذا كان آباؤه وأجداده على هذا القدر من الأهمّية في سياسة مكّة كما تشير المصادر، أم أنّ هذه الأهمّية مبالغ فيها"[2].

ويقول أيضًا "وقد تناول المؤرّخون الذين عاشوا زمن الدّولة العبّاسيّة تاريخ الأمويين بطريقة خالية من التّعاطف، فليس مستغربًا إنْ هم أسبغوا على هاشم وأبنائه وأحفاده أهمّية كبيرة ووضعوهم موضع الصّدارة بطريقة قد لا تمثّل حقيقة مالهم من أهمّية وصدارة"[3]، فكلام المستشرقين كما هو واضح مبنيٌّ على تخمينات وفرضيات مسبقة قائمة على اتّهام المؤرخين في العصر العبّاسي بتزوير التّاريخ دون أنْ يقدّموا لنا دليلا علميًّا يؤيّد مزاعمهم.

ولذلك فحكم **بروكلمان** و **وات** مجانب للصّواب فقد كان النّبيّ ﷺ رفيع النّسب في قومه، كما أنّ بني هاشم كانوا ذوي عزّة ومنعة، وقد ورثوا المجد والشّرف كابرًا عن كابر، وممّا يؤكّد كلامنا ما يرويه أهل السّير عن شهادة أبي سفيان-وقد كان مشركا- عندما التقى في إيلياء بهرقل عظيم الرّوم، فقد سأله

---

[1] - كارل بروكلمان: تاريخ الشّعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص32.

[2] - وليم مونتجمري وات: محمّد في مكّة، تر: عبد الرّحمان عبد الله الشّيخ، دط، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1994م، ص88.

[3] - نفسه، ص88.

هرقل عن طريق ترجمانه أسئلة دقيقة عن نسب الرّسول ودعوته، وهي أسئلة تنمّ عن مدى معرفة هرقل بديانته النّصرانيّة، وكانت إجابات أبي سفيان صادقة لخوفه من هرقل، فقد اعترف في حديثه بعلو نسب الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، كما ورد أيضا في صحيح مسلم من حديث واثلة بن الأسقع أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال" إنّ الله اصْطَفى كِنَانَةَ منْ وَلدِ إسْمَاعِيلَ واصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، واصْطَفَى منْ قُريشٍ بنِي هَاشِمَ، واصْطَفَانِي مِنْ بنِي هَاشِمَ"[1].

فهذا الحديث يدلّ على علو مكانة بني هاشم في قريش، وعلى أنّ محمّدا خير من مشى على وجه البسيطة.

ويقرّ أحد الباحثين الغربيين بمكانة بني هاشم وبالتّنافس بينهم وبين بني أميّة منذ القدم بقوله" وكانت قريشٌ في بداية القرن السّادس منقسمة إلى فئتين متنافستين إحداهما يتزعّمها التّاجر الثّري الخيّر هاشم، والأخرى يتزعّمها ابن أخيه أميّة، وكان لهذا التّنافس الشّديد شأنه العظيم في تاريخ العرب بعد الرّسالة، ولمّا توفي هاشم خلفه في زعامة بيته ابنه أو أخوه الأصغر عبد المطّلب"[2].

كما تروي لنا كتب السّيرة أيضا قول أبي جهل "تنازعنا نحن وبني عبد مناف الشّرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتّى إذا تجاثينا على الرّكب وكنّا كفرسي رهان، قالوا منّا نبيّ يأتيه الوحي من السّماء، فمتى ندرك هذه، والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدّقه[3]، وهذا يؤكّد لنا أنّ كفر القرشيين بالرّسول ﷺ لم يكنْ لخمول نسبه، بل كان بسبب كبرهم وعنادهم، وهو مصداق لقوله تعالى **﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾** [4].

[1] – مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مرجع سابق، ص1782، رقم الحديث "2276".

[2] – ول وايريل ديورانت: قصّة الحضارة، تر: محمّد بدران، دط، بيروت، ج2، مج4، ص19–20.

[3] – ابن هشام: السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دط ج1، دت، ص316.

[4] – سورة النّمل/ الآية:14.

ويضاف إلى ما سبق أنّ الله سبحانه وتعالى قد بعث بعض الأنبياء، وجعلهم في عزّة ومنعة من قومهم، وذلك كي يدفعوا عنهم كيد الكافرين بدعوتهم ويذودوا عنهم ولا يُسْلموهم لأعدائهم، فنجد مثلاً في القرآن الكريم قصّة نبي الله شعيب عليه السّلام، وعجز قومه عن أذيته بسب عشيرته، وذلك حيث يقول الله عز وجلّ ﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ**﴾[1].

وهذا هو ما حصل مع الرّسول الكريم فقد كانت عشيرته سندًا له في مراحل دعوته حتّى وإنْ لم يكن بعضهم مؤمنًا بما يدعو إليه، فتحمّلوا المشاقّ من أجله، ووقفوا إلى جانبه في العام الذي قرّرت فيه قريش مقاطعة بني هاشم لدعمهم للنّبي، ورفض عمّه أبي طالب التّخلي عن مؤازرته رغم أنّه أبى الدّخول في الإسلام ومات على دين آبائه، وفي هذا يقول **ويلز** H. G. Wells "على أنّ النّبيّ نفسه لم يمسّ بسوء لما له من عزوة قويّة تحميه، بينما لم يشأ خصومه أنْ يفتحوا على أنفسهم باب الثّأر الدّموي"[2]، وعندما قضى أبو طالب استطاعت قريش أنْ تنال من النّبي ﷺ مالم تنله منه في حياته.

ومن هنا تتّضح لنا المكانة الرّفيعة والمنزلة العاليّة التي تبوّأها الرّسول ﷺ وعشيرته في قريش، وليس كما ادعى بروكلمان الذي اتّكأ في حكمه على نظرته العنصريّة ضد الإسلام والنّبي محمّد ﷺ، وعلى الكلام الذي يتردّد في كتب بعض المستشرقين الغربيين.

4- الحالة المادّية لأسرة النبيّ ﷺ وعلاقتها بالنّبوة:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "ولكن هذا لا ينفي حقيقة مقرّرة وهي أنّ أسرته كانت تعاني في الحقبة التي ولد فيها ظروفا قاسيّة جدّا"[3].

---

[1] – سورة هود/ الآية:91.

[2] – ويلز، معالم تاريخ الإنسانية، ج3، مرجع سابق، ص92.

[3] – كارل بروكلمان: تاريخ الشّعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص32.

ويقول أيضًا "والمعتقد أنّ والده عبد الله بن عبد المطّلب كان تاجرا صغيرا، مات في رحلة تجاريّة إلى المدينة قبل ولادة النّبيّ بشهرين"[1].

حاول بروكلمان من خلال تسليطه الضّوء على الحالة المادّية لأسرة النبّي صلّى الله عليه وسلّم ربط دعوة النّبيّ الكريم بالظروف التي أحاطت بنشأته، وأنّها كانت سببا في ادّعائه النّبوّة حسب زعمه والواقع أنّ أسرة النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام كانت تعمل كغيرها من الأسر المكّيّة بالتّجارة، وكانت تضاهي بطون قريش الأخرى رفعة وشرفا ونسبا وإنْ لم تكن أكثرها ثراء، وتفكير بروكلمان هو نفس تفكير الجاهليين الذين كانوا يريدون أن تكون الرّسالة في أحد الأثرياء والزّعماء في مكّة أو الطّائف، وهو ما قاله سبحانه وتعالى حكاية عنهم ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾[2].

والواقع أنّ قلّة المال لم تقف حاجزا أمام منافسة عشيرة النّبيّ على زعامة مكّة، وقد أدّى هذا النّزاع بين القبائل إلى "انقسام العشائر إلى محورين هم المطيّبون(بنو عبد مناف ومن حالفهم وهم بنو أسد بن عبد العزّى وبنو زهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر) والأحلاف(بنو عبد الدّار ومن حالفهم وهم بنو سهم وجمح ومخزوم وعديّ)"[3]، ويرفض غيثان علي جريش كلام بروكلمان في تقليله من شأن عشيرة النّبي ﷺ ويتساءل عن كون بروكلمان قد قرأ الروايات الإسلامية التي تتحدث عن الرسول وعشيرته، وعن كونهم أصحاب دار الندوة والرفادة والسقاية منذ الجاهلية، وعليه فإذا " كنّا لا نعترف بمجد بني هاشم وقريش وتأثيرهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي فمن الذي نعترف به خصوصا أنهم كانوا أصحاب الزعامة من عهد جدّ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قصي بن كلاب ثمّ في عهد جدّه عبد المطلب وعمّه أبي طالب"[4].

---

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشّعوب الإسلامية، مصدر سابق ، ص32–33.

[2] – سورة الزّحرف/ الآية:31.

[3] – أكرم ضياء العمري: السّيرة النّبويّة الصّحيحة، ط6، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1994م، ج1، ص81.

[4] – غيثان علي جريش: افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية، ط4، جدة، 1418هـ، ص19.

أمّا والد النّبي ﷺ فقد مات وأمّ النّبيّ حامل به، وقيل مات والنّبي في المهد ابن شهرين، وقيل مات وعمر النّبيّ ثمانية وعشرون شهرا، وقد "ترك عبد الله أمّ أيمن وخمسة أجمال وغنمًا فورث ذلك النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم"[1].

ولا يضرّ النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام كون أبيه كان تاجرا صغيرا أو كبيرا لأنّ النّبيّ قد ورث الرّفعة والشّرف عن قبيلته ولأنّ العناية الإلهيّة قد اقتضت أن يولد النّبيّ من أوساط النّاس يتيما، قليل المال، فيرعى الغنم ويتاجر ويكسب من عرق جبينه، فيحسّ بالفقراء والمساكين، ويذكر نعم الله عليه، وصدق الله تعالى حيث يقول ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾[2]، فلا علاقة البتة بين فقر النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام وبينَ النّبوّة التي خصّه الله بها دون بقيّة البشر.

5- غموض حياة النّبيّ ﷺ:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "ولسنا نملك بيّنة موثوقا بها عن حياة النّبيّ الأولى إلّا هذه الآيات القرآنيّة من سورة الضّحى" ألم يجدك يتيما فآوى... وأمّا بنعمة ربّك فحدّث"[3].

اعتمد بروكلمان في حكمه بغموض حياة النّبيّ على القرآن الكريم كمصدر وحيد لسيرة الرّسول ﷺ لذلك أشار إلى سورة الضّحى، وهو بهذا يتجاهل كلّ كتب الحديث والسيّرة التي أثنى العلماء عليها وعلى أصحابها، والتي استفاضت في ذكر سيرة الرّسول الكريم منذ طفولته ومرورا ببعثته إلى وفاته، فذكرت مولده في مكّة، ووفاة والده، ثمّ وفاة والدته فيما بعد، ورضاعته في بني سعد، وحادثة شقّ الصّدر، وكفالة جدّه ثمّ عمه له، وسفره إلى الشّام، وبعثته على رأس الأربعين، وفيها ذكر لزوجاته وأولاده، وأعمامه وأخواله.

---

[1] – محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبي: السيرة النّبويّة، تح: حسام الدّين القدسي، دط، دار الكتب العلميّة، بيروت، دت، ص23.

[2] – سورة الأنعام/ الآية:124.

[3] – كارل بروكلمان، تاريخ الشّعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص33.

كما نجد سنّته القولية والفعلية مبثوثة بين ثنايا كتب الحديث، يقول **جون دافنبورت** John Davenport في كتابه اعتذار من محمّد والقرآن "لا ريب أنّه لا يوجد في الفاتحين والمشرّعين من يعرف النّاس حياته وأحواله بأكثر تفصيلا وأشمل بيانا ممّا يعرفون سيرة محمّد صلّى الله عليه وسلّم وأحواله"[1]، ويضيف شوقي أبو خليل أنّ " من هو أقلّ بكثير من الرّسول الكريم صلى الله عليه وسلّم كشاعر أو خطيب أو وجيه في قبيلة...يذكر الرّواة عن نشأته ومراحل حياته الشّيء الكثير فكيف بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم وهو حفيد عبد المطّلب زعيم قومه"[2].

لذلك فإنّنا لا نرى كلام بروكلمان عن غموض حياة النّبي الأولى صائبًا، بلْ هو زعمٌ ردّده كثير من المستشرقين الغربيين، فنجد صاحب كتاب قصّة الحضارة يقول" ولا نكاد نعرف عن شباب محمّد إلّا القليل، وكان ما يروى عنه من القصص قدْ ملأ عشرة آلاف مجلّد"[3]، ويقول جاك ريسلر J. S. Restler " وعلى الرّغم من ألوف الكتب الموضوعة في هذا الموضوع، فإنّنا لا نملك أبدًا شهادات أكيدة حول سنواته الأولى وحياته الرُّهاقيّة"[4].

فرغم اعتراف الغربيين بوفرة المراجع والمؤلّفات التي تتحدّث عن الرّسول ﷺ وحياته من جهة إلّا أنّهم يحكمون عليها بالضّعف جملة وتفصيلا من جهة أخرى، ولسنا ندري المصادر والشّهادات الأكيدة التي يمكن أن يثق بها الغربيون، فالصّحابة والتّابعون الذين نقلوا إلينا القرآن الكريم هم أنفسهم الذين نقلوا إلينا أحاديثه وسنّته وسيرته عليه الصّلاة والسّلام، ثمّ هل طبّق هؤلاء الغربيون نفس مبدأ الشّك هذا على الروايات والمراجع التي تتحدّث عن الكتب المقدّسة عندهم؟! أم هو الحقد الغربي على كلّ ما له صلة بالنّبيّ محمّد عليه الصّلاة والسّلام؟!

---

[1] – سليمان الندوي: الرّسالة المحمّدية، تر: محمّد ناظم الندوي، ، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 2002م، ص88.

[2] – شوقي أبو خليل: كارل بروكلمان في الميزان، مرجع سابق، ص33.

[3] – ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ج2، مرجع سابق، ص22.

[4] – جاك ريسلر: الحضارة العربيّة، تر: خليل أحمد خليل، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1993م، ص34.

وعليه فلم يكتنف حياة النّبيّ ﷺ أيّ غموض كما يزعم المستشرقون، فقد نشأ وعاش بين قومه في مكّة، وتزوّج من مكّة، وعمل بها تاجرًا قبل وبعدَ زواجه من السّيدة خديجة رضي الله عنها، وقد كان معروفًا بدماثة أخلاقه حتّى لقّبه قومه بالأمين، وما كان ذلك ليحصل إلّا لأنّه كان يخالطهم ويعيش بينهم، فقد كانوا يعرفون كلّ صغيرة وكبيرة عنه ﷺ.

حتّى إنّنا نجد القرآن الكريم يشير إلى ذلك في معرض جداله مع المشركين الذينَ كذّبوا النّبيّ محمّدًا ﷺ بعدما خبروا كلّ شيء عنه قبل البعثة، وذلك في قوله عزّ وجلّ ﴿**قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[1]، ولذلك فلو" ساغ لإنسان أنْ يشكّ في مثل هذه الأحداث التّاريخيّة المتواترة، جاز له أنْ يشكّ في أشهر الأحداث التّاريخيّة العالميّة، وحينئذٍ لا يصحّ في أذهان النّاس شيء من الحقائق"[2].

ويضاف إلى ما سبق أنّ القرآن الكريم ليس كتاب سيرة ذاتيّة للرّسول الكريم ﷺ حتّى يتوقّع بروكلمان أن يجد فيه تفاصيل حياته، بل هو كتاب تشريع وهداية للبشريّة جمعاء، أمّا آيات سورة الضّحى التي ذكرها بروكلمان فهي تذكير من الله لرسوله الكريم بآلائه ونعمه عليه، ثمّ بأيّ منطق يعترف بروكلمان بموثوقيّة هذه الآيات من السّورة، ويجعلها دليلا على حياة النّبيّ ﷺ الأولى، ثمّ نجده في المقابل ينكر السّور الأخرى التي تتّحدّث عن الأخلاق العظيمة للنّبيّ محمّد ﷺ، وأنّ القرآن الكريم هو وحي إلهي وليس من تأليف الرّسول ﷺ، ولا هو مقتبس من المسيحية واليهوديّة، فكلّ هذا يبيّن مدى تّخبّط المستشرقين وعدم جدّيتهم وموضوعيتهم في التّعامل مع سيرة المصطفى ﷺ.

[1] – سورة يونس/ الآية: 16.

[2] – أحمد أبو زيد: السيرة النّبويّة، ط1، دار التقريب، بيروت، 2004م، ص90.

6/ زواجه ﷺ في نظر بروكلمان:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann **عنْ زواج النّبيّ ﷺ من السّيدة خديجة** "والذي يبدو أنّ هذا الزّواج لم يضمن له حاجياته المادّية فحسب بل حمل إليه الارتياح من نواح أخرى أيضا"[1].

كان النّبي عليه أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم معروفا في مكّة بأخلاقه وعفّته وأمانته كما قلنا من قبل، حتّى لقب بالصّادق الأمين، وقد كان" يتّجرُ، وكان شريكه السّائب بن أبي السّائب"[2]، وقدْ أهّلته كفاءته وأمانته ليخرج في تجارة خديجة بنت خويلد إلى الشّام، وقد رافقه غلام لها يدعى ميسرة ، وبعد رجوع القافلة حدّث ميسرة سيّدته بما رآه من دماثة خلق محمّد، وصدق ما كان يصفه النّاس به في مكّة، كلّ هذا زاد من إعجاب السيّدة خديجة بمحمّد وعزّز مكانته في نفسها، فأجمعت أمرها، وكلّمت عنه بعض صويحباتها، ومنهنّ امرأة تدعى نفيسة، فكلّمت هذه الأخيرة محمّدا بشأن خديجة، وكلّم هو بدوره أعمامه فخطبوها له.

وقد كانت رضي الله عنها تكبره بخمس عشرة سنة، وقد أحبّها النّبي– ص– حبّا شديدا ولم يتزوج غيرها في حياتها، وأنجب منها كلّ أبنائه باستثناء إبراهيم، لذلك فزواج محمّد بخديجة لم يكن لضمان حاجياته الماديّة، بل نتيجة حب واحترام متبادل بين الطّرفين، فكما كان محمّد معروفا بين أقرانه بصدقه وأمانته وانصرافه عمّا يقبل عليه غيره من شّهوات الحياة وملذّاتها، كذلك كانت خديجة سيّدة فاضلة، معروفة برجاحة عقلها، يخطب ودّها أشراف مكّة، ويكنّون لها كل احترام وتقدير، ويرغبون في نكاحها، لكنّها– رضي الله عنها– كانت قد رغبت عن الزّواج بعد وفاة زوجيها السّابقين، إلى أنْ أكرمها الله جلّ وعلا بالزّواج بمحمّد عليه الصّلاة والسّلام.

---

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص33.

[2] – محمّد الخضري: نور اليقين في سيرة سيّد المرسلين، تح: سمير أحمد العطّار، دط، دار الحديث، القاهرة، ص25.

وقد ظهر هذا الحبّ جليا بعد زواجها بالنّبي ﷺ فقد كانت أوّل امرأة تؤمن به بعد رجوعه من غار حراء ترتعد فرائصه، ووقفت إلى جانبه إلى آخر يوم في حياتها، وقد بقي النّبي الكريم، وفيّا لخديجه حتّى بعد وفاتها، وكان يقول لإحدى زوجاته "ما أبدلني الله عزّ وجلّ خيرا منها قد آمنت بي إذ كفر بي النّاس، وصدّقتني إذ كذّبني النّاس، وواستني بمالها إذ حرمني النّاس، ورزقني الله عزّ وجلّ ولدها إذْ حرمني أولاد النّساء"[1].

فكلام النّبي عنها ومدحه لها يظهر عظمة هذه العفيفة الطّاهرة، التي وقفت إلى جانب النّبي في السّراء والضّراء، ولئن "كانت امرأة نوح وامرأة لوط قد تخاذلتا عن معاونة النّبيين الصّالحين، فامرأة محمّد عليه السّلام أعلت شأن النّساء قاطبة، فكانت الزّوج الملهمة المواسيّة، الودود العطوف الولود، يلقى قريشا وصدودها، وعداوتها وجفوتها، فإذا آوى إلى بيته وجد بردا وسلاما"[2]، فخديجة رضي الله عنها كانت هي الملجأ بعد الله سبحانه وتعالى الذي يفزع إليه الرسول الكريم ليشكو إليها ما يصيبه.

ومن هنا يتّضح بما لا يدع مجالا للشّك أنّ زواج الرّسول من خديجة لم يكن لأمور ماديّة، فمالها" لم يصرفه عن الانقطاع عن حياة التّفكير والتّأمّل، فكان يتوجّه إلى غار حراء المكان المفضّل له رغم أنّه بأمواله كان يستطيع أن يلهو ويعيش حياة الرّفاهيّة مثل أقرانه ومن هم في سنّه ولكنّ الرّسول–ص– كان من طبيعة أخرى لأنّ له مهاما قوميّة وعالميّة يعلمها الله"[3].

7– شبهة أخذ الرّسول ﷺ عن اليهود والنّصارى خارج مكّة:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "وتذهب الرّوايات إلى أنّه اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنّصارى"[4].

---

[1] – أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، إبراهيم الزيبق، محمّد أنس الخنّ، ط1، مؤسّسة الرسالة، بيروت، 2001م، ج41، ص356، رقم الحديث"24864".

[2] – محمّد أبو زهرة: خاتم النبيين، المؤتمر العالمي الثّالث للسيرة والسّنة النبوية، الدوحة، محرّم 1400هـ، ص199.

[3] – نبيل لوقا بباوي: محمّد والخناجر المسمومة الموجّهة إليه، دط، دت، ص26.

[4] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص34.

حاول بروكلمان أنْ يثبت ما يلهج بذكره أغلب المستشرقين من أنّ مصدر القرآن الكريم هو اليهوديّة والنّصرانية، ولذلك فقد افترض أنّ النّبيّ ﷺ كان على اتّصال باليهود والنّصارى عن طريق رحلاته التّجاريّة خارج مكّة، وبالتّالي فقد عرف ما عندهم و أخذ عنهم، وللرّد على بروكلمان وغيره لابدّ منْ تسليط الضّوء على تلك الرّحلات المزعومة التي يتحدّث عنها أولئك المستشرقون.

فالواقع أنّه بعد وفاة عبد المطّلب ولي أمر الرّسول عليه الصّلاة والسّلام عمّه أبو طالب، وقد كان النّبيّ الكريم متعلّقا به أشدّ التّعلّق، لذلك فإنّ أبا طالب أبى إلّا أن يأخذه معه في تجارته إلى الشّام، وكانت هذه أول رحلة للنّبيّ ﷺ، وقد "كان في التّاسعة أو العاشرة أو الثّانية عشرة من عمره على اختلاف الرّوايات"[1].

ثمّ إنّ القافلة القرشيّة نزلت ببصرى، وهي في طريق قريش إلى الشّام، وقد استقبلهم في تلك الرّحلة على غير العادة راهب يدعى **بحيرا** كان في صومعة له، وقد كان القرشيّون يمرّون عليه في رحلاتهم السّالفة، فلم يصنع بهم مثل صنيعه ذلك العام، فقد أمر بأن يُعدّ لهم طعام كثير، وألّا يتخلّف عن طعامه أحد من القرشيين، وما كان ذلك كما يذكر أهل السّير إلّا لأنّ الرّاهب **بحيرا** قد رأى علامات على قرب ظهور نبيّ جديد، وقد تخلّف النّبيّ ﷺ في رحال قومه، ولكنّ الراهب ألحّ على دعوته، فلمّا جاء النّبيّ بدأ **بحيرا** يسأله ويسأل عمّه، ثمّ نصح أبا طالب أن يعود بابن أخيه إلى مكّة بعد فراغه من تجارته، وأن يحذر عليه من اليهود، فإنّه كائن له شأن عظيم.

هذه هي قصّة الرّاهب **بحيرا** مع النبيّ ﷺ ومع أنّ بعض علماء المسلمين– قدماء ومحدثين– قد رفضوا هذه القصّة من أساسها لأنّها معلولة من جهتي السّند والمتن إلّا أنّ المستشرقين ومنهم كارل بروكلمان يصرّون على إثباتها، ويذهبون في تأويلها كلّ مذهب، لا لشيء إلا ليثبتوا أنّ القرآن الكريم مأخوذ من المسيحيّة واليهوديّة، وأنّ محمّدا عليه الصّلاة والسّلام قد ألّف القرآن بالاعتماد على الرّاهب

[1] – ابن سيّد النّاس: عيون الأثر، ص40. نقلا عن أكرم ضياء العمري: السّيرة النّبويّة الصّحيحة، مرجع سابق، ص106.

بحيرا، ولكنّ مشكلة هؤلاء المستشرقين أنّهم دائما ما يطرحون الفرضيّات في المقام الأوّل، ثمّ يجهدون أنفسهم في محاولة إيجاد حجج وبراهين لتدعم النتيجة التي توصّلوا إليها قبل البحث، ويمكن الردُّ على فرية بروكلمان في عدّة نقاط:

أ- استعمل بروكلمان كلمة "**رحلاته**" بصيغة الجمع رغم أنّ المصادر المعروفة تذكر أنّ النّبيّ ﷺ سافر مرّتين فقط مرّة مع عمّه وهي المرّة التي التقى فيها بالرّاهب بحيرا إنْ صحّت القصّة، ومرة ثانية عندما خرج في تجارة خديجة بنت خويلد رفقة غلامها ميسرة، وكان النّبي حينها في الخامسة والعشرين من عمره بدليل زواجه من خديجة بعد رجوعه من رحلته.

ب- من غير الممكن أن يستطيع الرّسول ﷺ وهو في الثّانية عشرة من عمره تأليف واختراع دين جديد لمجرّد لقائه بالرّاهب بحيرا أثناء وجبة غداء، ولو صدّقنا فرضية المستشرقين لكان الرّسول ﷺ هو الساعي للقاء الرّاهب للتّعلّم منه، ولكنّ الرّواية التي بين أيدينا تخبرنا أنّ هذا الصّبي اليتيم قد تشبّث بعمّه لكي لا يتركه وحيدا في مكّة، كما تثبت أن بحيرا هو الذي كان حريصا على لقاء هذا الصّبيّ الذي تنبّأ له بمستقبل عظيم، ولو كان الرّاهب هو "مصدر هذا الفيض الإسلامي المعجز لكان هو الأحرى بالنّبوّة والرّسالة والانتداب لهذا الأمر العظيم"[1].

ج- من الثّابت تاريخيّا أنّ الرّسول ﷺ كان أمّيّا، فلم يكن يعرف القراءة والكتابة، وهو حال السّواد الأعظم من أهل مكّة في ذلك الوقت، فلم تكن هناك دور في مكّة لتعلّم القراءة والكتابة، ونجد القرآن الكريم يصرّح بأمّية النّبيّ ﷺ في قوله عزّ وجلّ ﴿**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾[2].

[1]- محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد زمرلي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1995م، ج2، ص326.

[2] - سورة العنكبوت/ الآية:48.

وأميّته هي إحدى معجزاته عليه الصّلاة والسّلام، فلو كان متعلّما لأمكن لغيره أنْ يتّهمه بأنّه تعلّم على يد شخص آخر، أو أنّه قرأ في كتب سابقة عنه، ومع أنّ مشركي مكّة عرفوا أنّ الرّسول ما كان قارئا ولا كاتبا إلّا أنّهم أصرّوا على أخذ الرّسول الكريم من حدّاد رومي، قال تعالى ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾[1]، ولذلك فالذي ادّعاه أهل مكّة هو نفسه ما اجترّه بروكلمان من أنّ النّبيّ ﷺ قد أخذ عن الرّاهب، وهو يعرف أنّه لا يحسن القراءة والكتابة.

د– مخالفة القرآن الكريم لليهود والنّصارى وذمّهم لأنّهم حرّفوا الكلم عن مواضعه، وانحرفوا عن جادّة الصّواب، وناصبوا الرّسول عليه الصّلاة والسلام العداوة رغم أنّهم يجدونه مكتوبا عندهم في كتبهم، ولو كان القرآن الكريم مأخوذا من هاتين الدّيانتين لوجدنا القرآن الكريم يمدحهما، ولكنّ العكس هو الصّحيح، فالقرآن يصرّح من غير مواربة بأنّه ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[2]، أمّا وجود تشابه بين القرآن والمسيحيّة واليهوديّة، فلا يدلّ على أنّ القرآن تقليد لهاتين الدّيانين كما يهرف بذلك أغلب المستشرقين، بل يدلّ على أنّ الكتب الثّلاثة قد خرجت من مشكاة واحدة، وكان سيكون هناك تشابه أكبر بين هذه الدّيانات لولا التّحريف الذي أصاب المسيحيّة واليهوديّة على يد أتباعهما.

لذلك نقول إنّ شبهة أخذ الرّسول الكريم عليه الصّلاة والسّلام من أحبار اليهود ورهبان النّصارى لا تعدو أن تكون اجترارا لما ردّده مشركو مكّة في القديم، وهي شبهة متهافتة لا يسندها أي دليل علمي.

[1] – سورة النّحل/ الآية:103.

[2] – سورة آل عمران/ الآية:85.

8- شبهة أخذ الرّسول ﷺ عن النّصارى في مكّة:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "أمّا في مكّة فلعلّه اتّصل بجماعات من النّصارى كانت معرفتهم بالتّوراة والإنجيل هزيلة إلى حدّ بعيد"[1].

يواصل بروكلمان محاولة إثبات فرية أنّ القرآن الكريم مقتبس من اليهودية والنّصرانيّة، وأنّ النّبي محمّدًا ﷺ قد اتّصل بجماعات من النّصارى في مكّة وأخذ عنهم، رغم أنّ الأدلّة تثبت كما بيّنا من قبل أنّ النّبيّ ﷺ كان أمّيًا لا يقرأ ولا يكتب، فليس في استطاعته ولا في استطاعة غيره-حتّى وإنْ كان قارئًا وكاتبًا- أنْ يؤلّف القرآن الكريم، وهي فرية تكاد تحظى بالإجماع لدى السّواد الأعظم من المستشرقين على اختلاف مشاربهم.

ولذلك فقد حاول كثير من النّصارى والمستشرقين الغربيين أنْ يثبتوا أنّ الجزيرة العربية كانت تموج بالفرق النّصرانية منذ القديم، وأرجعوا دخول المسيحيّة إلى جزيرة العرب إلى عهد المسيح عليه السّلام، فقد فرّ المسيحيون بسب الاضطهاد الذي كانوا يتعرّضون له من طرف اليهود والرّومان، فيرى" بعض المؤرّخين أنّ أوّل هجرة مسيحية بدأت عام70م بعد تدمير أورشليم، ثمّ توالت الهجرات كلّما حصل اضطهاد في فلسطين"[2].

وقد كانت المسيحية متغلغلة في شبه الجزيرة العربية وكان عرب الجاهليّة – حسب هؤلاء المستشرقين – على معرفة بالمبادئ المسيحية، وعلى حدّ تعبير نولدكه Theodor Nöldeke فحتّى وإنْ" لم تكنْ المسيحيّة متأصّلة، فقد وُجدَ إلمام بها"[3]، بل بالغ بعضهم في اعتبار الحنيفية التي دان بها بعض الأفراد في مكّة طائفة نصرانيّة، حيث يقول أحدهم "وممّا يثبت نفوذ النّصرانيّة في مكّة على عهد الجاهليّة نهضة الحنيفيّة هناك فإنّ العلماء الذين درسوا تعاليم تلك الشّيعة وما بقي من أخبار أصحابها في تواريخ

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص34.

[2] – سهيل قاشا: صفحات من تاريخ المسيحيين العرب قبل الإسلام، ط1، منشورات المكتبة البولسيّة،2005م، ص41.

[3] – تيودور نولدكه : تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص8.

العرب...كانت نتيجة أبحاثهم أنّ الحنيفيّة في الجاهليّة كانت شيعة نصرانيّة خالطتها بعض تعاليم من غيرها"[1].

وكانت نتيجة هذه الفرضيات التي وضعها المستشرقون أنّه "حينما ظهر محمّد، كانت البلاد العربيّة قد نضجت لثورة دينيّة شاملة مهّدت لها المسيحيّة الواهية لدى البدو"[2]، وبالتّالي فهذا يثبت بالنّسبة لهم تأثّر النبّي ﷺ بهاتين الدّيانتين بطريقة أو بأخرى، وأنّه استمدّ منهما الدّين الإسلامي.

لكنّ هذا الرّأي المتأثّر بالنّظرة الكنسيّة والذي بالغ فيه أصحابه في تقدير مكانة المسيحيّة في شبه الجزيرة العربية، فجعلوها متفوّقة حتّى على الوثنية التي كان يدين بها أغلب العرب لا يلقى قبولًا كاملا لدى الباحثين، حيث يعارض جواد علي ذلك بقوله إنّه " ليس في استطاعتنا تعيين الزّمن الذي دخلت فيه النّصرانيّة إلى جزيرة العرب، وتحاول مؤلفات رجال الكنائس ردّ ذلك التّاريخ إلى الأيّام الأولى من التاريخ النّصراني، غير أنّنا لا نستطيع إقرارهم على ذلك، لأنّ حججهم في ذلك غير كافية للإقناع، ولذلك فليس من الممكن تثبيت تأريخ لانتشارها في هذه الأماكن في الزّمن الحاضر وليس لنا إلّا التّفتيش عن أقدم الوثائق المكتوبة للوقوف عليها بوجه لا يقبل الشّك ولا التّأويل، ونحن أمام بحث علمي يجب أنْ تكون العاطفة بعيدة عنه كلّ البعد"[3].

كما أنّ الحقيقة التي يتغافل عنها أغلب المستشرقين أنّ انتشار النّصرانيّة لم يكن على صعيد واحد في شبه الجزيرة العربية، فقد انتشرت بكثافة بين القبائل الشّامية، وخاصّة بعد تنصّر **قسطنطين**، وفرضها كدين رسمي للإمبراطوريّة الرّومانية، كما انتشرت في اليمن وبخاصّة في نجران، وكذا في بعض الأماكن المجاورة لليمن كالبحرين واليمامة وحضرموت، وانتشرت كذلك بين بعض القبائل العراقية كتغلب

[1] – لويس شيخو: النّصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، ط2، دار المشرق، بيروت، 1989م، ص 118، 119.

[2] – سهيل قاشا: صفحات من تاريخ المسيحيين العرب قبل الإسلام، مرجع سابق، ص 45.

[3] – جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، 1993م، ج6، ص586، 587.

وإياد، إضافة إلى الحيرة، ولكنّها بكل تأكيد لم تنتشر في مكّة وما جاورها بالشّكل المبالغ فيه الذي يحاول المستشرقون تصويره من أجل دعم ما يضعونه من فرضيات وتكهّنات.

كما يضاف إلى هذا أنّه رغم الانتشار الذي يتحدّثون عنه فهي لم تكن مسيحيّة واحدة فقد كانت منقسمة إلى فرق وطوائف متناحرة يكفّر بعضها بعضًا، يقول أحد الباحثين" غير أنّ النّصرانية في الجزيرة منذ أواسط القرن الخامس تشوّهت بأضاليل البدع ولاسيما البدعة اليعقوبيّة التي انتشرت في تلك الجهات انتشار النّار في العدوى القاتلة ففصلتها عن مركز الوحدة وأوقعتها في لجّة الضّلال"[1].

وكما قلنا فالذي يعنينا نحن في هذا الصّدد هو دخول النّصرانيّة إلى مكّة تحديدًا، وفي هذه النّقطة بالذّات لا يقدّم لنا المستشرقون إلّا رجمًا بالغيب، وافتراضات جوفاء لا تسمن ولا تغني من جوع، يقول رودلف "إنّا لمضطرّون أنْ نفترض أنّ اليهوديّة والمسيحية قد عرفتا السّبيل على نحو ما إلى مكّة التي يعنينا أمرها كثيرًا لأنّها موطن محمّد، وإنْ لم يكن ثمّ ما يثبت أنّه كان بها يهود أو مسيحيون في عهد محمّد، ومن العسير أنْ نظنّ أنّه كان بها كثير منهم وإلّا لاحتفظت لنا السّير بأنباء أكثر إسهابًا ممّا تناهى إلينا"[2].

ولذلك فقد كان حريًّا ببروكلمان أنْ يبيّن لنا حال هذه الجماعات النّصرانيّة التي تحدّث عنها، فيوضّح لنا أسماء هؤلاء المسيحيين وعددهم، وكتبهم التي حفظها لنا التّاريخ، ومدارسهم التي كانوا يعلّمون بها المكّيين، ولماذا تعلّم منهم محمّد دون غيره من أهل مكّة؟! فلو كان الأمر صحيحًا كما يزعم لعرف خلق كثير ما يعرفه النّبيّ ﷺ، ولما اختلفوا في وصف القرآن بأنّه شعر أو سحر أو سجع كهّان، ولما عجز أساطين البلاغة والشعر أنْ يأتوا بمثله، بل لما آمن بدعوة النّبيّ ﷺ أحد من الأساس، ولكانت قريش في غنًى عن اتّهامه بأنّه يتعلّم من مجرّد حدّاد رومي تافه في مكّة.

---

[1] – لويس شيخو: النّصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهلية، مرجع سابق، ص100.

[2] – عبد الجليل عبده شلبي، صور استشراقية، دط، سلسلة البحوث الإسلاميّة، محرم 1398هـ/ يناير 1978م، ص50.

فالأفكار المسيحيّة واليهوديّة إذًا لم تكن منتشرة في مكّة بتلك الدّرجة التي يحاول أنْ يثبتها غلاة المستشرقين لحاجة في أنفسهم، بل لعلّنا لا نجانب الصّواب إذا قلنا إنّها كانت منعدمة من الأساس، فلو كانت منتشرة كما يدّعون لما بدأت الدّعوة سرًّا لمدّة ثلاث سنوات، ولما وجد النّبيّ ﷺ تلك الشقّة مع أهل مكّة في نشر العقيدة الإسلاميّة، ولما كان هناك إعراض واستغراب لدى المكّيين عند تذكيرهم بحقيقة الإله الواحد، وبحقيقة البعث بعد الموت، وبحقيقة اجتماع الخلائق للحساب يوم القيامة، ثمّ لكان عدد المؤمنين كبيرًا بدعوة النّبيّ ﷺ في مكّة بعد ثلاث عشرة سنة من عمر الدّعوة.

ولكن الواقع يثبت عكس كلام المستشرقين، فلم يؤمن بدعوته ﷺ في مكّة إلّا عدد قليل من النّاس، وهذا يجعلنا نجزم أنّ الوثنية كانت متأصّلة في مكّة، ولا وجود لأفكار أخرى مهّدت لظهور الإسلام، والسبب الأبرز وراء ذلك هو إيمان الجاهليين بتلك الأوثان، واقتناعهم المطلق بأنّها مصدر الضّرر والنّفع، ووقوفهم في وجه من يسفّهها وينتقص منها.

وختامًا فبروكلمان لم يأت بجديد في ذكره لجماعات النّصارى في مكّة، فهو يسير على خطى من سبقه من المستشرقين كأستاذه تيودور نولدكه Theodor Nöldeke الذي طرح نفس فرضية بروكلمان، ولم يقدّم أدلّة علميّة لإثبات موقفه سوى وجود بعض التّشابه بين التعاليم الإسلامية وتعاليم الدّيانات السّابقة، ولذلك فقد هداه ذهنه الوقّاد في النّهاية إلى أنّ" الإسلام هو الصّيغة التي دخلت بها المسيحيّة إلى بلاد العرب كلّها"[1].

وكذا ما ادّعاه المستشرق المتعصّب هنري لامانس Henri Lammens الذي حاول أيضًا تزوير الحقائق، وراح يبالغ في وجود المسيحيين في جزيرة العرب، وقد" كان هذا هو الغرض الوحيد من تأليفه

[1] – تيودور نولدكه: تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص8.

كتاب(غرب الجزيرة العربيّة قبل الهجرة) الذي نتجت عنه صورة للجزيرة العربيّة وهي تموج بالمسيحيين القرشيين والعبيد وتجار الحبشة والشّام"[1].

فكلام المستشرقين إذًا عن وجود عدد كبير من اليهود والنّصارى في مكّة لا يعدو أنْ يكون مجرّد فرضيات تفتقر إلى الدّليل العلمي، ولا تمتّ بصلة للموضوعية ولا للبحث العلمي الذي يدّعيه المستشرقون لا من قريب ولا من بعيد.

9- موقف بروكلمان من الوحي:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "وأغلب الظّن أنّ محمّدًا قد انصرف إلى التّفكير في المسائل الدّينية في فترة مبكرة جدًّا، وهو أمر لم يكن مستغربًا عند أصحاب النّفوس الصّافية من معاصريه الذين قصّرت العبادة الوثنية عنْ إرواء ظمأهم الرّوحي"[2].

و يضيف "ومع الأيّام أخذ الإيمان بالله يعمر قلبه ويملك عليه نفسه فيتجلّى له فراغ الآلهة الأخرى".[3]

ويضيف في موضع آخر" فكان يضجّ في أعماق نفسه هذا السؤال: إلى متى يمدّهم الله في ضلالهم، مادام هو عزّ وجلّ قد تجلّى آخر الأمر للشعوب الأخرى بواسطة أنبيائه؟ وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنّه مدعوّ إلى أداء هذه الرّسالة رسالة النّبوّة، ولكنْ حياؤه الفطري حال بينه وبين إعلان نبوّته فترة غير قصيرة، ولم تتبدّد شكوكه إلّا بعد أنْ خضع لإحدى الخبرات الخارقة في غار حراء، ذلك بأنّ طائفا تجلّى له هناك يوما، هو الملك جبريل على ما تمثّله محمّد فيما بعد، فأوحى إليه أنّ الله قد اختاره لهداية الأمّة"[4].

---

[1] – لخضر الشّايب: نبوّة محمّد في الفكر الاستشراقي المعاصر، دط، مكتبة العبيكان، الرياض، دت، ص 260.

[2] – كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص34.

[3] – نفسه، ص34.

[4] – نفسه، ص36.

يواصل بروكلمان نفث سمومه وهجومه على كلّ ما يمتّ للإسلام بصلة وذلك عند تطرّقه لنبوة النّبيّ محمّد ﷺ زاعما أنّها مجرّد فكرة وتخيّلات نضجت برأس الرّسول الكريم بعدما ضاق ذرعا بقومه الوثنيين وآلهتهم التي تجّلى له فراغها، فأعلن في نهاية المطاف أنّه نبيّ مرسل من عند الله لهدايتهم.

وكلام بروكلمان هذا هو نفسه كلام الجاهليين الذين اعترضوا على نبوّة النبيّ، فرموه بالسّحر والكهانة والجنون، وهو نفسه كلام من سبقه ومن جاء بعده من المستشرقين الذين يجانب أغلبهم الصوّاب عند حديثهم عن الإسلام ونبيّه الكريم و" لا غرو فهؤلاء المستشرقون نزعهم عرق واحد، وجمعتهم راية واحدة، فليس بغريب أنْ تكثر الموافقات في أحكامهم وإنْ تفاوتت طرق الفكر ووجهات النّظر"[1].

والواقع أنّ حياة الرّسول ﷺ معروفة للعام والخاص، وقد كان يعرف فراغ الآلهة الوثنيّة منذ نشأته عليه الصّلاة و السّلام، كما كان يعرف فراغ الكثير من العادات والتّقاليد الجاهلية، فلم ينغمس في حياة اللّهو والعبث كعادة الكثير من شباب مكّة، بل انشغل بالرّعي ثمّ بالتّجارة بعد ذلك، كما "كان ﷺ لا يأكل ما ذبح على النُّصب، وحرّم شرب الخمر على نفسه مع شيوعه في قومه شيوعًا عظيمًا، وذلك كلّه من الصّفات التي يحلّي الله بها أنبياءه ليكونوا على تمام الاستعداد لتلقّي وحيه، فهم معصومون من الأدناس قبل النّبوّة وبعدها"[2].

وموقف النّبيّ محمّد ﷺ من خرافات الجاهلية وبدعها ليس موقفًا اختصّ به دون غيره من أصحاب الفطر السّليمة، فإنّنا نجد القرآن الكريم يقصّ علينا قصّة نبيّ الله إبراهيم عليه السّلام قبل أنْ يوحى إليه وكيف كان يتأمّل في مخلوقات الله بحثًا عن حقيقة الإله الواحد، ثمّ صراعه مع قومه بعد أنْ اختصّه الله بالرّسالة من أجل تبصيرهم بحقيقة تلك الأوثان التي لا تنفع ولا تضرّ، كما تروي لنا كتب

[1] – محمّد الغزالي: دفاع عن العقيدة والشّريعة ضدّ مطاعن المستشرقين، ط7، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، مصر، أبريل 2005م، ص15.

[2] – محمد الخضري: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، تح: حمدي زمزم، دط، دار الإيمان، دمشق، 1988م، ص26.

السّير عن مجموعة من الحنفاء في الجاهليّة الذين عرفوا حقيقة تلك التّماثيل الجوفاء فرفضوا عبادتها كبني قومهم.

وخلافنا مع بروكلمان وغيره من المستشرقين المتعصّبين أنّهم يكيلون بمكيالين عند حديثهم عن نبوّة الرّسول ﷺ وعن ظاهرة الوحي، مع أنّنا إذا طبّقنا نفس كلامهم على كلّ الأنبياء فسينتهي بنا المطاف إلى إنكار جميع الرّسالات السّماويّة، وهذا ما لا يقول به عاقل، ولذلك فمن حقّنا التّساؤل مع محمد الغزالي في ردّه على بروكلمان وأمثاله إذ يقول "هل هذا المستشرق ينكر الوحي جملة؟ إنْ كان كذلك فلا نبوّات البتّة! وسقطت ديانته قبل أنْ تسقط الدّيانة التي يهاجمها، وارتفعت الثّقة بكلّ إنْسان زعم أنّ ملكًا جاءه وأنّ وحيًا نزل عليه، فكلّهم كذبة...وإنْ كان يؤمن بالوحي ويصدّق أنبياء اليهوديّة والنّصرانيّة وحدهم، قلنا له: ما سرّ هذه التّفرقة؟ أهو تعصّب لما ورثت عن آبائك وقومك؟ لك ذلك، ولكن لا تسمّ هذا المسلك علمًا نزيها ولا بحثًا محايدًا "[1].

ولذلك أيضا فإننّا نقول إنّ محمّدا عليه الصّلاة والسّلام لم يكن بدعا من الرّسل في ذلك فقد أوحى الله سبحانه وتعالى إليه كما أوحى من قبله إلى جميع أنبيائه ورسله عليهم السّلام، وذلك مصداقًا لقوله تعالى﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾[2].

ولا أدلّ على صدق رسالة النّبيّ ﷺ من القرآن الكريم نفسه، فهو كتاب الله المعجز، وما كان لبشر مهما بلغ من سعة العلم والثقافة أنْ يأتي بمثله، لذلك فقد تحدّى الله الأوّلين والآخرين بأن يأتوا بسورة أو

[1] – محمد الغزالي: دفاع عن العقيدة والشريعة ضدّ مطاعن المستشرقين، ص23، نقلا عن عبد الكريم علي باز: افتراءات فليب حتّي وكارل بروكلمان على التّاريخ الإسلامي، ط1، دار تهامة، جدّة، 1982م، ص100.

[2] – سورة البقرة/ الآية:213.

عشر سور من مثله أو يعملوا أذهانهم لإيجاد خطأ فيه، وكلّ هذا للتدليل على إلهية هذا الكتاب، يقول الله تعالى ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾[1].

كما أنّنا نجد اختلافا واضحا بين أسلوب القرآن الكريم وبين أسلوب الحديث الشّريف، وهو ما يثبت أيضا أنّ القرآن وحي إلهي.

وبالرّجوع إلى حديث بدء الوحي الوارد في كتب الصّحاح نجد أنّ الملك قد فجأه في غار حراء، وبعد لقائه به مباشرة رجع إلى زوجته، ينتابه الفزع، وترتعد فرائصه، وهو يقول: زمّلوني زمّلوني، وهذا يدلّ على أنّ النّبيّ لم يكن ينتظر قدوم جبريل، كما يدلّنا على أنّ الفكرة لم تنضج في رأسه كما يدّعي بروكلمان وغيره من المستشرقين.

10- موقف بروكلمان من فرية الغرانيق:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann " ولكنّه على ما يظهر اعترف في السّنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثّلاث اللّواتي كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله، ولقد أشار إليهنّ في إحدى الآيات الموحاة إليه بقوله "تلك الغرانيق العلى وإنّ شفاعتهنّ ترتضى"[2].

ذهب بروكلمان في ذكره لقصّة الغرانيق مذهب الكثير من المستشرقين الذين سعوا جاهدين إلى الطّعن في حفظ الله سبحانه وتعالى لكتابه الكريم، والطّعن في عصمة الرّسول ﷺ لذلك تراهم يتلقّفون أيّ شيء يتيح لهم التّهجّم والانتقاص من النّبي ﷺ والقرآن الكريم.

وقد وردت **قصّة الغرانيق** عند بعض المفسّرين والمؤرّخين المسلمين كالواقدي والطّبري والحافظ بن حجر، ومفادها فيما زعموا أنّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام كان في أحد نوادي قومه، فتمنّى إيمان قومه وقُربهم وأنْ لا ينزل عليه من الله ما يزيد نفورهم، فحدثَ أنْ تلا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم سورة النّجم

[1] – سورة النساء/ الآية: 82.

[2] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص34.

فقرأها إلى قوله ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى**﴾[1] ، فقالوا إنّ الشّيطان ألقى على لسانه قوله "تلك الغرانيق العلا وإنّ شفاعتهنّ لترتجى" ثمّ سجد النّبيّ في آخر السّورة وسجد المسلمون لسجوده، كما سجد المشركون لأنّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام قد ذكر آلهتهم بخير.

ثم قالوا إنّ جبريل عاد إلى النّبيّ مساءً وأخبره بشأنِ الكلمتين اللتين ألقاهما الشّيطان على لسانه وأنّهما ليستا من كلام الله، فاغتمّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم لذلك، ونزل عليه قوله تعالى ﴿**وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا**﴾[2].

ثمّ نزلت الآية الأخرى تخفيفا عن الرّسول ﷺ ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[3]، كما زعموا أنّ هذه القصّة قد انتشرت في مكة كلّها، ووصل صداها إلى الحبشة فكانت سببا لعودة بعض مهاجري الحبشة.

ونقول إنّ هذه القصّة متهافتة رفضها وبيّن عُوّارها الكثير من العلماء والباحثين المسلمين قديما وحديثا وذلك لأنّها:

أ- وردت بروايات متناقضة من جهة "فقائل يقول إنّه في الصّلاة، وآخر يقول قالها في نادي قومه حين أُنزلت عليه السّورة، وآخر يقول قالها وقد أصابته سِنة، وآخر يقول بل حدّث نفسه فسها، وآخر يقول إنّ الشّيطان قالها على لسانه، وأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لمّا عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك، وآخر يقول بل أعلمهم الشّيطان أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قرأها، فلّما بلغ النّبيّ صلّى الله عليه

[1] - سورة النجم / الآية: 19-20.

[2] - سورة الإسراء/ الآيات:73-74-75.

[3] - سورة الحج/ الآية:52.

وسلّم ذلك قال والله ما هكذا نزلت، إلى غير ذلك من اختلاف الرّواة، ومن حكيت هذه الرّواية عنه من المفسّرين والتّابعين لم يسندها أحدٌ منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطّرق عنهم فيها ضعيفة واهيّة"[1].

كما تتبّع الألباني رحمه الله عشْرة طرق وردت بها هاته القصّة ثمّ شرع في نقدها وبيان بطلانها سندا ومتناً، وذلك في رسالته المسمّاة "نصب المجانيق لنسف قصّة الغرانيق".

ب- لأنّ هذه الفرية من جهة ثانية تنافي عصمة الله سبحانه وتعالى لنبيّه الكريم في قوله ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[2]، وقوله تعالى ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾[3]، والله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ينفي الضّلال والغواية عن نبيّه في قوله عزّ وجلّ ﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى**﴾[4].

ج- كما أنّ سياق قصّة الغرانيق يصرّح بأنّ النبيّ ركنَ إلى المشركين ومدح آلهتهم، فسجدوا معه، وهو ما يعارض الآية التي استدلّوا بها والتي تؤكّد بأنّ الله جلّ وعلا أيّد نبيّه وثبّته من أنْ يركن إليهم، كما أنّنا لو فرضنا جدلاً صدق هذه الفرية "لما كان هناك تناسب بين ما قبلها وما بعدها، ولكان النّظم مفكّكا والكلام متخاذلا، وكيف يقع مدح بين ذمّين؟ بل كيف يجوز هذا ممّن كمل عقله على كلّ العقول؟...وكيف يطمئنّ إلى مثل هذا التّناقض السّامعون وهم أهل اللّسن والفصاحة، ومنهم أعداؤه الذين يتلمّسون له الزّلات والعثرات؟ ولو أنّ ما روي كان واقعًا لشغب المعادون، وارتدّ الضّعفاء من المؤمنين، و لقامت قيامة مكّة، كما حدث في الإسراء، ولكن شيئا من ذلك لم يكن"[5].

---

[1] – أبو الفضل عياض اليحصبي : الشّفا بتعريف حقوق المصطفى، دط ، دار الكتب العلميّة، لبنان، ج2، ص124-125.

[2] – سورة النجم/ الآية:3-4.

[3] – سورة الحجر/ الآية: 42.

[4] – سورة النجم/ الآية:2.

[5] – محمد بن محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التّفسير، ط4، مكتبة السّنة، القاهرة، 1408هـ، ص320.

ولذلك فلا" يجوز لمن معه أدنى مسكة أنْ يخطر بباله أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم آثر وصل قومه على وصل ربّه، وأراد ألّا يقطع أنسه بهم بما ينزل عليه من عند ربّه من الوحي الذي كان حياة جسده وقلبه، وأنس وحشته وغاية أمنيته"[1].

د- ويمكن أنْ نضيف إلى ما أسلفنا ما ذكره الشيخ محمّد عبده عند حديثه عن قصّة الغرانيق والذي مفاده أنّ "وصف العرب لآلهتهم تلك بأنّها الغرانيق لم يرد في نظمهم ولا في خطبهم، ولم ينقل عن أحد أنّ ذلك الوصف كان جاريّا على ألسنتهم، وإنّما ورد الغرنوق والغرنيق على أنّه اسم لطائر مائي أسود أو أبيض والشّاب الابيض الجميل"[2].

وأخيرا فإنّ تناقض بروكلمان واضح وجليّ، فمن جهة يرى بأنّ النّبيّ تجلّى له فراغ الآلهة الأخرى لذلك سعى لإنشاء دين جديد ومن جهة أخرى نراه يصدّق قصّة الغرانيق ويرى بأنّ النّبيّ قد اعترف بآلهة المشركين وأنّها تشفع لهم!

11- موقف بروكلمان من إعلان النّبيّ ﷺ نبوته:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "ولم تكدْ هذه الحالات تنقضي حتّى أعلنَ ما ظنّ أنّه قد سمعه كوحي من عند الله، ولكنّ ذلك لم يثرْ أوّل الأمر اهتماما كبيرا بين مواطنيه ولم يلهب أحاسيسهم ومشاعرهم، فقد كانوا متعوّدين أنْ يظهر في كلّ قبيلة تقريبا كما يظهر الشّاعر "كاهن" يستطيع أنْ يعزو أحكامه فيما يتعلّق بالخلافات والمشكلات الغامضة (من قتل وسرقة أو شرود إبل وضياعها) المعروضة عليه إلى صاحب له غيبي وأنْ يذيعها في النّاس نثرا مسجوعا كما فعل النّبيّ فيما نزّل عليه من وحي،

[1] – أبو بكر بن عبد الله ابن العربي: أحكام القرآن، راجعه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، لبنان، ج3، ص305.

[2] – محمد حسين هيكل: حياة محمّد، ط14، دار المعارف، القاهرة، ص181.

ومن هنا كان على محمّد أنْ يحتاط مرّة بعد مرّة من أنْ يضعه مواطنوه في مصفّ هؤلاء الكهّان ومرتبتهم"[1].

يواصل بروكلمان افتراءاته على الرّسول عليه الصّلاة والسّلام وإنكاره لظاهرة الوحي، وكذا ترديده لأباطيل مشركي مكّة التي اتّهموا بها النّبي صلّى الله عليه وسلّم، فهو يرى بأنّ المشركين لم يعبأوا بدعوة النّبيّ لأنّهم كانوا متعوّدين على سجع الكهّان ونثرهم، لكنّ الحقيقة أنّ كلام بروكلمان بعيد عن الصّواب لعدّة أسباب منها:

1- أنّ المشركين لم يلقوا بالاً لتلك الدّعوة الفتيّة لأنّهم لم يكونوا يسمعون كلام الله سبحانه وتعالى، وذلك لأنّ الدّعوة كانت سرّيّة في بادئ الأمر، واستمرّت كذلك مدّة غير يسيرة "وكان بين ما أخفى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمره واستتر به إلى أنْ أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاثُ سنين–فيما بلغني–من مبعثه"[2]، فلم يكن المؤمنون بالدّعوة معروفين للمشركين بأعيانهم، كما أنّهم كانوا يقيمون شعائرهم بعيدا عن الأعين في شعاب مكّة، وبقي الحال كذلك حتّى نزل قوله تعالى مخاطبا رسوله الكريم ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾[3] وقوله أيضا ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[4].

2- بعد الجهر بالدّعوة مباشرة ومناداة الرسول عليه الصّلاة والسّلام بإخلاص العبوديّة لله وحده ونبذ ما يُعبد من دونه من أصنام وأوثان نابذه قومه العداء وتوالت وفود سادة قريش على بيت عمّه أبي طالب ليكفّ عنهم ابن أخيه الذي عاب آلهتهم وسفّه أحلامهم أو تسليمه لهم لقتله، أو محاولة إغرائه

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص 36–37.

[2] – ابن هشام: السيرة النّبوية، مرجع سابق، ص262.

[3] – سورة الحجر/ الآية :94.

[4] – سورة الشّعراء/ الآية: 214–215.

بالملك والمال ليترك رسالة ربّه، وكلّ ذلك والرّسول ﷺ صابر في طريق دعوته، وكذلك كان أصحابه الذين سامتهم قريش سوء العذاب.

3- تشبيه بروكلمان للقرآن الكريم بسجع الكهّان هو تشبيه باطل "وموازنة أثارها كفّار مكّة في أيّام محمّد نفسه يوم قالوا أنّه كاهن، شاعر، مجنون، كما ورد ذلك على لسانهم في القرآن الكريم. على أنّ كلّ دراسة علميّة وتاريخيّة تدلّ على خطل هذا الرّأي، لو لجأنا فقط إلى نتيجة ما انكشفت عنه الكهانة وإلى الأثر الذي تركته رسالة محمّد صلّى الله عليه وسلّم في العالم"[1].

كمَا تحدّثنا كتب السّيرة بأنّ كفّار مكّة أنفسهم كانوا متحيّرين فيما يصفون به الرّسول ﷺ، فقد اجتمعوا يوما بالوليد بن المغيرة وقد حضر الموسمُ ذلك العام لكي يجمعوا أمرهم على رأي واحد يصفون به النّبيّ محمّدا فلا يختلفوا حوله إذا سألتهم العرب عن صفته، وجرى الحوار بينهم وبين الوليد "فقالوا: نقول: كاهن، قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهّان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه، قالوا: فنقول: مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالُجه، ولا وسوسته، قالوا: فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشّعر كلّه رجزه وهزجه، وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشّعر، قالوا: فنقول ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السّحّار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إنّ لقوله لحلاوة، وإنّ أصله لعذق، وإنّ فرعه لجناة...وما انتم بقائلين من هذا شيئا إلّا عُرف أنّه باطل، وإنّ أقرب القول فيه لأنْ تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرّق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته

[1] – كارل بروكلمان: كتاب تاريخ الشّعوب الإسلاميّة، مصدر سابق، ص37 "رد لعمر فروخ على بروكلمان في هامش الصّفحة".

فتفرّقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل النّاس حين قدموا الموسم لا يمرّ بهم أحد إلّا حذّروه إيّاه وذكروا له أمره"[1].

فتخبّط بروكلمان وعدم ثباته على موقف واحد من ظاهرة الوحي للنّبي ﷺ يذكّرنا بمشركي قريش، فلا جديد في كلام هذا المستشرق.

12- استخدام القرآن للرّد على خصوم الدّعوة حسب بروكلمان:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "والواقع أنّ هذه الطّبقة لم تستشعر الخطر إلّا بعد أنْ هاجم النّبيّ الإيمان بآلهة آبائه وأجداده، ولقد اعتبرت أنّ أكثر تعاليمه كراهيّة إلى نفسها الاعتقاد بأنّ الأجساد سوف تحشر يوم القيامة. وفضلا عن ذلك فقد كره أفراد هذه الطّبقة الحاكمة أنْ يروا إلى محمّد وهو الذي ينتسب إلى بيت دون بيوتهم مقاما على رأس جماعة تشكّل على صغرها دولة ضمن الدّولة. ومن هنا كان عليه أنْ يدفع كيد خصومه في آيات تزايد عنفها مع الأيّام، حتّى لقد انتهت إلى أنْ تصبح لعنات عليهم. ولقد سمّى عمّه أبا لهب نفسه في إحداها"[2].

اتّفق الجمهور على أنّ أول ما نزل من القرآن الكريم بعد أنْ فتر الوحي مدّة عن النّبي صلى الله عليه وسلّم هو قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**... ﴾[3]، وأنّ المقصود بالرّجز هي الأوثان والأصنام التي كان يعبدها أهل الجاهلية، ولذلك فهذه الآيات دليل واضح على صدق نبوّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقد أعلنت معالم رسالته منذ البداية، وأنّه رسول من الله إلى النّاس ليفردوه بالعبادة ويتركوا ما يعبدون من دونه من أوثان لا تنفع ولا تضرّ.

أمّا قول بروكلمان بوجود طبقة حاكمة في مكّة وأنّ تلك الطّبقة كانت تعتبر محمّدا أقلّ منها نسبًا فقد أجبنا عليه سابقا وبيّنا النّسب الشّريف والمكانة المرموقة التي كانت تحتلّها أسرة النّبيّ في مكّة

[1] – ابن هشام: السيرة النّبويّة،ج1، مرجع سابق، ص270،271.

[2] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص38.

[3] – سورة المدثر/ الآيات: 1-2-3-4-5.

"ولمكانة هذا النّسب الكريم في قريش لم نجدها فيما طعنت به على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم- لاتّضاح نسبه بينهم، ولقد طعنت فيه بأشياء كثيرة مفتراة إلّا هذا الأمر"[1].

ويضيف شوقي أبو خليل قوله "فكيف يكون عمّه أبو لهب وهو من بيت محمّد صلّى الله عليه وسلم، وليس من بيت الطّبقة الحاكمة، إلى جانب تلك الطّبقة ولم يكن إلى جانب ابن بيته وابن طبقته"[2].

فكلام بروكلمان إذًا يناقض بعضه بعضًا، فمرّة نجده يردّ القرآن إلى مصادر مسيحية ويهودية، ومرّه نجده يقول بأنّ محمّدا ﷺ هو مصدر القرآن ألّفه ليدفع به كيد خصومه، ويتوعد من يعارضه بآيات منه.

13- الشّعائر الإسلامية مستمدّة من اليهود والمسيحيين والفرس حسب بروكلمان:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann " وكان واجب المؤمنين الرّئيسي الذي يعلنون بواسطته انتماءهم إلى الجماعة الجديدة، الصّلاة مرّتين أوّل الامر، ثمّ ثلاث مرّات وأخيرا خمس مرّات في اليوم الواحد"[3].

ويقول أيضًا " أمّا الشّعائر الدّينيّة الاخرى كالدّعاء إلى الله- وبخاصة في الصلوات اللّيليّة - الذي كان محمّد يمارسه في حرارة على منوال الزّهاد النّصارى، فكانت تعتبر مسائل خاصّة. ولكنّ الذي لا شكّ فيه أنّ هذه الصّلوات كان يقدّم لها بالوضوء، الذي كان مألوفا أيضا عند بعض الفرق النّصرانيّة"[4].

---

[1] - مصطفى السّباعي: السّيرة النّبويّة دروس وعبر، دط، دار بن حزم، ص31.

[2]- شوقي أبو خليل: كارل بروكلمان في الميزان، مرجع سابق، ص40-41.

[3] - كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص38.

[4]- نفسه، ص38-39.

ويضيف "وبينا كان محمّد وأصحابه يصلّون مرّتين في اليوم في مكّة، وثلاث مرّات في المدينة كاليهود،جعلت الطّقوس المتأخّرة المتأثّرة بالفرس عدد الصّلوات المفروضة في اليوم الواحد خمسا"[1].

يواصل بروكلمان تلميحاته وافتراءاته حول الشّعائر الإسلامية محاولًا ردّها إلى الدّيانات التي كانت موجودة قبل الإسلام وخاصّة اليهوديّة والنّصرانيّة، فنراه يتكلّم عن الصّلاة، والزّكاة، والدّعاء، والوضوء، ويزعم أنّ النّبيّ استمدّها من الأمم السّابقة إرضاءً لليهود والنّصارى حتّى يستميلهم إلى دينه.

وبالحديث عن الصّلاة فقد ذهب بعض العلماء المسلمين إلى أنّ الصّلاة كانت في بداية فرضها ركعتين قبل طلوع الشّمس وركعتين قبل غروبها، واستدلّوا لذلك بقوله تعالى "وسبّح بحمد ربّك بالعشيّ والإبكار"[2]، والحكمة من هذا في بداية الدّعوة هو تعويد المسلمين على هذه الشّعيرة الأساسية في الدّين، وكذلك رحمة من الله سبحانه وتعالى بعباده المسلمين الذين كانوا في بداية إسلامهم قلّة يعانون من الاضطهاد والخوف.

ثمّ بعد حادثة الإسراء والمعراج التي وقعت في الفترة المكيّة فرضت خمس صلوات في اليّوم، وكانت في بداية الأمر تصلّى ركعتين ركعتين في كلّ وقت، وزيد في عدد ركعاتها في المدينة المنوّرة على الصّورة التي نعرفها نحن اليوم، أمّا قول بروكلمان أنّها كانت ثلاث مرّات فلا دليل عليه من أحاديث النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، فلم يصلّ النّبيّ ثلاث صلوات في اليوم.

ولذلك فقد فرضت الصّلوات الخمس بأوقاتها في مكّة قبل أن يهاجر النّبيّ ﷺ إلى المدينة المنوّرة ويلتقي فيها باليهود ويتأثّر بهم حسب كلام بروكلمان، كما أثبتنا سابقًا أنّ النّبيّ كان أمّيًّا لا يقرأ ولا يكتب فلا علم له من قريب أو بعيد بطقوس النّصارى و اليهود وصلواتهم، ولا بديانات الفرس الوضعية التي

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق ، ص74.

[2] – سورة غافر/ الآية:55.

جمعت بين المجوسية و المسيحية المحرّفة، وما كان للصّحابة والتابعين رضوان الله عليهم أنْ يزيدوا في عدد ركعات الصّلاة ولا في غيرها.

أمّا الوضوء فلم يكن معروفا عند المسيحيين واليهود كما يدّعي بروكلمان، فلا علاقة للوضوء الإسلامي الذي أوجبه الله عزّ وجلّ على المسلمين قبل كلّ صلاة، وجعله شرطا أساسيا لقبولها بما هو موجود من غسل المسيحيين لأيديهم وأرجلهم، أو حتّى ما يعرف اليوم بالتّعميد عند المسيحيين.

ومن المتّفق عليه عند علماء المسلمين قديما وحديثا أنّ بعض العبادات الأساسية في الدين الإسلامي قد فرضت على أنبياء الأمم السّابقة قبل الرّسول محمد عليه الصلاة والسّلام، فقد ورد مثلا ذكر الصّلاة والزّكاة في قوله تعالى حكاية عن إسماعيل عليه السّلام ﴿**وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا**﴾[1]، وفي قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السّلام ﴿**وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**﴾[2]، كما ذكرت شعيرة الصّوم في قوله تعالى ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[3].

ولكن هذا لا يعني أنّ الأنبياء قد أخذوا عن بعضهم البعض كما يزعم بروكلمان، ولكن يعود إلى طبيعة المصدر الواحد لهذه الديانات وهو الله سبحانه وتعالى، كما أنّ الإسلام قد جاء مهيمنا ومصحّحا لما وقع من تحريف في الكتب السّابقة التي عبثت بها أيدي البشر، ولا يستطيع النّبي الكريم عليه الصّلاة والسّلام أن يداهن أو يتزلّف إلى أيّ طائفة من أجل إدخالها في الإسلام، ولو كان فاعلا ذلك لفعله في مكّة مع صناديد قومه ولاستمالهم لدينه كما يزعم بروكلمان، فلم يكن النّبيّ طالبَ دنيا بل مبلّغا لما يوحى

[1] – سورة مريم/ الآية:55.

[2] – سورة مريم/ الآية:31.

[3] – سورة البقرة/ الآية:183.

إليه من ربّه، وهو مصداق لقوله تعالى ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ**﴾[1].

فحجج بروكلمان إذا متهافتة ولا يعضّدها أيّ دليل علمي.

14- معرفة الرسّول ﷺ للكتاب المقدّس عند اليهود والنّصارى:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "وليس من شكّ أنّ معرفته بمادّة الكتاب المقدّس كانت سطحيّة إلى أبعد الحدود وحافلة بالأخطاء، وقد يكون مدينا ببعض هذه الأخطاء للأساطير اليهوديّة التي يحفل بها القصص التّلمودي، ولكنّه مدين بذلك دينًا أكبر للمعلّمين المسيحيين الذين عرّفوه بإنجيل الطّفولة، وبحديث أهل الكهف السّبعة، وحديث الإسكندر وغيرها من الموضوعات التي تتواتر في كتب العصر الوسيط.."[2].

نشأ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام أميّا لا يعرف القراءة والكتابة، لذلك لم يكن لديه ولا لمعاصريه –في تلك البيئة التي تعجّ بالأوثان– علم بكتب أهل الكتاب ولا بأساطيرهم، ولا كانت لهم رغبة في الاطّلاع عليها من الأساس، لذلك لسنا نعرف بالتّحديد عن أيّ كتاب مقدّس يتحدّث بروكلمان، أو منْ هم المعلّمون المسيحيون الذين كانوا يعلّمون الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، ولا بأيّ لغة كانوا يعلّمونه.

فلو كانت كتب اليهودية والنّصرانية شائعة ومترجمة للسان العربي في مكّة لأمكن للمتعلّمين قراءتها ولاحتجّوا على الرّسول عليه الصّلاة والسّلام بها ولأمكن لهم أن يقولوا له" إنّك تتحدّانا بمعارف مشاعة عندنا، وتزعم أنّ كتابك يعلّمنا بما لا نعلم مع أنّ ما تخبر به موجود في كتاب عربي قريب من أيدينا لنا أنْ نخبرك بما لا تعلم منه.. لكنّهم لم يفعلوا"[3].

---

[1] – سورة المائدة/ الآية:48.

[2] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص39.

[3] – سامي عامري: هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنّصارى؟، ط1، مركز رواسخ، الكويت، 2018م، ص94.

والكتاب المقدّس نفسه الذي يتحدّث عنه بروكلمان وبشهادة المتخصّصين الغربيين لم يترجم إلى العربية إلّا بعد زمن من وفاة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام فنجد مثلا أنّ "كلجور يرى أنّ أوّل ترجمة للإنجيل إلى العربيّة قد كانت في القرن الثّامن الميلادي وبعد عصر الرّسول صّلى الله عليه وسلّم والخلفاء الرّاشدين رضي الله عنهم ويتّفق نولدكه مع دي خويه على أنّه لم توجد ترجمة بالعربيّة للإنجيل لا في عهد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ولا في عهد الخلفاء الرّاشدين"[1].

ويقول **بروس متزغر** Bruce Metzger "من الرّاجح أنّ أقدم التّراجم العربيّة للكتاب المقدّس تعود إلى القرن الثّامن"[2]، كما ذكرت موسوعة الإسلام الاستشراقية ما مفاده أنّه "بإمكاننا أيضا أنْ نستنتج مع "جراف" أنّه ليس بالإمكان في مرحلتنا المعرفيّة اليوم القول إنّ محمّدا وأتباعه الأوائل كان بوسعهم انْ يحصلوا على معرفة مباشرة بالأناجيل باللغة العربيّة"[3].

لذلك فالنّبي محمّد عليه الصّلاة والسّلام لم يسمع بالكتاب المقدّس لأنّه لم يكن معرّبا أصلا في ذلك الوقت، زيادة على أنّه لا يحسن القراءة والكتابة.

15- هجرة الصّحابة رضوان الله عليهم إلى الحبشة:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "وإذْ كان لا يعتبر في ذلك الوقت أنّ دينه يختلف اختلافًا كبيرًا عن النّصرانيّة فقد وجّه أتباعه إلى أراضي النّجاشيّ، أقرب ممثّل سياسي للنّصرانيّة يمكن أنْ يحتمي به .وكان لمواطني محمّد الوثنيين علاقات ببلاد العرب الجنوبيّة الخاضعة آنذاك لسلطان الإمبراطوريّة الفارسيّة، ولكنّ فارس كانت عدوّا قديمًا للدّول المسيحيّة .و كان مواطنو محمّد المكّيون قد تلقّوا نبأ انتصار الفرس على البيزنطيين في سوريّة سنة 614 بالبشر والابتهاج في حين أنذر هو الفرس

[1] – أبو عثمان الجاحظ: المختار في الرّد على النّصارى، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، ط1، دار الجبل، بيروت،1991م، ص44.

[2] – سامي عامري: هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنّصارى؟، مرجع السّابق، ص100.

[3] – نفسه، ص124-125.

في السّورة الثّلاثين من القرآن بأنّهم سيغلبون في بضع سنين، ومن هنا لم يخطئ النّبيّ الحساب عندما افترض أنّ النّجاشيّ سينزل في حماه أتباعه الهاربين من اضطهاد الوثنيين"[1].

يواصل بروكلمان أباطيله في حديثه عن هجرة المسلمين إلى أرض الحبشة، زاعمًا أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلم إنّما وجّه أتباعه إلى الحبشة لأنّه لم يكن يرى خلافا جوهريّا بين الإسلام والمسيحيّة من جهة، ولأنّه وقف في صفّ المسيحيين في حربهم وبشّر في القرآن بهزيمة أعدائهم من جهة أخرى.

والحقيقة أنّ هجرة الحبشة كانت أمرا مفروضا على المسلمين، وذلك أنّ البلاء قد اشتدّ على أصحاب الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، ولم يجد وسيلة يدافع بها عنهم، فقال لهم "لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإنّ بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدْق حتّى يجعل الله لكم فرجًا ممّا أنْتم فيه"[2].

وظاهر من النّص الذي أورده ابن هشام في سيرته أنّ اختيار الرّسول صلّى الله عليه وسلّم للحبشة كان بسبب ما سمعه وعلمه عن عدل ملكها، فكان "لابدّ من أرض تتوافر فيها الحرّية، وتكون بعيدة عن سطوة مكّة ومن فيها من قريش، ولهم مكانة في القبائل، وتكون تحت سلطان حاكم فيه طيبة لا يؤذي ولا يمكّن أحدا من الإيذاء. حتّى يكونوا في بعد عن الاضطهاد واحتماله "[3].

ولهذا فادّعاء بروكلمان أنّ سبب الهجرة هو أنّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام لم يكن يرى فرقا كبيرا بين الإسلام والنّصرانية، هو ادّعاء باطل لا دليل عليه، فالفرق بين الدّيانتين واضح لكلّ ذي عينين، ولعلّ أول هذه الفروق هو الاختلاف في أصل العقيدة ألا وهو التّوحيد، فقد أصاب التّحريف كلّ الدّيانات السّماويّة التي كانت قبل الإسلام، ولهذا كان لابد من نبيّ جديد يأخذّ بيد البشريّة إلى برّ الأمان ويهديها إلى جادّة الصّواب.

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص40.

[2] – ابن هشام: السيرة النّبويّة،ج1، مرجع سابق، ص321.

[3] – محمّد أبو زهرة: خاتم النبيين، مرجع سابق، ص489.

أمّا افتراض بروكلمان أنّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام كان يتوقّع موافقة ملك الحبشة على استقبال المسلمين بسبب أنّهم كانوا يناصرون المسيحيين في حربهم ضدّ الفرس، وبسبب أنّ القرآن الكريم قد راهن على غلبة الرّوم للفرس بعد عدّة سنين فهو افتراض في غاية السّخافة، فقد كان من الطبيعي أن يتعاطف المسلمون مع النّصارى لأنّهم أهل كتاب مثلهم، وكذا لم يكن من المستغرب أيضا أنْ تناصر قريش الفرس لأنّهم كانوا وثنيين مثلهم.

كما أنّ قريشا لم تدع المسلمين المستضعفين وشأنَهم في الحبشة وراهنت على علاقاتها وصلتها الوثيقة بأرض الحبشة فأرسلت في إثرهم رجلين من فتيان مكّة هما عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص، وقد حاولا بشتّى الوسائل إقناع ملك الحبشة بإرجاعهم معهما، ولكنّ محاولاتهما باءت بالفشل، وصدق كلام رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن عدل ملك الحبشة، وعندئذ فقط طاب للمسلمين المقام بالحبشة، فلم يفارقوها حتّى لحقوا بالرّسول صلّى الله عليه وسلّم بعد هجرته إلى المدينة المنوّرة.

16- أبو لهب يحمي الرّسول ﷺ !

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "وكان على أبي لهب أنْ يحلّ محلّ أخيه أبي طالب في حماية النّبيّ على الرّغم من خصومته له، وعلى الرّغم من أنّ النّبيّ لعنهُ في إحدى السّور، لأنّ رئاسة البيت الهاشمي كانت قد آلت إلى أبي لهب بعد وفاة أبي طالب فهو مكلّف بحماية ابن أخيه. بحكم الشّرف والقرابة، ومهما يكن من شيء فقد كان من غير الطبيعي أنْ تدوم هذه الصّلة زمنًا طويلاً"[1].

كانت وفاة خديجة رضي الله عنها وأبي طالب في العام العاشر من بعثته عليه الصّلاة والسّلام، وقد سمّي ذلك العام بعام الحزن، نظرا لما خلّفته وفاتهما من فراغ وأثر في حياة الرّسول الكريم عليه الصّلاة والسلام ودعوته، فقد تولّى أبو طالب رعايته منذ وفاة جدّه وكان نعم السّند لدعوته، نظرا لما يتمتّع به من هيبة وعلو شأنٍ في مكّة، فقد آثر مقاطعة قومه وتحمّل حصارهم له ولبني هاشم وبني عبد

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشّعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص41.

المطّلب على أن يسلم لهم النّبيّ ﷺ، ولذلك حزن النّبيّ على وفاة عمّه، كما حزن لوفاة زوجته خديجة فقد كانت أوّل من صدّقه وآمن برسالته، ووقفت إلى جانبه في أصعب فترات الدّعوة.

أمّا كلام بروكلمان عن تغيّر موقف أبي لهب فجأة من النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام وقيامه بحمايته بحكم القرابة والشّرف فهي مجرّد رواية واهية نقلها ابن سعد في طبقاته يقول فيها "أخبرنا محمّد بن عمر عن محمّد بن صالح بن دينار وعبد الرّحمان بن عبد العزيز والمنذر بن عبد الله عن بعض أصحابه عن حكيم بن حزام قال: وحدّثنا محمّد بن عبد الله عن أبيه عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير قالوا: لمّا توفي أبو طالب وخديجة بنت خويلد، وكان بينهما شهر وخمسة أيّام، اجتمعت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مصيبتان فلزم بيته وأقلّ الخروج، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع به فبلغ ذلك أبا لهب فجاءه فقال: يا محمّد امض لما أردت وما كنت صانعًا إذ كان أبو طالب حيّا فاصنعه، لا واللات لا يوصل إليك حتّى أموت..."[1].

وقد نقل ابن سعد بعدها بقليل رواية مناقضة لها، تثبت أذية أبي جهل لرسّول الله صلى الله عليه وسلّم حيث يقول "أقام رسول الله ص بمكّة ثلاث سنين من أوّل نبوّته مستخفيًّا، ثمّ أعلن في الرّابعة فدعا النّاس إلى الإسلام عشر سنين، يوافي المواسم كلّ عام يتبع الحاجّ في منازلهم في المواسم بعكاظ ومجنّة وذي المجاز يدعوهم إلى أنْ يمنعوه حتّى يبلّغ رسالات ربّه ولهم الجنّة، فلا يجد أحدًا ينصره ولا يجيبه، حتّى إنّه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول: يا أيّها النّاس قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتذلُّ لكم العجم وإذا آمنتم كنتم ملوكا في الجنّة، وأبو لهب وراءه يقول: لا تطيعوه فإنّه صابئ كاذب، فيردّون على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أقبح الرّدّ، ويؤذونه ويقولون، أسرتك وعشيرتك أعلم

[1] – محمد ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ص 179–180.

بكَ حيث لم يتّبعوك"[1]، وقد ذكرت الرّوايتين على طولهما لكي أبيّن الانتقائية التي يعتمد عليها بروكلمان وغيره من المستشرقين فهم لا يعتمدون إلّا على الرّوايات التي توافق أهواءهم.

فموقف أبي لهب كان واضحا منذ البداية فقد أعلن تكذيبه للرّسول ﷺ منذ أنْ صدع بالدّعوة، وأمر ولديه بتطليق ابنتي النّبيّ ﷺ، وكان هو وزوجته يسيئان جواره ويؤذيانه حتّى نزلت فيهما سورة المسد، وهي كما ذكر أهل العلم "معجزة ظاهرة ودليل واضح على النّبوّة، فإنّه منذ نزل قوله تعالى "سيصلى نارا ذات لهب. وامرأته حمّالة الحطب. في جيدها حبل من مسد" فأخبر عنهما بالشّقاء وعدم الإيمان، لم يقيّض لهما أنْ يؤمنا، ولا واحد منهما لا ظاهرا ولا باطنا، لا مُسرّا ولا مُعلنًا، فكان هذا من أقوى الأدلّة الباهرة على النّبوّة الظّاهرة"[2].

كما آثر أيضا فراق قومه وعشيرته وانضّم إلى قريش في حصارها لبني هاشم وبني عبد المطّلب في شعب أبي طالب، ولذلك فمن غير الممكن لمن كان هذا حاله أنْ ينقلب رأسا على عقب ويحلّ محلّ أبي طالب في حماية النّبي صلّى الله عليه وسلّم والمسلمين، ولو كان الأمر كما زعم بروكلمان لما خرج النّبي عليه الصّلاة والسّلام إلى الطّائف يطلب العون بعدما ضاقت عليه مكّة بما رحبت، ولما اضطرّ أنْ يدخل في جوار المطعم بن عدي بعدما قفل راجعا إلى مكّة بعدما أغرى به أهل الطائف سفهاءهم وصبيانهم وطردوه من بلادهم.

17- لقاء وفد الخزرج وفرض أركان الإسلام:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "ورجع الخزرجيّون السّتّة الذين التقاهم محمّد في موسم الحجّ من سنة 620 إلى ديارهم و أنشأوا يبثّون الدّعوة للدّين الجديد، يساعدهم في ذلك أحد

[1] – – محمد ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، مرجع سابق، ص184.

[2] – اسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمّد السّلامة،دط، دار طيبة للنّشر والتّوزيع، دت، ج8، ص517.

المسلمين الذين سبق لهم أنْ هاجروا إلى الحبشة. حتّى إذا حال الحول رجع خمسة منهم إلى مكّة وفي صحبتهم سبعة من المؤمنين الجدد، فاجتمعوا بمحمّد في العقبة وهي مجاز بين منى ومكّة، وهناك فرض عليهم أركان الإسلام، ثمّ وجّههم إلى المدينة مرّة ثانيّة، بعد أن أرسل معهم مقرئا يجيد تلاوة القرآن"[1].

كان الرّسول ﷺ رغم التّضييق عليه من قريش يعرض نفسه على قبائل العرب في المواسم، مبلّغًا رسالة ربّه وداعيّا إلى عبادة إله واحد، وخلع ما يُعبد من دونه من أوثان وأصنام لا تضرّ ولا تنفع، فكان "كلّما اجتمع له النّاس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله، وإلى الإسلام ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرّحمة، وهو لا يسمع بقادم يقدم مكّة من العرب، له اسم وشرف إلّا تصدّى له فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده"[2].

ولكنّه لم يكن يجد من هؤلاء إلّا ما وجده من قومه من صدود واستهزاء، فقد كانت لهاته القبائل علاقات ومصالح مشتركة مع قريش، فلم تشأ خسارتها، من أجل دعوة مجهولة العواقب، تعرّضها لفقدان امتيازاتها مع قريش، وبقي ذلك دأبه ﷺ حتّى هيّأ الله سبحانه وتعالى لقاءه بجماعة من الخزرج، فجلسوا مع الرّسول ﷺ ، وسمعوا منه، فأعجبهم ما يدعو إليه وصدّقوا برسالته، وكان ممّا ساعد على تقبّلهم للأمر معرفتهم-وإنْ كانوا وثنيين- بأمر الأنبياء قبله فقد كانوا يساكنون اليهود في المدينة، وكان اليهود أهل كتاب، فكانوا كثيرا ما يخبرونهم عن نبيّ يظهر آخر الزّمان يتّبعونه، ويقاتلون معه القبائل العربيّة التي عزّتهم وظلمتهم في بلادهم.

وهناك أمر آخر وهي الحروب التي كانت تنشب بين الأوس والخزرج، وآخرها يوم بعاث، فقد كان العقلاء يتمنّون نهاية الحرب، وتمنّى هؤلاء الخزرجيّون أنْ يجمعهم الله سبحانه وتعالى بالرّسول ﷺ، وقد ذكر ابن هشام أنّهم قالوا" إنّا قد تركنا قومنا، ولا قومَ بينهم من العداوة والشّرّ ما بينهم، فعسى أنْ يجمعهم

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، 43-44.

[2] – ابن هشام: السيرة النّبوية، ج1، مرجع سابق، ص425.

الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، وتعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدّين، فإنْ يجمعهم الله عليه فلا رجلٌ أعزُّ منك"[1].

وفي الموسم الموالي التقوا بالرّسول ﷺ في العقبة، وقد كانوا اثني عشر رجلاً، وسمّيت البيعة ببيعة العقبة الأولى، وكذا ببيعة النّساء، وقد روي عن عبادة بن الصّامت قوله "بايعنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليلة العقبة الأولى على أنْ لا نشرك بالله شيئا، ولا نسرق ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإنْ وفيتم فلكم الجنّة وإنْ غشيتم من ذلك شيئا فأخذتم بحدّه في الدّنيا، فهو كفّارة له، وإنْ سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله عزّ وجلّ إنْ شاء، عذّب وإنْ شاء غفر"[2].

أما قول بروكلمان أنّ النّبيّ قد فرض عليهم يومها أركان الإسلام فهو وهم وكلام يجانب الصّواب فأغلب أركان الإسلام لم تكن قد فرضت بعد.

18- الإسراء والمعراج في نظر بروكلمان:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "وفي هذه الأثناء كان مسلمو مكّة على ما تقول الرّوايات يعانون أزمة جديدة، ذلك أنّ حديث محمّد عن إسرائه العجيب برفقة جبريل إلى بيت المقدس، ومن ثمّ إلى السّماء، كان قد أوقع موجة من الشّكّ في نفوس بعض المؤمنين، ولكنّ أبا بكر ضرب بإيمانه الرّاسخ مثلا طيّبا لهؤلاء المتشكّكين فزايلتهم الرّيب والظّنون، ومن الجائز أنْ تكون هذه الرّحلة السّماوية التي كثيرا ما أشير إليها بعد في الأساطير الشّعريّة التي خلّفتها لنا الكتب الإسلاميّة جميعها أقدم من ذلك عهدا، ولعلّها ترجع للأيّام الأولى للبعثة النّبويّة، وأمثال هذه الرّؤى في أثناء تهجّد العرّاف معروفة ثابتة لدى بعض الشّعوب البدائيّة"[3].

---

[1] – ابن هشام: السيرة النّبوية، ج1، مرجع سابق، ص429.

[2] – نفسه، ص434.

[3] – كارل بروكلمان: تاريخ الشّعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص44.

من الواضح إنكار بروكلمان لحادثة الإسراء والمعراج جملة وتفصيلا، وذلك من خلال تهكّمه على هذا الإسراء العجيب حسب زعمه، وكذا تشكيكه في تاريخ وقوع تلك الحادثة، وتجاهل كلّ المصادر التي أثبتتها، وفي مقدّمتها القرآن الكريم، وكتب الحديث وكتب السّير.

وردّا على بروكلمان فقد وقعت معجزة الإسراء والمعراج بعد العام العاشر من بعثة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وقد رويت بعدّة روايات مع زيادات في بعضها، وملخّصها أنّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام كانَ نائما حتّى أتاه الملك جبريل فأيقظه، ثمّ ركب النّبيّ على البُراقِ، وانطلق مع الملك إلى بيت المقدس وهناك دخل المسجد فوجد فيه نفرا من الأنبياء فصلّى بهم، ثمّ أُتي إليه بإناءين أحدهما فيه الخمر والآخر فيه اللّبن، فاختار عليه الصّلاة والسّلام اللّبن، ثمّ عُرّج به إلى السّموات العلا، واحدة تلو الأخرى، حتّى وصل لموضع لم يصل إليه شخص قبله ولا بعده، وهناك فرضت الصّلاة على النّبي عليه الصّلاة والسّلام، ثمّ أُعيد إلى مكّة.

وقد مالت طائفة من أهل العلم إلى أنّ هذه المعجزة قد كانت بالرّوح فقط، فهي رؤيا حقّ رآها النّبيّ، أما جسده الشّريف عليه الصّلاة والسّلام فلم يفارق فراشه، في حين ذهبت طائفة أخرى–وهي الغالبيّة–إلى أنّ الإسراء والمعراج قد كان بالرّوح والجسد معًا، و"هذا هو الحقّ، وهو قول ابن عبّاس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبي هريرة ومالك بن صعصعة وأبي حبّة البدريّ، وابن مسعود والضّحّاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيّب وابن شهاب وابن زيد والحسن وإبراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليلُ قول عائشة وهو قول الطّبريّ وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين، وهو قولُ أكثر المتأخّرين من الفقهاء والمحدّثين والمتكلّمين والمفسّرين"[1].

ويؤيّد هذا الاتّجاه ما جاء في الرّوايات التي روت هذه الحادثة، فقد أجمعت على أنّ الرّسول صّلى الله عليه وسلّم قد أخبر قريشا بأنّه قد أسري به إلى بيت المقدس، وأنّهم قد كذّبوه وسخروا منه، كما

[1] – القاضي عياض: الشّفا بتعريف حقوق المصطفى،ج2، مرجع سابق، ص188.

ارتدّ بعض الذين آمنت ألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، ومن المعلوم أنّ هذا لم يكن ليحصل لو أنّ هذه الحادثة كانت مجرّد رؤيا، فلم يكونوا لينكروا عليه ذلك، فقد يرون هم أيضا بيت المقدس في منامهم، وإنْ كانوا مشركين، وإنّما كان إنكارهم أنْ يكون الإسراء بالجسد والرّوح معا كما أخبرهم الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، ولذلك لم يتردّدوا للحظة في تكذيبه والاستهزاء به، وذلك أنّهم تعلّموا من رحلاتهم التّجاريّة أنّ الوصول إلى تلك البقاع والرجوع منها يتطلّب شهرين أو أكثر.

وخلاصة القول حول هذه المسألة أنّها قد وقعت في زمن متأخر من بعثة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في مكّة، وليس كما زعم كلام بروكلمان أنّها في بدايتها، ودليل ذلك هو الرّوايات نفسها التي تثبت ذلك التّحدي الذي وقع بين قريش والرسّول عليه الصّلاة والسّلام في وصف بيت المقدس كما بيّنّا آنفا.

كما أنّ هذه الحادثة قد وقعت بالرّوح والجسد وقد أثبتها القرآن الكريم و جميع الكتب المعتمدة في تراثنا الإسلامي، وليست مجرّد خرافة وردت في الأساطير الشّعرية كما زعم بروكلمان.

19- الهجرة إلى المدينة المنورة:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "أمّا النّبيّ نفسه وأبو بكر فلم يلحق بهم حتّى الخريف، إذا كان عليه أنْ يسوّي بعض شؤون اتباعه التّجاريّة...ولم يلبث النّبيّ أنْ أنشأ منزلاً له خاصّا، وكانَ يتألّف كمنازل أتباعه الجدد المدنيين من عدد من الغرف، بعضها للشّؤون المعاشيّة وبعضها للأعمال، في وسط فناء تحيط به جدران من اللّبن، وإنّما شيّدت الغرف من سعف النّخل، وسقفت بالخوص المغطّى بطبقة من الكلس، ثمّ أضيف إلى مساكن النّبيّ فيما بعد خباء ذو أثاث فخم قد فرشت أرضه بالبسط، لاستقبال وفود القبائل استقبالا لائقًا، ولقد ظلّ هذا الخباء طوال حياة النّبيّ الفناء الذي يجتمع فيه المؤمنون لأداء الصّلوات اليوميّة"[1].

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص45.

قبل الحديث عن حياة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام في المدينة لا بد من الإشارة أوّلاً إلى تجاهل بروكلمان للحديث عن الظروف والمخاطر التي صاحبت هجرة النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام إلى المدينة، فلم يخبرنا عن الأوضاع في مكّة وأنّها قد بلغت درجة كبيرة من الاحتقان والتّعقيد، فقد ذُهلت قريش عندما علمت بهجرة أصحاب النّبيّ ﷺ إلى المدينة.

كما لم يخبرنا عن اجتماع زعماء قريش في دار ندوتهم لحبك خطّة شيطانيّة يقتلون بها النّبيّ ﷺ وكذا تفويت الفرصة على عشيرته في المطالبة بدمه، كما لم يحدّثنا أيضا عن فشل خطّة قريش، وعن المكافأة التي رصدتها للقبض على النّبي وأبي بكر، ولا عن قصّة سراقة بن مالك وسعيه خلفهما، ولا عن غار حراء، ومكوث النّبيّ وأبي بكر به لثلاثة أيّام، وإنّما غاية ما أخبرنا به بروكلمان هو أنّ النّبيّ قد بقي في مكّة من أجل تسوية بعض الشّؤون التّجارية لأتباعه.

والحقيقة التي نؤمن بها نحن ونركن إليها هي التي وردت في الكتب المعتمدة في تراثنا الإسلامي، والتي نقلت إلينا أدقّ التفاصيل عن حياة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام ودعوته، وقد اتفق الأجلّاء من علمائنا على أنّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام كان ينتظر الإذنَ من ربّه للهجرة، وعندما تلقّى أمْر ربّه أعلم أبا بكر لتجهيز الرّاحلتين وانطلقا تحوطهما الرّعاية الإلهيّة، وانطلقت قريش في إثرهما، ولكنّ الله جلّ وعلا حفظ رسوله الكريم كما وعده في قوله تعالى ﴿**وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[1].

وقد ترك النّبيّ عليا رضي الله عنه في مكانه، وذلك ليؤدّي بعض الأمانات إلى أصحابها، ولذلك فالهجرة إلى المدينة كانت نتيجة حتمية لذلك التضييق الذي مارسته قريش على الدّعوة الإسلاميّة في مكّة وقد كان من الممكن " أنْ تكون هذه الهجرة إلى الطّائف أو إلى ديار أيّ قبيلة عربيّة قويّة الجانب عزيزة

[1] – سورة المائدة/ الآية:67.

المنال، سواء كانت بلادها في الشّرق أم في الغرب.. لكن أيًّا من هذه القبائل(بنو كندة، بنو صعصعة، بنو عامر بن حنيفة...الخ) لم تمدّ يدها مبايعة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ومرحّبة بهجرته إلى أرضها وديارها.. فقد أعمت الوثنيّة الجاهليّة قلوبهم وأبصارهم عن الشّرف الذي كان من الممكن أنْ يحظوا به لو قالوا للرّسول: بايعنا.. ونصرْنا"[1].

وبالانتقال إلى حياة النّبيّ عليه الصّلاة والسلام في المدينة فقد حاول بروكلمان تصوير النّبيّ على أنّه أصبح من رجال الطّبقة الأرستقراطيّة من خلال حديثه عن عدد الغرف والخباء والأثاث الفخم الفاخر، ولو درس القرآن الكريم وسيرة النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام من مصادرها الأصليّة لتجلّى له عزوف النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، وصحابته الكرام عن هذه الدّنيا، وزهدهم فيها، وإقبالهم على الآخرة، وذلك امتثالاً لقوله تعالى ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ [2].

كما نزل قوله تعالى في حقّ زوجات النّبيّ عندما طالبن بزيادة النّفقة ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[3]، ولذلك أيضًا رفض النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام كل الامتيازات التي عرضتها عليه قريش قبل ذلك، وهو ما يبيّن خطأ بروكلمان.

[1] – عماد الدين خليل: دراسة في السّيرة، ط13، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1991م، ص130.

[2] – سورة الحديد/ الآية:20.

[3] – سورة الأحزاب/ الآية:27-28.

20- أهل الصّفة كانوا حرّاسًا للنّبي وعاملا مساعدا لتعزيز نفوذه:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "وكان اعتماد محمّد الرئيسي، في موطنه الجديد على مواطنيه الذين هاجروا معه من مكّة. وفي حين أنّ المكّيين ذوي اليسار انتشروا في أحياء البلدة فقد ظلّ عدد كبير من المهاجرين المعوزّين الذين لا مال لهم ولا بيوت عندهم في جوار النّبيّ، فكانوا يبيتون في الصّفّة، وهي موضع مضلّل في فناء المسجد، ولقد كان أهل الصّفّة هؤلاء يشكّلون حرس الرّسول، كما كانوا عاملاً مساعدا جدّا على تعزيز نفوذه بينَ أتباعه ومواطنيه الجدد"[1].

يواصل بروكلمان بكلامه هذا افتراءاته وشطحاته في تأويل أحداث السّيرة النّبويّة، وتحليلها وفق ما يوافق خياله وهواه، فقد زعمَ هنا أنّ الرّسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة قد اعتمد بشكل رئيسي على مواطنيه المكّيين، وتجاهل أهل المدينة وسراتها، ولكنّ بروكلمان ككلّ مرّة لم يقدّم لنا دليلا واحدا يؤيّد به زعمه، كما لم يبيّن لنا ماهية هاته الأعمال التي اعتمد فيها الرّسول على المهاجرين دون الأنصار، ولا يدلّ هذا حسب رأينا إلّا على أنّ بروكلمان لم يعطِ العناية الكافيّة للموضوع الذي أقحم نفسه فيه، أو أنّه على الأرجح يعرف الحقيقة كغيره من المستشرقين ولكنّهم يلجؤون إلى التّلفيق والتّزوير حسدًا من عند أنفسهم، وطمعًا في نيل رضا الجهات الدّينيّة في أوربا.

ولذلك فالأعمال التي قام بها الرّسول ﷺ عند وصوله إلى المدينة معروفة للعامّ والخاص، فقد نزل عليه الصّلاة والسّلام عند وصوله إليها على بيت أبي أيوب الأنصاري، كما تفرّق أصحابه من المهاجرين على بيوت الأنصار.

ثمّ إنّ النّبيّ ﷺ قد أمر ببناء المسجد، وقد كان في السّابق مِرْبدًا لغلامين يتيمين تحت كفالة أسعد بن زرارة، فتعاون المسلمون جميعا في بنائه، ثمّ آخى النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام بين المهاجرين

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص45.

والأنصار، وقضى تدريجيّا على العصبيات القبليّة التي كانت شائعة في الجاهليّة، وهو أمر ما كان ليتمّ لولا عناية الله عزّ وجلّ وتوفيقه وذلك مصداقا لقوله جلّ شأنه ﴿ **لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[1]، ثمّ بعد ذلك "كتب الرّسول صلّى الله عليه وسلّم كتابًا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهودًا وعاهدهم، وأقرّهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم"[2].

أمّا أهل الصّفّة الذين تحدّث عنهم بروكلمان فقد كانوا من فقراء المهاجرين، أو من الذين دخلوا في الإسلام حديثا، وفضّلوا اللحاق برسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المدينة، ونظرا لأنّهم لم يجدوا مكانًا يلجؤون إليه فقد جعل لهم النّبيّ مكانًا مظلّلا في آخر المسجد، وكان النّبيّ يرسل إليهم ما يبعثه إليه أصحابه من طعام، "أمّا جملة من أوى إلى الصّفّة مع تفرّقهم، فقد قيل: كانوا نحو أربعمائة من الصّحابة، وقد قيل: كانوا أكثر من ذلك، ولم يُعرف كلّ واحد منهم"[3].

ولذلك فإنّ عددهم لم يكن مضبوطا في كلّ يوم، فقد كانوا يزيدون وينقصون، وكان من هؤلاء الصّحابيّ الجليل أبو هريرة رضي الله عنه، أما قول بروكلمان أنّ أهل الصّفّة قد شكّلوا حرسا للرّسول وأداة لتعزيز نفوذه بين مواطنيه الجدد فهو محض افتراء لا يقوم عليه أي دليل، وهو ينمّ عن جهل فاضح لعقلية العربيّ في ذلك الزّمان، ولو سلك الرّسول عليه الصّلاة والسّلام معهم ذلك السّبيل لما اتّبعه أحد منهم، وكيف يسلكه عليه الصّلاة والسّلام والله سبحانه وتعالى يعلّمه في كتابه الكريم بقوله ﴿**وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾[4].

---

[1] – سورة الأنفال/ الآية:63.

[2] – السّهيلي: الرّوض الأنف في تفسير السّيرة النّبويّة لابن هشام، دط، دار الكتب العلميّة، بيروت، ج2، ص346.

[3] – ابن تيمية: أهل الصّفّة وأحوالهم، تح مجدي فتحي السّيّد، ط1، دار الصّحابة للتراث، طنطا، 1990م، ص21.

[4] – سورة آل عمران/ الآية: 159.

فالمتتبّع لسيرة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام من مكّة إلى المدينة يدرك مدى مكانته بين أصحابه، فقد ترك صحابته رضوان الله عليهم أموالهم وأهليهم في مكّة وهاجروا فرارًا بدينهم إلى الحبشة ثمّ إلى المدينة، كما ضرب الأنصار رضي الله عنهم أروع الأمثلة في الإيثار والتّضحية، وقد نزل القرآن الكريم في عدّة مواضع مشيدا بالمهاجرين والأنصار، وبخيريّة أمّة النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام.

ولذلك فقد كان المشركون يقفون مذهولين أمام ما يرونه من شدّة حبّ الصّحابة لرسّول الله عليه الصّلاة والسّلام، ولذلك أيضا فالنّبيّ لم يكن بحاجة لأنّ يتّخذ حرسًا لحمايته، فقد كان يصرُّ دائمًا على أنّه بشر مثلهم يأكل كما يأكلون ويشرب كما يشربون، ويرفض أيّ تقديس له كما فعلت اليهود والنّصارى مع أنبيائهم، وليس بعد الهداية وفتح أقفال القلوب من فتح.

21- تكييف الشّعائر الإسلامية من طرف النّبيّ لاستمالة اليهود:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "وتأثّرت اتجاهات النّبيّ الدّينيّة، في الأيّام الأولى من مقامه في المدينة بالصّلة التي كانت بينه وبينَ اليهود، وأغلب الظّنّ أنّه كان يرجو عقب وصوله إلى المدينة أنْ يدخل اليهود في دينه، وهكذا حاول أنْ يكسبهم من طريق تكييف شعائر الإسلام بحيث تتّفق وشعائرهم في بعض المناحي، فشرع صوم العاشوراء، وهو اليوم العاشر من المحرّم، على غرار الصّوم اليهوديّ في يوم الكفّارة الذي يقع عندهم في العاشر من شهر تشري. وبينما كان المؤمنون في مكّة لا يصلّون إلّا مرّتين في اليوم، أدخل في المدينة على غرار اليهوديّة أيضا صلاة ثالثة عند الظّهر"[1].

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص46-47.

ويضيف في موضع آخر "جعلت الظّروف المتأخّرة المتأثّرة بالفرس عدد الصّلوات المفروضة في اليوم الواحد خمسًا، الأولى قبل الفجر، والثّانية عند الظّهر، والثّالثة من الأصيل حتّى غروب الشّمس، والرّابعة عند المغرب، والخامسة في العشاء"[1].

بعث الله النّبيّ محمّدًا عليه الصّلاة والسّلام لكافة النّاس، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين، وذلك مصداقا لقوله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[2]، فمن الطبيعي أنْ يكون الأنبياء حريصين على هداية أقوامهم، وذلك لأنّهم يعلمون أكثر من غيرهم ما أعدّه الله عزّ وجلّ يوم القيامة للمؤمنين الموحّدين من النّعيم المقيم، وللمشركين العصاة من العذاب و الجحيم.

وإذا كان النّبيّ يرجو أنْ يدخل اليهود والنّصارى في دين الله فذلك كان خوفًا عليهم من عذاب الله سبحانه وتعالى، فقد كانوا أهل كتاب، وكانوا على علم بظهور نبيّ في ذلك الزّمان، ولذلك فقد كان من المفترض أنّهم أقرب إلى الإيمان من غيرهم.

أمّا ترديد المستشرقين ومن بينهم بروكلمان لقضيّة أنّ النّبيّ قد حاول بادئ الأمر استمالة اليهود إلى دينه من خلال تكييف شعائر الإسلام لتتوافق مع شعائرهم فهو كلام عار عن الصّحّة، فالرّسول عليه الصّلاة والسّلام مأمور أنْ يبلّغ رسالة ربّه مثلما أنزلتْ كما قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[3]، وقوله

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق ، ص74.

[2] – سورة سبأ/ الآية :28.

[3] – سورة المائدة/ الآية:67.

أيضًا ﴿ **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** ﴾[1]، فالقرآن الكريم واضح في أنّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام ليس له من الأمر شيء إلّا البلاغ.

أمّا بخصوص صوم يوم عاشوراء فقد ورد في صحيح البخاريّ عن عائشة رضي الله عنها قولها "كانوا يصومون عاشوراء قبل أنْ يفرض رمضان، وكان يومًا تُستر فيه الكعبة، فلمّا فرض الله رمضان قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: من شاء أنْ يصومه فليصمه، ومن شاء أنْ يتركه فليتركه"[2]، وقولها أيضا "أنّ قريشًا كانت تصوم يوم عاشوراءَ في الجاهليّة ثمّ أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بصيامه حتّى فرض رمضانُ، وقال رسول الله صلّى الله عليّه وسلّم: من شاء فليصمه ومن شاء أفطره"[3].

فالحديثان يبيّنان أنّ صوم يوم عاشوراء كانَ معروفًا قبل هجرة النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام إلى المدينة وبذلك تنتفي شبهة أخذ النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام عن أهل الكتاب.

أمّا الصّلاة في صورتها الحاليّة فقد فرضت ليلة الإسراء والمعراج كما ذكرْنا آنِفًا، وليس لها علاقة بصلاة اليهود لا من قريب ولا من بعيد، ولكنّها كانت تصلّى في مكّة ركعتين في كلّ وقت، وبعد أنْ هاجر الرّسول عليه الصّلاة والسّلام إلى المدينة بقيت صّلاة المسافر ركعتين، وأصبحت صلاة الحضر رباعيّة كما هي اليوم، وهذا ما يفسّر حديث عائشة في البخاري "حدّثنا عبد الله بن يوسف قال: أخبرنا مالك عن صالح بن كيسان عن عروة بن الزّبير عن عائشة أمّ المؤمنين قالت: فرض الله الصّلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسّفر، فأقرّت صلاة السّفر وزيد في صلاة الحضر"[4].

---

[1] – سورة النور/ الآية:54.

[2] – محمد ابن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ط1، دار ابن كثير، دمشق،1423هـ/ 2002م، ص 387، رقم الحديث"1592".

[3] – نفسه، ص456، رقم الحديث"1893".

[4] – نفسه، ص99، رقم الحديث"350".

ولذلك فلا يقدّم بروكلمان دليلا ملموسًا على تأثير اليهود في الشّعائر الإسلامية إلّا تحيّزه لليهود وحقده على الإسلام ورسوله الكريم، كما أنّه لا يقول عاقل بتأثير الفرس في الأزمنة المتأخرة على الصلاة عند المسلمين.

22- شعيرة الآذان ويوم الجمعة عند بروكلمان:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "وإذْ كانَ في وسعه ووسع أتباعه أنْ يقيموا الصّلوات منذُ عهده بالمدينة جهارًا ومن غير إزعاج فقد عيّن مناديا للصّلاة يعرف بالمؤذّن، وليس من شكّ أنّه قد بدأ بذلك معارضته لكلّ من الدّيانتين الموحّدتين، فبينا كان النّفخ في الأبواق هو وسيلة الدّعوة إلى الصّلاة في كنس اليهود الشّرقيّة كان النّصارى يصطنعون النّواقيس الخشبيّة بدلا من أجراس الكنيسة، أمّا محمّد فقد وقع اختياره على الصّوت البشري لدعوة أتباعه إلى الصّلاة، كذلك جعل يوم الجمعة يوم صلاة عامّة على غرار السّبت اليهودي، ولكنّه خالف اليهود حين سمح للمؤمنين بأنْ ينصرفوا في ذلك النّهار إلى شؤونهم الدّنيويّة، قبل أداء الصّلاة وبعدها"[1].

لمّا استقرّ المسلمون بالمدينة رفقة النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، كانُوا يتحيّنون أوقات الصّلوات، وذلك لأنّه لم تشرّع لهم وسيلة لإعلامهم بوقتها، فكانوا يتكلّمون فيما بينهم عن طريقة اليهود والنّصارى في النّداء لصلاتهم، وقد روى البخاري في صحيحه "حدّثنا محمود بن غيلان قال: حدّثنا عبد الرّزّاق قال: أخبرنا ابن جريج قال: أخبرني نافع أنّ ابن عمر كان يقول "كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون، فيتحيّنون الصّلاة ليس ينادى لها، فتكلّموا يومًا في ذلك، فقال بعضهم اتّخذوا ناقوسًا مثل ناقوس النّصارى، وقال بعضهم: بل بوقًا مثل قرنِ اليهود. فقال عمرُ: أولا تبعثون رجلاً ينادي بالصّلاة؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: يا بلال قم فنادِ بالصّلاة"[2].

---

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص47.

[2] – محمّد ابن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، مرجع سابق، ص154، رقم الحديث "604".

فمن الطّبيعيّ أنْ يكون هناك خلاف في طريقة النّداء للصّلاة، فلو قلّد المسلمون اليهود والنّصارى لما سلموا من ألسنتهم، ولاتّهموهم بالتّقليد، كما يتّهمهم بروكلمان اليوم.

أمّا صلاة الجمعة فهي عيد المسلمين ولا علاقة لها بالسّبت اليهوديّ، ومن الغريب أن يتّهم بروكلمان المسلمين بتقليد اليهود ثمّ ينفي كلامه ويقرّ بأنّ يوم الجمعة مخالف للسّبت اليهودي، وبأنّ المسلمين يعتبرونه يوم عمل كغيره، في حين يتّخذه اليهود يوما للرّاحة.

23- علاقة النّبيّ ﷺ باليهود في المدينة حسب بروكلمان:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann " فالواقع أنّهم على الرّغم ممّا تمّ لهم من علم هزيل في تلك البقعة النّائية كانوا يفوقون النّبيّ الأمّي في المعلومات الوضعيّة، وفي حدّة الإدراك فالفجوات المختلفة التي تكشّف عنها علمه (بالعهد القديم)، والتي كان قد تركها عاريّة في السّور المكيّة لم يعد من الممكن أنْ تظلّ خافيّة عليهم، ولكنّ إشارتهم السّاخرة إلى هذه الفجوات كانت أعجز منْ أنْ تزعزع إيمانه بصحّة ما يوحى إليه، بل إنّ معارضة اليهود لتعاليمه حملته على أنْ يستنتج أنّهم قد ضلوا عن طريق الإيمان الصّحيح، وأنّهم قد حرّفوا الكتاب المقدّس الذي اعتقد هو نفسه بأنّه منزّل من عند الله"[1].

يقرّ بروكلمان بضعف علم اليهود في المدينة، ومع هذا يصرّ على مناقضة نفسه، فيزْعم بأنّ علمهم يفوق علم النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، وأنّ النبيّ قد ألّف القرآن اعتمادا على كتبهم، وهو مجرد إلقاء للكلام على عواهنه بدون أيّ دليل علمي يعضّده.

أمّا مسألة أنّ علمهم الوضعي يفوق علم النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام فهو كلام متهافت من طرف هذا المستشرق الحاقد على الإسلام، وذلك أنّ ما جاء به النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام في القرآن الكريم ليس من تأليفه بل هو وحي إلهي، أمّا ما عند اليهود فهو بكل تأكيد ليس وحيا إلهيا، فقد حرّف اليهود التوراة

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص47.

فأضافوا لها وأنقصوا منها، وطفح كتابهم بمختلف الشرور والمآثم والتقوّل على الله سبحانه وتعالى ورسله الكرام.

ولو لم يكنْ القرآن الكريم وحيًا إلهيّا لما تحدّى به الله سبحانه وتعالى الأوّلين والآخرين بأنْ يجدوا خطأً فيه، فقال سبحانه ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾[1]، ولما تحدّاهم في الإتيان بمثله في قوله عزّ وجلّ ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾[2]، ولذلك فمن المستحيل عقلا أنْ يصدر هذا الكلام عن أيّ بشر مهما بلغ من درجات العلم.

ولو سلّمنا جدلا بكلام بروكلمان وأقررْنا بتفوّق اليهود علميّا، لكان من السّهل عليهم أنْ يزعزعوا أركانَ الدّين الإسلامي، ويقوّضوا بنيانه ويؤثّروا على المسلمين ويفتنوهم في دينهم، ولكنّ كلّ هذا لم يحصل، بل الذي حصل هو العكس من ذلك تمامًا، فقد كان عدد الدّاخلين في الإسلام يزداد يومًا بعد يومٍ، كما أسلم بعض أحبار اليهود، ومنهم عبد الله بن سلّام ومخيريق، وهذا إنّما يدلّ على معرفتهم بأمر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في كتبهم، وأنّ جدالهم له هو مجرّد حسدٍ من عند أنفسهم، كما يدّل أيضًا على أنّ ما بقي من الصّحيح في كتبهم أوهى من بيت العنكبوت.

أمّا كلامه عنْ معرفة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام الضّحلة– حسب زعمه – بالعهد القديم، وأنّه لم يكنْ على اطّلاع واسع بالتّوراة، فلا ننفكّ نردّد أنّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام قد كان أمّيّا لا يقرأ ولا يكتبُ، فلم يكن له اطّلاع على كتب الدّيانات الأخرى، كما أنّ تراث الأمم الأخرى لم يكن مترجما إلى العربيّة في زمن الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، وهذا باعتراف الغربيين أنفسهم.

[1] – سورة النساء/ الآية:82.

[2] – سورة الإسراء/ الآية:88.

فالرّسول ﷺ لم يهتمّ إطلاقا بما يوجد في كتب اليهود، وذلك لأنّه يعرف ما أصابها من زيف وتحريف، كما كان يوصي أصحابه بعدم تصديق اليهود ولا تكذيبهم، ولذلك فرأيّ النّبيّ ﷺ في التّوراة وفي اليهود لم يكن مبنيّا على أساس معارضتهم له، ورفضهم اتّباعه، فمن يدرس تاريخ اليهود مع أنبيائهم يعرف أنّ نسبة تصديقهم وقبولهم للإسلام كانت شبه معدومة.

وختامًا نقول إنّ الرّسول ﷺ قد آمن بالتّوراة والإنجيل المنزّلين من عند الله قبل أن تعبث بهما أيدي البشر مصداقًا لقوله تعالى ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[1]، ولذلك فهو لم يؤمنْ بما كان موجودا عند اليهود والنّصارى من العهدين القديم والجديد، كما يدّعي بروكلمان زورًا.

24- شهر رمضان في نظر بروكلمان:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "ولكنّه أضاف إلى هذا الصّوم صومًا آخر، معمولا به حتّى اليوم، يستغرق شهر رمضان بكامله، وهو الشّهر التّاسع من أشهر السّنة القمريّة، وبينما يكتفي النّصارى بمجرّد الامتناع عن أكل اللّحم خلال صومهم الكبير، نجد أنّ محمّدا كلّف أتباعه الامتناع عن كلّ ضرب من ضروب الغذاء طوال النّهار، مانحا إيّاهم مقابلَ ذلك حرّيّة الطّعام بعد المغيب، ولسنا نعرف حتّى الآن ما إذا كان محمّد قد اقتبس هذه الفريضة عن إحدى الفرق الغنوستيّة أم عن المانيين الذين نفذ مبشّروهم إلى بلاد العرب أيضًا، فقد كان لا يعرف شيئا أو يكادُ عن الحرّانيين في العراق الذين كانوا يصومون كذلك في شهر آذار تمجيدا للقمر"[2].

[1] – سورة البقرة/ الآية:136.

[2] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص48.

يحاول بروكلمان جاهدًا تعريّة الإسلام من كلّ فضيلة يمتاز بها، فنراه يخبط خبطَ عشواء في كلّ مرّة، مجهداً نفسه في ردّ كلّ فروض الإسلام وشعائره إلى مصادر خارجية، وهو إذْ لم يجد ما يقابل شهر رمضان في الدّيانتين اليهوديّة والنّصرانيّة فقد لجأ هذه المرّة إلى فرضيّة أنّ النّبيّ محمّدًا قد اتّصل ببعض الفرق الغنوستية والمانويّة، والتي لا ريب حسب زعمه أنّ مبشّريها قد نفذوا إلى بلاد العرب، فأخذ عنهم صيام الشّهر الفضيل.

والحقيقة أنّ صوم رمضان هو ركن من أركان الإسلام، وشعيرة مقدّسة عند المسلمين، فرض في المدينة المنوّرة كغيره من العبادات الأخرى بعد أنْ استتبّ الأمر للمسلمينَ وأمنوا على أنفسهم، وقد ارتبط بنزول الوحي على الرّسول الكريم، فقد جاء في الذّكر الحكيم ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾[1].

كما أنّ القرآن الكريم قدْ بيّنَ أنّ الصّوم قد فرض على من كانَ قبلنا في قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[2].

فلو أمعن بروكلمان النّظر في هذه الآيات لعرف أنّ القرآن الكريم لم يدّعِ أنّه جاء بجديد بشأن عبادة الصّوم، فهي شعيرة ربّانية فرضها الله سبحانه وتعالى على الأمم السّابقة للإسلام، وقد كانت تلك الأمم تؤدّيها حسب البيئة التي وجدت فيها، فهو إذا "عبادة قديمة جاءت بها الأديان السّابقة، فكانت ركنًا مهمًّا من أركان كلّ دين، فأناجيل النّصارى تذكر الصّوم وتمدحه وتعتبره عبادة كبرى، وقد صام عيسى – عليه السّلام– والحواريّون–رضي الله عنهم–، والتّوراة تفرض الصّوم بعض الأيّام ومنها فيما يروى يوم عاشوراء، وقد صام موسى–عليه السّلام– أربعين يوما، بل إنّ الوثنيين يعرفون الصّوم، فقد كان المصريّون في أيّام وثنيتهم يصومون، وانتقل منهم الصّوم إلى اليونان والرّومان، ولايزال الوثنيّون في الهند

[1] – سورة البقرة/ الآية:185.

[2] – سورة البقرة/ الآية:183.

يصومون إلى الآن، ويكاد الصّوم يكونُ أمرًا فطريّا يلْجأ إليه كلّ كائن حيّ فترة أو فتراتٍ من الزّمان"[1]، ولذلك فالصّوم كان شائعا في كثير من الأمم حتّى الوثنيّة منها.

كما أنّ زعم بروكلمان أنّ النّبي عليه الصّلاة والسّلام قد اطّلع على تراث الفرق الغنوصية والمانوية لا دليل عليه فهذه الفرق قد اندثرت بفعل النفوذ الكبير للمسيحية، ويؤيّد هاينس هالم هذا الطّرح بقوله" عندما اجتاحت الجيوش العربية سورية ومصر في القرن السّابع الميلادي كان التّيار الدّيني الذي يسمّيه العلم ب« الغنوص» أو ب « الغنوصية » والذي كان يحظى بأهمّ مراكزه في الفترة المتأخّرة من العصور القديمة في هذين البلدين قد قُهر منذ أمد بعيد. لقد خسر هذا التّيار في مجابهته للكنيسة الكبيرة"[2].

وقد كانت هذه الفرق تنتشر بشكل أكبر في البلاد الخاضعة لسلطان الإمبراطورية الفارسية كالعراق مثلا، ولذلك فقد كان من الطّبيعي أن يحتكّ الإسلام بها بعد فتح جيوشه لها، أي بعد وفاة النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام وليس في حياته كما يدّعي بروكلمان.

كما أنّ أفكار هذه الفرق قد قوبلت بالرّفض الشّديد واتّهام المتأثّرين بها بالكفر والزّندقة من قبل علماء المسلمين لأنّها بعيدة كلّ البعد عن الدين الإسلامي ومضمونه، ولذلك لم تأمل هذه الفرق من الإسلام خيرا "إذْ أنّ الثنائية الظاهرة أو المستترة القائلة بوجود الإله الأول والإله الصانع (الخالق) أو المذهب القائل بانتشار الإله الأعلى المشكّل لأعداد كثيرة من الفيوضات Emanationen والأقانيم Hypostosen كما تتّسم بها جميع المدارس الغنوصية كانت تشكّل تمامًا النّقيض الأحدّ لأهمّ ما في الإسلام من عقيدة، وبل لعقيدته الوحيدة ألا وهي «التوحيد»"[3].

---

[1] – محمود شلتوت: من توجيهات الإسلام، ط8، دار الشّروق، القاهرة، 2004م، ص296.

[2] – هاينس هالم: الغنوصية في الإسلام، تر: رائد الباش، ط2، منشورات الجمل، بيروت، 2010م، ص5.

[3] – نفسه، ص6.

فكلام بروكلمان إذا عن شهر رمضان الفضيل وزعمه بأنّه مستمدّ من الفرق الغنوصية والمانوية عار من الصّحة، فلو كان لهذه الفرق ذلك التأثير الذي يتراءى لبروكلمان لكانت قد أثّرت على اليهودية والمسيحية في مسألة الصّوم أيضا، ولكنّ هذا لم يحصل.

25- القتال في الأشهر الحرم:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "حتّى إذا كان شهر رجب الحرام وجّه جماعة من الغزاة بأوامر سرّيّة، فوفّقت إلى مباغتة قافلة بالعروض، كانت حاميتها العسكريّة تتقدّمها مطمئنّة إلى حرمة الشّهر، فأصابت غنائم عظيمة عادت بها إلى المدينة، ولكنّ هذا النّقض للقانون الخلقيّ القبليّ لم يلبث أنْ أثار عاصفة من الاستنكار في المدينة نفسها، فما كان من محمّد إلّا أنْ أنكر صنيع أتباعه، الذي تمّ وفقًا لرغباته دون خلاف، وعزاه إلى سوء فهمٍ لأوامره، ولم يجرؤ على إعلان شرعيّة الحرب ضدّ المشركين، وتوزيع الغنائم حتّى في الشّهر الحرام، إلّا في آيات متأخّرة، بعد أنْ كانت الغنائم العظيمة قدْ أثارت مطامعه إثارة كافيةً"[1].

بعث الرّسول عليه الصّلاة والسّلام عبد الله بن جحش على رأس ثمانية من المهاجرين، وأعطاه كتابا أمره أن لا ينظر فيه حتّى يسير يومين، فلمّا فتحه عبد الله بن جحش قرأ على أصحابه أوامر الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، والتي مفادها السّيرُ إلى نخلة، وهي مكان بين مكّة والطّائف، وذلك لمراقبة قافلة للمشركين، وتقصّي أخبارهم، كما جاء فيه أيضا أنْ لا يُستكره أحدٌ على الذّهاب، فمضوا جميعا لإنفاذ أمر الرّسول، وبينما هم في الطّريق أضاع سعد بن أبي وقّاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما فتخلّفا في طلبه، وواصل البقيّة مسيرهم حتّى بلغوا نخلة، وهناك "مرّت بهم عير لقريش تحملُ زبيبًا و أدمًا، وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو بن الحضرميّ"[2]، فتشاور الصّحابة في شأن القرشيين، وخلصوا إلى

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص49.

[2] – ابن هشام: السيرة النّبوية، ج1، مرجع سابق، ص602.

قتالهم– وقد كان ذلك هو آخر يوم في شهر رجب– فقتلوا عمرو بن الحضرميّ واقتادوا أسيريْن آخريْنِ مع العيرِ إلى مكّة، ولكنّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام أنكر على عبد الله بن جحش وأصحابه فعلهم، وقال لهم: ما أمرتكم بقتال في الشّهر الحرام، كما عيّر المشركون المسلمين بسفكِ الدّماء واستحلال الأشهر الحُرم.

وبقي الأمر كذلك حتّى نزل على الرّسول عليه الصّلاة والسّلام قوله تعالى ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**﴾ [1]، وبذلك وضع القرآن الكريم حدًّا لتلك المزايدات التي كان يردّدها المشركون، فقد بيّنت الآية الكريمة أنّه وإنْ كان القتال في الشهر الحرام عظيمًا، إلّا أنّ صدّ النّاس عن الإسلام والكفر بالله وعدم اتّباع الرّسول، وطرد المسلمين من مكّة أكبر جرما عند الله من القتال في الشّهر الحرام.

ولذلك فالقتال بين المسلمين والمشركين كان أمرا متوّقعا في أيّة لحظة، وقد سبقت هذه السّريّة عدّة سرايا ، فقد حرص النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام على "أنْ يضمّ إلى المدينة ما حولها من ريف وقبائل، وأنْ يخطّط لها مجالها ويقرّر حدودها، ويعقد لها أحلافًا مع القبائل النّازلة حولها لأنّ الحاضرة لا تستطيع أنْ تعيش بنفسها، ولا تستغني عن ريف يمدّها بالمؤنِ، ويكون مجالًا لنشاطها"[2]، وقد وقعت غزوة بدر الكبرى بعد هذه السّرية بشهر واحد.

فما وقع من قتال في نخلة كان إذًا اجتهادًا خاصّا من صحابة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام دون علمه، والسّبب أنّ مكان هذه السّرية قد كان أقرب إلى مكّة من المدينة المنورة، فلم يكن النّبي ليغرّر بأصحابه في هذا المكان البعيد ويأمرهم بالقتال، كما أنّ الرّسول صلى الله عليه وسلّم لو كان يريد الغنائم لما بعث نفرًا قليلا إلى هذا المكان.

---

[1] – سورة البقرة/ الآية:217.

[2] – عماد الدين خليل: دراسة في السّيرة، مرجع سابق، ص175.

أمّا ما يدّعيه بروكلمان بشأنِ أمر الرّسول عليه الصّلاة والسّلام لأصحابه بالقتال في الشّهر الحرام، والغنائم العظيمة التي حصلوا عليها من هذه القافلة، والحامية العسكريّة التي كانت تتقدّمها باطمئنان فتبقى مجرّد خيالات وأوهام خرجت من رأسه، ولمْ يقدّمْ أيّ دليلٍ منطقيّ لإثباتها.

26- النّبي ﷺ يستغلّ انتصار بدر لتعزيز نفوذه بالمدينة حسب بروكلمان:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "واعتزم محمّدٌ أنْ يتربّص لأبي سفيان في بدر، وهو موضع على طريق القوافل، ذو ماء سائغ للشّاربين، وبدلًا من أنْ يجدَ حاميّة ضعيفة ألفى جيشًا قويّا كامل العدّة يخرج للقائه، وكان على النّبيّ أنْ يحشد جميع قواه الملهمة ليحمل أتباعه على خوض هذه المعركة التي لم تتكافأ فيها القوى. حتّى إذا وفّق إلى ذلك استطاعت روح الطّاعة والنّظام التي أكتسبها أتباعه من شعائرهم الدّينيّة اليوميّة أنْ تحرز النصر على التّفوّق العددي الذي كان للمكّيين غير المنظّمين، وفي المدينة قوّى هذا الفوز من نفوذ النّبيّ شيئًا كثيرًا وساعده على أنْ يتّخذَ إجراءات حازمة ضدّ مناوئيه، الذين كانَ عليه حتّى ذلك الحين أنْ يتحمّل أذاهم ويصبِر عليه. ومن هنا صار على أولئك المدنيين الذين كانوا لا يزالون على الوثنيّة أنْ يدخلوا في الإسلام، وليس من شكّ أنّ كثيرًا منهم قد أسلموا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبهم، ولقد ظلّ هؤلاء المنافقون مصدر قلق للنّبيّ فترة من الزّمان"[1].

حدثت غزوة بدر في رمضان من العام الثّاني لهجرة النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام إلى المدينة، فبعد أنْ سمع الرسول برجوع قافلة لقريش من الشّام تحت قيادة أبي سفيان بن حرب استنفر أصحابه للقاء هذه القافلة، وأخذها تعويضا عمّا فقدهُ المهاجرون من أملاك في مكّة، وقد سمع أبو سفيان بخروج النّبيّ محمّد للقائه فبعث من يعلنُ النّفير في مكّة، أمّا هو فقد أخذ طريقا مغايرا ونجا بقافلته، وقبل لقاء الجيشين خيّر النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام صحابته حتّى لا يجبر أحدًا منهم على الحرب، فأجمع المهاجرون والأنصار

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص50.

على القتال، ولمّا رأى الرّسول إصرارهم بشّرَهُم بوعد الله سبحانه وتعالى له بالنصر، وبالفعل فقد ثبّت الله الطائفة المؤمنة وأيّدها بنصر من عنده، وأسفرت المعركة عن هزيمة مذلّة للمشركين رغم كثرتهم.

وقد رأى بروكلمان أنّ روح الطاعة والنّظام التي تعلّمها المسلمون من شّعائرهم الدينيّة هي التي كانت سبًبا في النّصر، وأنّ عدم تنظيم المكّيين هو الذي أدى إلى هزيمتهم، وتناسى هذا المستشرق السّبب الأوّل للنّصر وهو توفيق الله سبحانه وتعالى لتلك الفئة القليلة التي آمنت به، وصدّقت برسالة نبيّه، وأصرّت على خوض القتال رغْم قلّتها، وكانت تؤمن بشيئين لا ثالث لهما: وهما نصر الله وإعلاء راية التّوحيد أو شهادة في سبيل الله وفوز في الدّار الآخرة.

ولذلك فمعركة بدر هي معركة بين الإيمان والكفر، وهي دليل قاطع ضد كلّ مستشرق يزعم أنّ المسلمين كانوا طلّاب دنيا، فلو كان الأمر كذلك فما الذي يحمل فئة من المسلمين على مقاتلة ثلاثة أضعاف عددهم، ولو سئل أيّ عاقل لأجاب باستحالة انتصار المسلمين في تلك المعركة غير المتكافئة، ولكنّه الإيمان بصدق تلك الرّسالة الخاتمة، فهو الذي جعلهم يؤثرون الموت كإيثار غيرهم للحياة.

وقد فرح المسلمون في المدينة جميعًا بهذا النّصر العظيم الذي تحقّق على قبيلة قريش، ولكنّ النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام لم يستغلّه ضدّ مناوئيه كما يزعم بروكلمان، ولم يجبر أحدًا على الدّخول في الإسلام، والحقيقة أنّ أولئك الوثنين والمنافقين في المدينة قد شهدوا بأعينهم مكانة النّبيّ ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فوجدوا أنفسهم معزولين، ولذلك فقد دخلوا في الإسلام بمحض إرادتهم طمعًا في أمور دنيويّة، ورغبة في شقّ صفّ المسلمين.

وكان على رأس هؤلاء المنافقين عبد الله بن أبيّ بن سلول، فقد كان سيّد الخزرج، وكانت له مكانة ونفوذ كبير في المدينة، وذلك أنّه "لمّا رأى قومه قد أبوا إلّا الإسلام، دخل فيه كارهًا مصرّا على نفاق"[1]،

[1] – ابن سيّد النّاس اليعمري: عيون الأثر في فنون المغازي والشّمائل والسّير، تح: محمد العيد الخطراوي، محي الدين مستو، دط، دار ابن كثير، دمشق، ج1، ص 351.

وآثر أنْ يسْلم، حتّى يأمَنَ المسلمون جانبه، ولكنّه بقي يؤذي المسلمين ويحيك الدّسائس ضدّهم مع أتباعه المنافقين، ومواليه اليهود.

وكانوا يخذّلون المسلمين عن الجهاد مع الرّسول، ويتّهمون النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام في شرفه وعرضه، ويتخلّفونَ عن الغزوات كما حدث في غزوة أحد فيما بعد، فقد خرجوا مع المسلمين للقتال ثمّ انسحب ابن سلول بثلث الجيش وقفل راجعًا إلى المدينة، كما كان هؤلاء يسعون إلى تأليب الأنصار على إخوانهم المهاجرين حتّى يطردوهم من المدينة.

ولذلك فكلام بروكلمان عن استغلال النّبيّ لهذا النصر على قريش في تقوية زعامته في المدينة باطل ولا أساس له من الصّحّة، وذلك لاعتبارين:

أوّلهما: أنّ الصّحابة رضوان الله عليهم قد عرفوا قيمة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام وصدّقوا برسالته، وأقرّوا بفضله عليهم، وأحلّوه المحلّ الذي يليق بمثله في المدينة المنوّرة، وامتثلوا لأوامره ونواهيه، وشاوروه في كلّ صغيرة وكبيرة، وما قبولهم للمشاركة في غزوة بدر رغم قلّتهم إلّا دليل على تصديقهم وإيمانهم بالله ورسوله.

ثانيهما: أنّ النّبي عليه الصّلاة والسّلام لم يسلم من شرّ هؤلاء المنافقين إلى غاية وفاته، ولم يكن قادرًا على التّخلّص من أذاهم لأنّهم كانوا يظهرون الإيمان ويصلّون معه في مسجده، فلا يستطيع الحكم على ما في قلوبهم، كما لم يرد إثارة البلبلة في المدينة، فيقول النّاس إنّ محمّدًا يقتل أصحابه.

27- إجلاء يهود بني قينقاع عن المدينة المنورة في نظر بروكلمان:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "وكانَ موقف النّبيّ من اليهود أقسى وأعنف، وكان على بني قينقاع وهم الصّاغة أنْ يستشعروا قبل غيرهم قوّته وحزمه، فلم يكدْ ينقضي شهر على معركة بدرٍ حتّى وجّه محمّدٌ رجاله عليهم- لقتلهم في الظّاهر رجلاً مسلمًا كانَ قدْ قتلَ يهوديًّا إثرَ خلاف جرى

بينهما– فاضطرّهم إلى الاستسلام بعد أنْ حاصرهم في حيّهم عدّة أسابيع، وكانَ محمّدٌ قدْ أصدر حكمه بالقضاء عليهم، ولكنّه عدلَ عنْ ذلكَ بناءً على توسّط سيّدِ الخزرج إلى إخراجهم من ديارهم والاستيلاء على جميع ممتلكاتهم"[1].

كان الرّسول ﷺ بعد أنْ وطئت قدماه أرض المدينة يعرف ممّا علّمه ربّه كذب اليهود وبهتانهم وقتلهم أنبياءهم بغير الحقّ، ولذلك فقد حرص على أنْ يكون من أوائل الأعمال التي يقوم بها هي كتابة وثيقة وادع فيها القبائل اليهوديّة، فبيّن مالهم وما عليهم، ولكنّ اليهود لم يلتزموا ببنود تلك الوثيقة، وكانوا في كلّ مرّة يثيرون القلاقل بين المسلمين ويوالون مشركي قريش والمنافقين في المدينة، ويتحدّون الرّسول عليه الصّلاة والسّلام ويحاولون تعجيزه بأسئلتهم.

وكان من بين هؤلاء يهود بني قينقاع، فقد اجتمع بهم النّبيّ –بعد غزوة بدر– في سوق لهم، بعدما وصله كلامهم واستخفافهم بنصر المسلمين، فحذّرهم من مغبّة كفرهم وعنادهم وتكذيبهم له رغم أنّهم يعلمون من كتبهم صدقه، كما حذّرهم من أنْ يصيبهم ما أصاب زعماء قريش وأشرافها، فكانوا يردّون قائلين: "يا محمّد، إنّك ترى أنّا قومُك! لا يغرنّك أنّك لقيت قوْمًا لا علم لهم بالحرب، فأصبْت منهم فرصة، إنّا والله لئن حاربناك لتعلمّنّ أنّا نحنُ النّاس"[2]، فقد كانوا مصرّين على عنادهم واستهزائهم كدأب أسلافهم في كلّ زمان ومكان.

أمّا القصّة التي يقصدها بروكلمان، والتي كانت سببًا فيما وقع بين المسلمين وبين بني قينقاع فهي أنّ امرأة من المسلمين ذهبتْ إلى صائغ منهم لبيع حليتها، فجعلوا يراودونها على كشف نفسها، وعمد أحدهم إلى الاحتيال عليها وربط طرف ثوبها بظهرها، فلمّا قامت تكشّفت وهزئ بها اليهود، فأخذت الحميّة أحد المسلمين الذين كانوا حاضرين فقتل ذلك اليهودي، فاجتمع اليهود على ذلك الرّجل المسلم فقتلوه،و

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص50–51.

[2] – ابن هشام: السيرة النّبوية، ج2، مرجع سابق، ص47.

"هبّ رجال من المسلمين للحادث فاقتتلوا مع اليهود، وبهذا نقض يهود بني قينقاع عهدهم وطرحوا معاهدتهم"[1].

ولذلك فقد كان اليهود هم البادئين بالظّلم ونقض العهد بينهم وبين المسلمين، وإثارة القلاقل في المدينة، وكان ممّا زاد في غيّهم وغطرستهم احتماؤهم بحصونهم المنيعة من جهة وموالاتهم لبعض سادات الخزرج ومن بينهم عبد الله بن أبي ابن سلول وعبادة بن الصّامت من جهة أخرى، إلّا أنّ عبادة قد تبرّأ منهم، ونفض يديه من حلفهم بعد تلك الواقعة.

وقد حاصرهم الرّسول عليه الصّلاة والسلام في حصونهم خمسة عشر يومًا حتّى نزلوا على حكمه، فأراد قتلهم لنقضهم المواثيق التي بينهم وبين المسلمين، حتّى تدخّل ابن أبيّ بن سلول واعترض على قتلهم، فتراجع الرّسول عليه الصّلاة والسّلام عن قتلهم لصبره وحكمته، ولكنّه فرض عليهم الجلاء والخروج من ديارهم، وبالفعل فقد رحلوا إلى أذرعات ببلاد الشّام.

ولذلك فقد كان إجلاء بني قينقاع نتيجة لأفعالهم وشرورهم في المدينة المنورة، وليس ظلما لهم كما يدّعي بروكلمان.

28- إجلاء يهود بني النضير وقتل يهود بني قريظة في نظر بروكلمان:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann بعد هزيمة المسلمين في أحد "كان على محمّدٍ أنْ يعوّض هذه الخسارة التي أصابتْ مجده العسكريّ من طريق آخرَ، ففكّر في القضاء على اليهود، فهاجم بنيّ النضير لسبب واهٍ، وحاصرهم في حيّهم، وإذْ لم يجرؤ إخوانهم في الدّين من بني قريظة على أنْ يسعفوهم فقد اضطرّوا إلى الاستسلام بعد حصار دام بضعة أسابيع"[2].

[1] – أبو بكر جابر الجزائري: هذا الحبيب، دط، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2016م، ص197-198.

[2] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص52.

ويقول في موضع آخر عن بني قريظة وقتلهم بعد خيانتهم للمسلمين في غزوة الخندق "وفي اليوم نفسه هاجم المسلمون بني قريظة الذين كان سلوكهم غامضًا على كلّ حال فاستسلموا بعد حصارٍ دام أسبوعين"[1].

يواصل بروكلمان افتراءاته على الرّسول عليه الصّلاة والسّلام زاعمًا أنّ سبب إجلاء بني النّضير من مساكنهم بالمدينة هو سبب واهٍ، لجأ إليه النّبيّ لتعويض خسارته في معركة أحدٍ، وكذا بسبب ما لحق بالمسلمين من غدرٍ في يومي الرّجيع، وبئر معونة من طرف المشركين، وقد بنى بروكلمان حكمه انطلاقا من نزعته الصّليبيّة الحاقدة على الإسلام والمسلمين.

والحقيقة أنّ السّبب الرئيس للصّراع بين المسلمين واليهود هو عداوة اليهود ومظاهرتهم للمشركين على حساب المسلمين، وكذا الإخلال بالاتّفاقيات التي اتّفقوا عليها منذ البداية مع المسلمين، من وجوب مساندتهم وعدم الإعانة عليهم، وقد نقل علماء السّيرة كثيرا من تلك الخيانات التي قام بها يهود المدينة، فبعد هزيمة المشركين ببدر خرج أبو سفيان في مائتي مقاتل إلى المدينة، فنزل ببيت سلّام بن مِشْكَم سيّد بني النّضير، ثمّ أحرق أبو سفيان ورجاله بعض نخيل المدينة، وقفلوا راجعين إلى مكّة، بعد أنْ خرج المسلمون في إثرهم فلم يدركوهم، وقد سمّيت تلك الغزوة بغزوة السّويقْ.

وبعد أنْ غُدِر بالمسلمين في حادثة بئر معونة، وما حدَث من قتْلِ أميّةَ بنِ عمرو الضّمري لرجلين من بني عامر كان لهما عهد وجوار من الرّسول ﷺ ، وطلب بني عامرٍ من الرّسول ديّة الرّجلين، انطلق النّبيّ في جماعة من أصحابه إلى بني النضير للاستعانة بهم في دفع ديّة الرّجلين وفقا للعقود التي بين اليهود والمسلمين، ولكنّ بنيّ النّضير قد اتّفقوا على قتل الرّسول ﷺ والغدر به، فرجع النّبيّ ﷺ بعد أنْ نزل عليه الوحي من السّماء بما همّوا بفعله ، ثمّ أرسل أحد أصحابه ليعلِم بني النّضير بأمر الرّسول

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق ، ص54.

لهم بمغادرة المدينة، ولكنّهم لم يذعنوا لأوامره، وصدّقوا وعد عبد الله بن أبيّ بن سلول لهم بأنّه سينصرهم ويقاتل دونهم، ولكنّهم في النّهاية استسلموا وأجلاهم الرّسول إلى خيبر، وسمح لهم بأخذ ما تحملُ الإبل.

ولذلك فلم يكنْ إجلاء بني النّضير لسببٍ واهٍ، بل كان هؤلاء وبنو قريظة شوكة في حلق المسلمين، ولم تكن المدينة آمنة بوجودهم فيها نظرًا لما كانوا يحيكونه من مؤامرات لاستئصال شأفة الإسلام والمسلمين.

ولعلّ خير دليل على ذلك هو مقابلتهم لعفو رسول الله عنهم وسماحه لهم بأخذ أموالهم إلى خيبر بالإساءة، فقد كان لهم دور بارز في غزوة الخندق في السّنة الخامسة للهجرة، حيث مشى سادتهم إلى قريش ثمّ إلى غطفان، وحرّضوهم على غزو المدينة، والقضاء على المسلمين نهائيّا، فحاصرت جيوش الأحزاب المدينة، ثمّ واصلوا تحريضهم ليهود بني قريظة داخل المدينة حتّى يغدروا بالمسلمين، وينقضوا عهودهم معهم، ولا زالوا بهم حتىّ نقضت قريظة عهدها مع المسلمين، كعادة اليهود دائما.

وقد شقّ الأمر على المسلمين، فقد طالت مدّة حصار المشركين لهم، وصوّر القرآن الكريم حالة الخوف عند المسلمين في قوله تعالى ﴿**إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا**﴾[1].

ولكنّ لطف الله بعباده المسلمين قد أدى إلى انسحاب المشركين بعد أنْ عجزوا عن اقتحام الخندق الذي حفره المسلمون، ومباشرة بعد انسحابهم قرّر الرّسول عليه الصّلاة والسّلام الانتقام من بني قريظة لنقضهم العهد الذي يجمعهم بالمسلمين ومساندتهم للمشركين، فحاصرهم الرّسول عليه الصّلاة والسّلام حتّى نزلوا على حكمه، ثمّ كلّف النّبيّ حليفهم سعد بن معاذ بالحكم فيهم، فحكم فيهم سعد بالقتل جزاء خيانتهم وغدرهم، ولكنّ بروكلمان كعادته يصرّ على تزييف الحقائق في كلّ مرّة.

[1] – سورة الأحزاب/ الآية :10-11.

وهو موقف ينمّ عن نزعة هذا المستشرق وعدم حياديته، ولذلك فقد أصاب المسلمون في تعاملهم مع اليهود في المدينة، بطردهم منها لأنّ بقاءهم كانَ سيقضي على الدّعوة الإسلاميّة لا محالة.

29- تحريم الخمر في نظر بروكلمان:

يقول بروكلمان Carl Brocklmann "وعقب ذلك بقليل حرّمتْ على المسلمين الخمر، وكانت بعض الآيات (سورة 69:16) قد أشادت بها كعطيّة من عطايا الله الكبرى، وحرّم الميسر أو القمار على لحم الإبل، وكان سببًا في إفقار كثير من البدو. والواقع أنّ تحريم الخمر(سورة 216:2 و سورة 92:5) كانَ يهدفُ إلى تقييد الشّعراء الذين كانوا كثيرًا ما يتغنّون بمجالسهم الخمريّة المعربدة، هذه المجالس التي كانت خليقة بأنْ تفسد روح النّظام العسكري الصّارم الذي أراده محمّدٌ لأتباعه، ولكنّ بعض المسلمين لم يلبث أنْ حرج على القانون، فعاقر الخمرة"[1].

لم تكنِ الخمر محرّمة في المرحلة المكّيّة من الدّعوة الإسلامية، وهذا ما يدلُّ عليه قوله تعالى ﴿**وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[2]، وقد ذكر الإمام البغوي في تفسيره لهذه الآية قوله "قال قوم: (السّكرُ): الخمر، (والرّزق الحسَنُ): الخلُّ والزّبيب والتّمرُ والرُّبُّ، قالوا: وهذا قبل تحريم الخمر. وإلى هذا ذهب ابن مسعود، وابن عمر، وسعيد بن جبير والحسنُ، ومجاهد. وقال الشّعبيّ:(السّكرُ):ما شُرِبَتْ، (والرّزق الحسنُ): ما أكِلَتْ"[3]، وقد كانت الخمر واحدة من المساوئ التي ابتلي بها المجتمع الجاهلي، إلى جانب عبادة الأوثان والرّبا والميسر والقمار وغير ذلك.

وقد انطلق الإسلام في إصلاحه لهذه المنكرات، من أهمّها فبدأ بإصلاح العقيدة أوّلا، وإرجاع النّاس إلى عبادة الله الواحد، ثمّ كان الوحي ينزل في كلّ مرّة لفرض شعيرة أو إصلاح جانب من جوانب

[1] – كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص53.

[2] – سورة النحل/ الآية :67.

[3] – الحسين بن مسعود البغوي: تفسير البغوي معالم التّنزيل، ط1، دار طيبة للنّشر والتّوزيع ،1411هـ، ج5 ، ص28

المجتمع الإسلاميّ، وقد نزل تحريم الخمر في المدينة المنوّرة بالتّدريج، فقد نزل في البداية قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾[1] ، ثمّ نزل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[2]، ثمّ نزل قوله عزّ وجلّ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

ولذلك فتحريم الخمر في الإسلام هو أمرٌ ربّاني يهدف إلى إصلاح الفرد روحيّا ، وكذا إصلاح المجتمع النّاشئ في المدينة، وذكر القرآن لمحاسنها كان في مكّة قبل نزول التّحريم.

30- حادثة الإفك في نظر بروكلمان:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "فاتّفق مرّة أنْ أضاعت زوجه المفضّلة، عائشة بنت أبي بكر- وكانت آنذاك في الرّابعة عشْرة من عمرها- قلادتها فخرجَتْ تبحثُ عنها مساءً، ففاتتها قوافل الغزاة، ولم تعدْ إلى المعسكر إلّا في اليوم التّالي، وبرفقتها شابٌ كانت قد عرفتْه من قبلُ، وتطرّقَ الشّكُ في إخلاص عائشة إلى نفس النّبيّ، فردّها إلى بيت أبويها، ولكنّ الله لم يلبثْ أنْ برّأها بعدَ شهرٍ واحدٍ في إحدى الآيات الموحاة إلى النّبيّ، مضيفًا في الوقت نفسه أنّ أيّ اتّهام لامرأة بالخيانة الزّوجيّة لا يؤيّده أربعة شهود عيان يعتبرُ فريَة أو قذْفًا يستحقّ عليه صاحبه مائة جلْدة، وكانَ عليّ صهر النّبيّ أحدَ خصوم عائشة الذين ألحّوا عليه في طلاقها، وليس من شكّ أنّ جذور العداء الذي تكشّفتْ عائشة لعليّ بعدَ أن استخلِفَ على المسلمين ترجعُ إلى هذه الحقبة"[4].

---

[1] – سورة البقرة/ الآية:219.

[2] – سورة النساء/ الآية:43.

[3] – سورة المائدة/ الآية:90.

[4] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص54.

يواصل بروكلمان حديثه عن حادثة الإفك التي اتّهمت فيها أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها في عفّتها وشرفها، وقد وقعت هذه الحادثة بعد غزوة بني المصطلق، فقد سمع النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام بإعداد بني المصطلق لغزو المدينة، فأرسل إليهم من يستطلع الأمر، ولمّا وجد أنّ الأمر حقيقة خرج إليهم في زهاء سبعمائة مقاتل، والتقاهم عند ماء لهم يقال له المريسيع، ولذلك سمّيت هذه الغزوة أيضًا بغزوة المريسيع.

وقد ألحق بهم المسلمون هزيمة منكرة، ولكنّهم عفوا عنهم وعن أموالهم بعدَ أنْ تزوّج النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام ابنتهم جويريّة بنت الحارث، وهو سيّد قومه، فأسلمت رضي الله عنها، وأسلم أبوها وقومها فيما بعد، وقد خرج خلق كثير من المنافقين في هذه الغزوة طمعًا في الغنائم وإثارة القلاقل بين المسلمين.

وفعلا وقعت الفتنة بين المهاجرين والأنصار، ممّا دعا بابن أبيّ بن سلول إلى تحريض أنصاره على عدم الإنفاق على المهاجرين، كما توعّد بإخراجهم من المدينة حال رجوعهم إليها، ولكنّه سرعان ما تراجع عن كلامه وحلف بأنّه لم يقلْه، وفي المنافقين نزل قوله تعالى﴿ **هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[1].

وتجنّبا لشغل النّاس بهذه الفتنة فقد أمر النّبيّ عمرا بأنْ يؤذّن في الجيش بالرّحيل، فرحلوا في ساعة لم يكنِ النّبي يأمرُ بالرّحيل فيها من قبل.

ولم تكد هذه الفتنة التي أحدثها المنافقون تهدأ حتّى أشعلوا فتنة أخرى، فقد اتّهموا أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها في عرضها، وذلك أنّه لمّا أناخ القوم ذهبتْ عائشة لبعض شأنها، فلمّا رجعت إلى مكان الجيش وجدتْ أنّها قد فقدت عقدها، فعادتْ مرّة أخرى للبحث عنه حتّى وجدتْه، ولمّا رجعتْ وجدتْ أنّ المسلمين قد انطلقوا بدونها، وذلك أنّهم ظنّوها داخل هودجها، فبقيت رضي الله عنها مكانها

[1] – سورة المنافقون/ الآية :7–8.

حتّى جاء صفوان بن المعطّل، وكان قد تخلّف وراء القوم فعرفها، وأناخ لها بعيره وانطلق بها ليلحق بالقوم.

ولكنّ المنافقين ما إنْ رأوها مع صفوان حتّى طعنوا في شرفها وآذواّ رسول الله عليه الصّلاة والسّلام، ومرضت عائشة أيّاما بعد رجوعها إلى المدينة، ثمّ استأذنت الرّسول في اللّحاق بأهلها، وقد أنزل الله براءة عائشة من فوق سبع سموات في قوله تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[1] فبشّرها النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام ببراءتها.

وحادثة الإفك دليل آخر على نبوّة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، فلو كان محمّد هو مؤلّف القرآن كما ادّعى بروكلمان وغيره من المستشرقين، فما الذي حمله على أنْ ينتظر شهرًا كاملًا حتّى يبرّئ أحبّ زوجاته إليه ممّا رماها به المنافقون، فكتُب السّيرة تخبرنا أنّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام لم يكنْ يعلم الغيب، فهو لم ير من عائشة إلّا خيرا، وكان يسأل أهْل بيتِه عندما أبطأ عليه الوحي، فقال له أسامة ابن زيد أنّه لمْ ير من عائشة ولم يسمع عنها إلّا خيرا.

أمّا علي فقدْ قال للنّبيّ :أنّ النساء غيرها كثير، وقد اتّخذ بروكلمان هذه الجملة حجّة في محاربة عائشة لعليّ في موقعة الجملِ، وهو كلام واه لا دليل عليه، فالمشهور أنّ عائشة خرجت في يوم الجمل طلبًا لدم عثمان من قتلته، وليس ضدّ علي بن أبي طالب.

31- صلح الحديبية والقضاء على اليهود في خيبر حسب بروكلمان:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "وفي نوّار من سنة 628 حاول النّبيّ أنْ يعوّض من فشله الظّاهري في الحديبيّة، فقاد المسلمين في حملة على المستعمرة اليهوديّة الغنيّة في خيبر... وإذْ كان المسلمون غير مزوّدين بالسّلاح الذي يقتضيه الحصار فقد عجزوا بادئ الأمر عن التّغلّب على اليّهود،

[1] – سورة النور/ الآية :11.

ولكنّ الخيانة مكّنتهم أخيرا من أنْ يدخلوا أحَدَ الأحياء. عندئذ أفادوا من السّلاح الذي وجدوه هناك في مهاجمة الحصون الأخرى، فاستسلم اليهود وصالحهم النّبيّ على أنْ يخرجوا مع نسائهم وأولادهم، ويخلّوا له جميع ممتلكاتهم"[1].

ويقول "ولا يجعل للإخفاق المؤقّت، من مثل معاهدة الحديبية سبيلًا إلى إعاقته عمّا وقف نفسه له"[2].

يبدأ بروكلمان حديثه عن صلح الحديبيّة بوصفه بالفاشل، فهو يرى أنّه كان في صالح المشركين وأنّ المسلمين لم يجنوا منه شيئا، والواقع أنّ كلامه هذا هو نفس كلام المشركين آنذاك، ويعود صلح الحديبيّة إلى السّنة السّادسة للهجرة فقد خرج النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام مع أصحابه قاصدين مكّة لأداء العمرة، وسار المسلمون حتّى نزلوا بالحديبيّة قرب مكّة، فلمّا سمعت قريش بما عزم عليه الرّسول أجمعت على منعه، وبدأت الرسل بين الطّرفين، فبعث الرّسول عثمان بن عفّان رسولا إلى مكّة فحبسته قريش عندها حتّى شاع أنّ عثمان قدْ قُتل، فجمع النّبيّ أصحابه ودعاهم إلى البيعة تحت الشّجرة للثّأر لعثمان، ولكنّ اتّضح فيما بعد أنّ الخبر كان مجرّد إشاعة.

ووفد على الرّسول من جانب المشركين سهيل بن عمرو، ففاوض الرّسول ووقّع على وثيقة الصّلح، وقد نصّت تلك الوثيقة على "وضع الحرب عن النّاس عشر سنين، يأمن فيهنّ النّاس، ويكفّ بعضهم عن بعض، على أنّه من أتى رسول الله من قريش بغير إذْنِ وليّه ردّه عليهم، ومن جاء قريشًا ممّن مع رسول الله لم تردّه عليه، وأنّ بيننا عيبة مكفوفة، وأنّه لا إسلال ولا إغلال، وأنّه من أحبّ أنْ يدخل في عقد رسول الله وعهده دخل فيه، ومن أحبّ أنْ يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه"[3].

وقد ظنّ بروكلمان كما ظنّ المشركون قبله أنّ تلك المعاهدة كانت لصالحهم، ولكنّ الحقيقة أنّها كانت لصالح الرّسول والمسلمين، فقد التزم الرّسول بتنفيذ بنودها، فكان يردُّ على قريش من يأتيه مسلمًا

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص56–57.

[2] – نفسه، ص68.

[3] – محمّد بن جرير الطّبري: تاريخ الرّسل والملوك، ط2، دار المعارف، مصر،ج2، ص634–635.

إلى المدينة، ولم يطل الوقت حتّى جاء أبو بصير عتبة بن أسد بن جارية فارّا من مكّة، فبعث المشركون في طلبه رجلين إلى الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، فأرجعه النّبيّ معهما، فلمّا كان ببعض الطّريق عدا عليهما فقتل أحدهما، وفرّ الآخر، ثمّ انضمّ إلى أبي بصير جماعة من الفارّين من مكّة، وبدأوا في مهاجمة قوافل قريش، وهو ما دفعها إلى مراسلة الرّسول لإلغاء ذلك الشّرط.

والغريب أنّ بروكلمان نفسه يعترف بذلك في قوله "فلم يجد المكّيون بدّا من أنْ يطلبوا هم إلى النّبيّ أنْ يلغي تلك المادّة الخطرة من المعاهدة، وأنْ يتولّى أمر هؤلاء العصاة بنفسه"[1]، كم يعترف ضمنيّا بمكاسب صلح الحديبيّة عندما تحدّث عن رجوع المسلمين إلى الحجّ بعد ذلك حسب اتّفاقهم مع قريش، فيقول "ولقدْ تركَتْ هذه الحجّة انطباعَةً قويّةً في نفوس أعداء محمّد حتّى لقد توجّه عددٌ من زعمائهم إلى المدينة سنة 629 فأعلنوا إسلامهم نخصّ من هؤلاء خالد بن الوليد بطل أحد، الذي عرف بعدُ ب(سيف الإسلام)، وعمرو بن العاص الأمويّ، أوّل أمير على مصر فيما بعْدُ"[2].

كما أنّ ذلك الصّلح قد حقّق للمسلمين ما لم تكن لتحقّقه الحرب، وقد دخل في الإسلام خلق كثير، فقد قال الإمام الزّهري رحمه الله "فلمّا كانت الهدنة، ووضعت الحرْب، وآمنَ النّاس بعضهم بعضا، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلّم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلّا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السّنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر"[3]، وقد حافظ المسلمون على الهدنة حتّى خرقتها قريش، وقد فتح الله على المسلمين مكّة بدون قتال، وهو ما يعدّ دليلا بارزا على أنّ صلح الحديبيّة كان في صالح المسلمين، ولكنّ بروكلمان يحاول تزوير الحقائق.

وواضح أنّ بروكلمان قد حكم على صلح الحديبيّة بالفشل ليبرّر سبب غزوة خيبر التي قام بها المسلمون ضدّ يّهود خيبر في المحرّم من السّنة السّابعة على الأرجح، وقد حصر أسبابها في الجانب

[1] – كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص56.

[2] – نفسه، ص57.

[3] – ابن هشام: السيرة النبوية، مرجع سابق، ص322.

المادّي فقط، ونسي أنّها كانتْ ردًّا على اليهود وحلفائهم في غزوة الخندق، فبعد أنْ "فشلت الأحزاب في اقتحام يثرب، وجنَتْ قريظة عقبى غدرها، لم يهدأ يهود خيبرَ، أو يحاولوا إصلاح شؤونهم مع المسلمين، كلّا، إنّهم شرعوا يصلون حبالهم بغطفان والأعراب الضّاربين حولهم ليؤلّفوا ضدّ الإسلام جبهة أخرى تكيد من جديد لمحمّدٍ وصحبه"[1].

ولذلك ما إنْ صالح النّبيّ قريشًا في الحديبية وهدأت الأمور بين الخصمين اللّدودينِ، حتّى انطلق بجيشه فنزل بوادي الرّجيع، وهو بين غطفان وخيبر، وكان النّبيّ يعلم ما بين غطفان وخيبر من عهود، ولذلك فقد قصد أنْ يمنع وصول أيّ مساعدات من جانب غطفان، وحاصر حصون خيبر حتّى افتتحها واحدًا تلو الآخر، ثمّ صالح أهلها على أنْ يدفعوا نصف ما تنتجه أرضهم، وبذلك قضى النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام على غطرسة اليهود ومقاومتهم، ولذلك فلم يكن الدّافع المادّي هو الذي دفع المسلمين إلى غزو خيبر، كما ادّعى بروكلمان، ولكنّها كانتْ ردّا على مكائد اليهود وتربّصهم بالمسلمين، ومحاولاتهم الحثيثة على اجتثاث المسلمين والقضاء عليهم نهائيّا.

32- غزوة تبوك ونتائجها في نظر بروكلمان:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "ومن هنا أمرَ أصحابه في أشدّ أيّام الصّيف قيظًا من سنة 630 بأنْ يحملوا على البيزنطيين، ولسنَا نعرف على اليقين ما الذي دعاه إلى انتهاج هذه السّبيل في ذلك الوقت بالذّات، فقد يكون قصد إلى أنْ يشغل أتباعه المدنيين الذين كانوا لا يزالون في حال من عدم الارتياح بعد توزيع غنائم (حنين)، ولعلّه كان يرجو إخضاع ما بقي من نصارى العرب، الذين كانت بيزنطة من ورائهم، تمدّهم وتساندهم، ثمّ إنّه خرج يبلغ تعداده ثلاثين ألفًا ووجهته الشّمال حتّى إذا بلغ

[1] – محمد الغزالي: فقه السّيرة، دط ، دار الشروق، دت، ص261.

تبوك...توقّف بعدَ أنْ نال منه الجهد، واستشعر وطأة السّنّ العالية، ولعله اقتنع بأنّ خططه للهجوم على الرّوم أمست غير ذات غناء"[1].

كانتْ **غزوة تبوك** في السّنَة التّاسعة للهجرة، وقد حدثَت بعد سلسلة الانتصارات الباهرة التي حقّقها المسلمون بداية من فتح مكّة بدون قتال، ثمّ التّوجه بعد ذلك إلى (حُنين) للقاء قبائل هوازن وثقيف التي تجمّعتْ للانقضاض على المسلمين، وهزيمتهم هناك هزيمة منكرة، وسبي نسائهم وأموالهم، ثمّ ما كان بعد ذلك من توجّه الرّسول وجيشه لحصار الطّائف لمدّة أسبوعين، ثمّ انصراف الرّسول عنهم ورجوعه إلى "الجعْرانة" لتقسيم أموال غزوة حنين، ولقائه هناك برجال هوازن الذين جاؤوا يطلبون من النّبيّ ردّ سبيهم والإحسان إليهم، فأجابهم إلى طلبهم، وأعطى لبعض سادة العرب وأشرافهم من الذين كانوا دخلوا حديثًا في الإسلام أموالًا ليتألفهم بها، ثمّ رجوع النّبيّ وأصحابه إلى المدينة بعد ذلك، وقد دانتْ لهم قبائل العرب كلّها.

وزعم بروكلمان أنّ سبب غزوة تبوك هو عتاب الأنصار للرّسول عليه الصّلاة والسّلام لأنّه لم يعطيهم من غنائم غزوة حنين وأعطى لأناس حديثي عهد بالإسلام، وبالتّالي فقد كانتْ غزوة تبوك– حسبَه – من أجلِ إرضائهم، ولو رجع بروكلمان إلى كتب السّيرة عند المسلمين لعلمَ أنّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام قدِ اجتمع بالأنْصار، وكلّمهم وذكّرهم بفضل الله عليهم، كما ذكرَ فضلهم على الرّسول وبلاءهم في خدمة الدّعوة الإسلاميّة، وبينّ لهم أنّ تلك الغنائم متاعٌ زائلٌ في هذه الدّنيا، وأنّهُ قد وكَلهُم إلى إسلامهم، كمَا بشّرهم بأنّهم سيعودون برسول الله معهم إلى المدينة، وقد كانوا يتخوّفون كما ذكر بروكلمان نفسه من إقامته بمكّة بعد فتحها.

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص65.

أمّا سبب غزوة تبوك فقد كانَ كما ذكر أهل السّير هو استعداد الرّوم لغزو المسلمين في بلادهم، فقد وصلتْ للنّبيّ والمسلمين أخبارٌ مفادها "أنّ هرقْلَ ملك الرّوم ومن عنده من متنصّرة العرب قدْ عزموا على قصده، فتجهّز هو والمسلمون وساروا إلى الرّوم"[1].

ولذلك فقد جمع النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام جيشًا تعداده ثلاثين ألف مقاتل وسار بهم إلى غاية تبوك، فلمّا وصل المسلمون هناك وجدوا أنّ جيش الرّوم قد انسحب، فقد فضّل الرّوم "الاختفاء داخل حدودهم عن ملاقاة هذه القوّة الفتيّة، وصالح النّبيّ متنصّرة العرب الضّاربين في هذه الأرجاء، فدخل في عهده أهل (أيلة) و(أذرع) و(تيماء) و(دومة الجندل)، وأيقنت القبائل التي تعمل لحساب الرّومان أنّ اعتمادها على سادتها الأقدمين قد فات أوان"[2]، وقد وبقي المسلمون هناك عشرين يوما، ثمّ قفلوا راجِعين إلى المدينة، ولذلك فقد حقّق المسلمون ما خرجوا من أجله، وهو الجهاد في سبيل الله وإعلاء راية الإسلام، وليس لأنّ النّبيّ قد أحسّ بكبر السّن أو نال منه الجهد كما يزعم بروكلمان.

33- بداية مرض النّبي ﷺ في نظر بروكلمان:

يقول بروكلمان Carl Brocklmann "وبينَا المسلمون يتّخذون الأهبة لهذه الغزوة، مرض النّبيّ بداء الملاريا على الأرجح، وكان من أمراض المدينة المألوفة، وعلى الرّغم من أنّ سنيه لم تكنْ قدْ تجاوزت السّتين على الأكثر، فقد تطرّق الضّعف إلى نشاطه بسبب من المصاعب التي حفلتْ بها سنواته الأخيرة، وبسبب من الحياة الزّوجيّة الواسعة التي عاشها"[3].

يواصل بروكلمان مغالطاته حول تاريخ النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، فهو يتحدّث عن سبب وفاة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وعن عمره حينها، زاعمًا أنّ الوفاة كانت بسبب داء الملاريا وتعدّد زوجات النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، وأنّه لم يتجاوز السّتين من عمره، وهو كلام لا قيمة له من النّاحية العلمية،

[1] – ابن الأثير: الكامل في التّاريخ، ط1، مج 2، دار الكتب العلميّة، بيروت،1987م، ص149.

[2] – الغزالي: فقه السّيرة، مرجع سابق، ص315.

[3] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص67.

فلم يخبرنا بروكلمان عن مصادره التي استقى منها معلوماته، كما أنّ النّبيّ لم يولد في ألمانيا حتّى نأخذَ تاريخنا عن بروكلمان أو غيره من المستشرقين، ولو أنّ بروكلمان ومن على شاكلته رجعوا إلى كتب الحديث والسّير عند المسلمين لوجد أنّها لم تترك شاردةً ولا واردة عنْ النّبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم إلّا وذكرتها باستفاضة.

وما حدثَ أنّ النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام قد حجّ في السّنة العاشرة للهجرة الحجّة التي عرفتْ بحجّة الوداع، فنزلت عليه وهو بمنًى سورة النّصر، فكانَ الرّسول ﷺ بعد "نزول هذه السّورة يكثر من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، وعلم بها أنّه قد اقترب أجله"[1]،ويؤيّد هذا ما أورده البخاري في صحيحه عن ابن عبّاس عندما سأله عمر بن الخطاب عن تفسير السّورة فقال: "هو أجلُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أعلمه له، قال: إذا جاء نصر الله والفتح–وذلك علامة أجلك–فسبّح بحمد ربّك واستغفره إنّه كانَ توّابًا. فقال عمرُ: ما أعلمُ منها إلّا ما تقول"[2].

وبعد رجوع النّبيّ من الحجّ أمر بتجهيز جيش أسامة ليتوجّه إلى الرّوم، وحثّ أصحابه على عدم معارضة الأمر، فإنّ أسامة خليق بالقيادة، ولم يكمل الجيش استعداداته حتّى أحسّ النّبيّ بصداع شديد في رأسه، فزار أهل البقيع ليلا واستغفر لهم، ثمّ زاد اشتداد المرض بالرّسول عليه الصّلاة والسّلام، فلم يقو على الخروج إلى الصّلاة بالمسلمين، واستأذَن زوجاته أنْ يمرّض في بيتِ عائشة، فكان النّبيّ يخبرها أنّ آلام تلك الشّاة المسمومة التي كان قد أكلَ منها بخيبر قد عاودته في مرضه ذاك، وقد توفي النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام في الثّاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشر للهجرة، عن عمر يناهز الثّالثة والسّتين عامًا، و "قد أجمع الرّواة وأهل العلم أنّه صلّى الله عليه وسلّم توفي عن ثلاثة وستّين عاما من العمر

[1] – جلال الدّين المحلّي ، جلال الدّين السّيوطي: تفسير الجلالين الميسّر، ط1، مكتبة ناشرون، لبنان، 2003م، ص603.

[2] – محمد ابن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، مرجع سابق، ص1270، حديث رقم"4970".

قضى أربعين منها قبل البعثة، وثلاثة عشرَ عاما يدعو إلى الله في مكّة وعشر سنينَ قضاها في المدينة بعدَ الهجرة. وكانتْ وفاته في أوّل العام الحادي عشرَ"[1].

ولذلك فمن العجيب أنْ يرجع بروكلمان سبب وفاة النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام إلى المصاعب التي حفلت بها سنواته الاخيرة، وذلك أنّ المصاعب والمشاق أمام النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام قد وجدت منذ اليوم الأوّل الذي أعلن فيه دعوته في مكّة، كما أنّها جزء من حياة العربيّ اليوميّة في ذلك الوقت، فما بالك بنبيّ جاء ليقلب عرش الوثنيّة رأسا على عقب.

أمّا إرجاع سبب وفاة النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام إلى الحياة الزّوجيّة الواسعة التي عاشها حسب بروكلمان، فهو استنتاج أعجب من مستشرق بقامة بروكلمان فهو يعرف جيّدا أنّ العرب كانوا يتزوّجون العديد من النّساء، إضافة إلى الإماء التي كانوا يمتلكونها، كما أنّ الزّنى قدْ كانَ متفشّيًا بشكلٍ كبير في مجتمع الجاهلية، ولا فضل إلّا للإسلام وحده في تحديد عدد النّساء وتحريم الزّنى في الجاهليّة، كما أنّ سبب زواج النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام بكلّ واحدة من زوجاته مبثوث في ثنايا كتب التّاريخ والسّير، ومن المستبعد أنّ لا يكون قد اطّلع عليه بروكلمان، ولكنّه الحقد الدّفين على الإسلام والمسلمين الذي اتّخذه بروكلمان منهاجًا له في دراسة السّيرة النّبويّة منذ البداية.

34- النّبي ﷺ يدخل أحكامه السياسية في القرآن حسب بروكلمان:

يقول بروكلمان Carl Brocklmann "ولقد كانَ يعلنُ أحكامهُ السّياسيّة في المدينة بوصفها جزْءًا من القرآن، أيْ جزءًا من الوحيّ الإلهي. ولكنْ كانَ لا بدّ من تعديل الأسلوب ليتلاءم مع المادّة، بينا ظلّت الفاصلة(القافية)–وكثيرا ما كانت ضعيفة– هي علامة الأسلوب القرآني، وليس يجوز أنْ نطلق الحكم على دينِ محمّد على أساس القرآن وحده طبعًا، وليست المسألة مسألة نظام مرتّبْ إذا لم تكن الدّقّة

[1] – محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة النبوية، مرجع سابق، ص497.

والتّماسك الفكري أقوى جوانبه على الإطلاق، ولم يكن عالمه الفكري من إبداعه الخاص إلّا إلى حدّ صغير، فقد انبثق في الدّرجة الأولى عن اليهوديّة والنصّرانية، فكيّفه محمّد تكييفا بارعًا وفقًا لحاجات شعبه الدّينيّة"[1].

يواصل بروكلمان تناقضاته كعادته زاعِمًا أنّ النّبيّ في المدينة قد أدخل أحكامه السّياسيّة في القرآن، بعدَ أنْ يقوم بتعديلها لتناسب أسلوب القرآن الكريم، وهو في هذا يجترّ مقولة أستاذه نولدكه حين تكلّم عن النّبي وقال بما"أنّه لم يكن في وسعه أن يفصل بين الروحيات والدنيويات، فغالبا ما استخدم سلطة القرآن ليفرض أمورا لا علاقة لها بالدين"[2].

والغريب أنّ بروكلمان لا يؤمنُ مطلقًا بأنّ القرآنَ الكريم وحي من عند الله سبحانه وتعالى، فكيف تضاف الأحكام السّياسيّة البشريّة إلى الوحي الإلهي؟ ثمّ نراه ينصّبُ نفسه عالمًا باللغة العربيّة وبلاغتها فيحكم بالضّعف على أسلوب القرآن الكريم، متناسيًا أنّ هذا القرآن قد نزَلَ على رجُلٍ أمّيّ ليتحدّى به أساطين الفصاحة والبيان في كلّ زمانٍ ومكان، وقد وقفوا مشدوهين أمام بلاغته، وعجزوا أنْ يأتوا بمثله، وما صدّهمْ عن الإيمان به إلّا كبْرهم وغطرستُهم، ولذلك فالقرآن الكريم وحيّ من عند الله مصداقًا لقوله تعالى ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[3].

وما كان للنّبيّ ولا لغيره أنْ يفتري على الله سبحانه وتعالى، فهو ﴿ **تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ** ﴾[4].

---

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص68.

[2] – تيودور نولدكه : تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص6.

[3] – سورة النجم/ الآية :3-4.

[4] – سورة الحاقة/ الآيات:43-44-45-46.

ويضاف إلى هذا أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قدْ نهى في البداية عن كتابة الحديثِ في عهده، وذلك مخافة أنْ يختلط بالقرآن الكريم، ومن أجل أنْ يركّز الصّحابة اهتمامهم على القرآن الكريم والعمل بما جاء فيه، ولذلك فلم يكتب في ذلك العهد إلّا عدد قليل من الصّحابة.

ثمّ يعود بروكلمان لترديد ترّهاته التي ذكرها آنفا من أنّ القرآن يخلو من الدّقّة والتّماسك الفكري، وما هو إلّا اقتباس من النّصرانيّة واليهوديّة كيّفه النّبيّ محمّد تكييفًا بارعًا حسبَ حاجات شعبه، وكلام بروكلمان هذا يناقض بعضه بعضًا، فكيف يكون القرآن الكريم كلامًا مهلهلًا غير مترابط، مقتبسًا من الدّيانتين السّابقتين للإسلام من جهة، ثمّ يستطيع النّبيّ تكييفه تكييفا بارعًا حسبَ حاجات شعبه من جهة أخرى.

ويتساءل عبد الكريم علي باز عن هذا التناقض بقوله "أليس من المنطق أنْ يكونُ القادر على تكييف معلوماته تكييفًا بارعًا قادرًا أيضًا على تحقيق الدّقّة؟ وإلّا فكيف يكيّفها"[1]، أمّا أنّ القرآن الكريم مقتبس من الدّيانتين اليهوديّة والنّصرانيّة فهو كلام لا دليل عليه وقد فصلّ العلماء فيه القول، وإنْ كانَ هناك أيّ تشابه بين الدّيانات السّماويّة، فهذا راجع إلى المصدر الواحد لهذه الدّيانات، ولكنّ الإسلام يتميّز عنها في أنّه قد جاء مصحّحا لها، ومبيّنًا للتحريف والعبث الذي قام به المنتسبون إليها.

35- التّوحيد نشأ بالتدريج في نظر بروكلمان:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "إنّ الوحدانيّة التجريديّة التي كانتْ إلى حدّ كبير أساس قوّة الإسلام على غزو القلوب، واكتساب الأتباع لم تنشأ إلّا تدريجًا، ولقد سبقتْ منّا الإشارة إلى نزوع النّبيّ الأوّلي إلى الاعتراف بالآلهة المكّيّة الرّئيسيّة شفعاء عند الله"[2].

[1] – عبد الكريم علي باز: افتراءات فيليب حتّي وكارل بروكلمان على التّاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص104.

[2] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص70.

إنّ التوحيد هو الأصل الذي بنيت عليه كلّ الرّسالات السّماويّة، فما من نبيّ أرسل إلّا ودعا قومه إلى عبادة الله الواحد، مصداقا لقوله تعالى ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾[1]، ولكنّ التّزييف والتّحريف قد مسّ الكتب التي سبقت رسالة الإسلام، فأشرك أهلها بعبادة الله من هو دونه من خلقه، ولذلك فقد جاء الإسلام ليصحّح المفاهيم التي طالتها أيدي العابثين، ويعلن منذُ البداية أنّه لا وجود إلّا لخالق واحد لهذا الكون، وهو وحده المستحقّ للعبادة.

ولذلك فمن الغرابة أنْ يحاول بروكلمان الطّعن في هذا الأصل وهو يعلمُ أنّه أساس كلّ ديانة سماوية نزلَتْ على بني البشر، ولو رجع هذا المستشرقُ إلى أوائل السّور القرآنيّة التي نزلت على الرّسول الكريم لعرف أنّ الإسلام قد جاء بالوحدانيّة منذ البداية، فلا يوجد أيّ دليل في القرآن الكريم أو الحديث الشّريف أو سيرة النّبي الصّحيحة يبرّر ما ذهب إليه بروكلمان من نشوء الوحدانيّة بالتّدريج، فمن أوائل ما نزل قوله تعالى "﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**﴾[2]، فقد دعا الله سبحانه من البداية إلى عبادة إله واحد، وإلى هجر الأوثان التي لا تنفع ولا تضرّ.

وقد كانتْ الفترة المكّيّة كلّها دعوة إلى التّوحيد، وهذا ما يفسّر الحرب المسعورة التي شنّتها قريش على النّبيّ الكريم ودعوته، فقد استغربوا أن تُحصر الآلهة في إله واحد، قال تعالى ﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾[3]، كما رفض النّبيّ بوحيّ من ربّه كلّ محاولات الوثنيين التي دعته إلى عبادة أوثانهم في مقابل أنْ يعبدوا هم الله الواحد، كما جاء في ‹‹سورة الكافرون››، ولم يجدْ بروكلمان من حجّة يؤيّد بها موقفه إلّا فرية الغرانيق التي ذكرها سابقًا، والتي نقلنَا أقوال أهل العلم ببطلانها وتهافتها.

[1] – سورة الأنبياء/ الآية :25.

[2] – سورة المدثر/ الآيات :1-2-3-4-5.

[3] – سورة ص/ الآية :5.

36- النّبي ﷺ اقتبس فكرة الخطيئة من التوراة حسب بروكلمان:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann " لقد اقتبس النّبيّ عن التّوراة فكرة الخطيئة الأصليّة، وعلم أنّ الله قد بعث إلى كلّ شعب في أوقات معيّنة- ابتغاء تحذير الجنس البشري من الخطيئة، وبخاصّة خطيئة عبادة الأوثان- برسل أوحى إليهم بمشيئته من طريق الملك جبريل"[1].

يزعم بروكلمان أنّ النّبيّ محمّدا قد اقتبس فكرة الخطيئة عن التّوراة، ولكنّه لم يقدّم دليلا واحدًا من القرآن أو السّنّة أو سيرة النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام يثبت به اتّهامه على وجود فكرة الخطيئة في الدّين الإسلامي، بل إنّ كلّ ما وجدَ في الدّين الإسلامي يناقض تماما ما يدّعيه بروكلمان، وهذا يؤكّد "أنّ معلومات بروكلمان ضعيفة في ناحيّة الفقه والعبادات، وهذا غير مستغرب فالرّجل لغوي في الدّرجة الأولى"[2].

وبداية ففكرة الخطيئة هي فكرة دخيلة على المسيحيّة، فقد ابتدع كتّاب العهد الجديد فرية مفادها أنّ البشر يولدون مذنبين نتيجة لخطيئة آدم الأولى، وبقوا كذلك إلى أن بعث الله المسيح فصلبَ-في زعمهم- من أجل خلاص الإنسانيّة من تلك الخطيئة، وهي فكرة باطلة مناقضة لفكرة العدل الإلهي التي يؤمن بها المسلمون، فقد وسوس الشّيطان لآدم وحوّاء عليهما السّلام حتّى دفعهما للأكل من الشّجرة التي منعا من الاقتراب منها، ولكنّ الله قدْ تاب عليهما بنصّ القرآن الكريم ﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[3]، ولذلك فقد انتهت معصية آدم بمجرّد توبة الله عليه، ولا وجود لها أصلًا لا في الإسلام ولا في الإنجيل الذي نزلَ على سيّدنا عيسى عليه السّلام.

---

[1] – كارل برزكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص70.

[2] – نفسه، ص69." تعليق عمر فروج في هامش الصفحة على آراء بروكلمان الدينية"

[3] – سورة البقرة/ الآية :37.

ولو رجع بروكلمان إلى القرآن الكريم لوجد أنّه ينفي بشكل قاطع أصل فكرة توارث الخطيئة في قوله تعالى عن المسيح عليه السّلام ﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾[1]، وإذْ لم يحدث قتل أو صلْب فقد سقطتْ فريتهم في الماء.

كما أنّ القرآن حافل بعديد الآيات التي يثني الله على نفسه فيها بالعدل، ويحثّ عباده على التّحلّي به، كما في قوله تعالى ﴿ **أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ**﴾[2]، فكيف يتصوّر بروكلمان بعد هذه الآيات أنْ يؤمن الرّسول عليه الصّلاة السّلام بفكرة توارث الخطيئة التي لا يؤيّدها النّقل ولا العقل.

37- عالمية الرسالة حسب بروكلمان:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "وليس من الميسور أنْ نقرّر على وجه الدّقّة ما إذا كانَ النّبيّ نفسه قد استشعَرَ أنّه مدعوّ لمثل هذه الرّسالة العالميّة، وفي أيّة فترة من فترات حياته كانَ ذلكَ"[3].

يشكّك بروكلمان في كون النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام قدْ عرف منذُ البداية أنّه مدعو لحمل رسالة عالمية، ثمّ نراه يتساءل عن الفترة التي يمكن أنْ يكون النّبيّ قد استشعر فيها بذلك، وكلام بروكلمان ليس جديدا في أوساط المستشرقين، فنجد **سوندرز** Saunders يقول "ما من دليل واف يدلّ على أنّ محمّد- صلّى الله عليه وسلّم-كانَ يتصوّر دينًا عالميّا لجميع النّاس أو يتصوّر أنّه أرسل لهداية شعبٍ من الشّعوب غير شعبه العربيّ وليس قصّة رسائله إلى الإمبراطور هرقل وشاه فارس وملك الحبشة وغيرهم من الرّؤساء للدّخول في دينه بالقصّة التي تقوم على أساس"[4]، ويقول المستشرق الدنماركي **فرانتس بوهل** Frants Buhl "قد يكون صحيحا أنّ ثمّة آيات مدنيّة في القرآن تتجاوز المفهوم السّابق عن أنّه بعث نبيّا

[1] – سورة النساء/ الآية:157.

[2] – سورة النجم/ الآية :38-39.

[3] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص70-71.

[4] – أنور محمود زناتي: معجم افتراءات الغرب على الإسلام، دط، دت، ص82.

إلى العرب. غير أنّه حتّى تلك الآيات التي كثيرا ما يشار إليها على أنّها دليل على أنّه كان يؤمن بأنّ رسالته هي للعالم أجمع لا تدلّ على ذلك إلّا إذا نحن تجاوزنا معناها الحرفي إلى تفسير أوسع"[1].

وفي ردّه على بعض المستشرقين الذي ردّدوا فرية أنّ الإسلام خاص بالعرب فقط يرى عبد الرحمان بدوي أنّه" لم يكن لدى محمّد في أيّ لحظة من اللحظات هذا المفهوم المحدود عن الإسلام بل على العكس فقد اعتبر الإسلام دينا لكلّ البشر يجب أن يحلّ محلّ جميع الأديان وفي أيّ مكان كان"[2]، ويضيف في موضع آخر بأنّه" ليس ثمّة ريب في أنّ النّبيّ محمّدا ﷺ رسول من الله عزّ وجلّ إلى كلّ البشر دون تفرقة بسبب الجنس أو القومية أو الحدود أو اللغة أو اللون إنّ عالمية الرسالة المحمّدية حقيقة ثابتة لا مراء فيها"[3].

ولذلك نقول إنّ النّبيّ لم يستشعر أنّه مدعوّ لحمل رسالة عالميّة، بل هو أمر إلهي نزل عليه في غار حراء منذ بداية بعثته، وكان عليه الامتثال لأمر ربّه، فقد حفظه الله سبحانه وتعالى منذ صغره، وصنعه على عينه، وطهّره من عيوب الجاهليّة ودنسها، ثمّ اختاره لمّا بلغ سنّ الأربعين كما اختار الأنبياء من قبله، ليبلّغ رسالته إلى النّاس كافّة، وقد نزلَت آيُ القرآن الكريم منذ البداية مبيّنة أنّ الإسلام دينٌ عالميٌّ، وأنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

فنجد قوله تعالى ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾[4]، وكذا قوله تعالى ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[5]، وقوله أيضًا ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾[1]، فهذه

[1] – فرانتس بول: مقال في: موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط1، مركز الشارقة، 1998م، ج29، ص9147.

[2] – عبد الرحمان بدوي: دفاع عن محمد–ص– ضدّ المنتقصين من قدره، تر: كمال جاد الله، دط، الدار العالمية للكتب والنشر، ص200.

[3] – عبد الرحمان بدوي: دفاع عن القرآن ضدّ منتقديه، تر: كمال جاد الله، دط الدار العالمية للكتب والنشر، ص18.

[4] – سورة الفرقان/ الآية :1.

[5] – سورة الأنبياء/ الآية :107.

بعض الآيات التي نزلتْ بمكّة، وهي دليل على عالميّة الإسلام، وعلى صدق نبوّة المصطفى عليه الصّلاة والسّلام، فلو كان القرآن من تأليف محمّد، ولو كان محمّدٌ مجرّد مصلح لوجدناه قد سعى في بداية الأمر إلى دعوة قريش فقط، ولرفض أيّ وافد جديد على الدّين من خارج جزيرة العرب، ولكنّ المصادر الإسلاميّة تخبرنا عن إسلام بلال الحبشيّ وصهيب الرّومي وسلمان الفارسي، كما دخل في الدّين بعض النّصارى واليهود، وهم من غير العرب.

كما نجد في كتب الصّحاح أحاديث للرّسول عليه الصّلاة والسّلام تؤيّد عالميّة الإسلام، فنجد في البخاريّ قوله "أعطيْتُ خمسًا لم يعطهنّ أحدٌ من الأنبياء قبلي: نُصرتُ بالرّعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا وأيّما رجل من أمّتي أدركته الصّلاة فليصلّ، وأُحلّت لي الغنائم، وكان النّبيّ يبعث إلى النّاس خاصّة وبعثت إلى النّاس كافّة، وأعطيت الشّفاعة"[2].

كما تتّفق المصادر الإسلاميّة، على أنّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام قد بعث برسائل إلى ملوك الأرض يدعوهم فيها إلى الإسلام، وتذكر نفس المصادر أنّ مقوقس القبط قدْ أهدى إلى النّبيّ جاريتين كانت إحداهما ماريّة القبطيّة التي تزوّجها النّبيّ، وأنجب منها ولده إبراهيم، كما نجد فيها مراسلته لنجاشي الحبشة، وكسرى الفرس، وهذا ردّ صريح على المستشرقين الذين ينكرون وجود مراسلات بينَ النّبيّ وملوك الدّول.

ولذلك فعالميّة الإسلام واضحة من القرآن الكريم وسنّة النّبيّ القوليّة والفعليّة، والذين ينكرون ذلك كبروكلمان لم يقدّموا أيّ دليل موضوعيّ يبرّرون به موقفهم، والحقيقة أنّ هؤلاء المستشرقين ومن شايعهم لا يؤمنون برسالة النبيّ محمّد عليه الصّلاة والسّلام لا إلى العرب خاصة ولا إلى النّاس عامة، ولكنّ

[1] – سورة الأعراف/ الآية:158.

[2] – محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ص 118. رقم الحديث "438"

هدفهم هو تشويه صورة الإسلام، والوقوف حجر عثرة أمام كلّ من يروم البحث عن الحقيقة من بنيّ جلدتهم.

38- الطّعن في الحديث الشريف:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann " والواقع أنّ القرآن بوصفه قانون الحياة ومحكّها، إنّما أكمل للمسلمين بسنّة النّبيّ، أيْ بأقواله وأعماله كما وصلَتنا في الحديث من طريق الصّحابة، ولكنّ القسم الأعظم من الحديث المتّصل بسنّة الرّسول لم ينشأ إلّا بعدَ قرنين من ظهور الإسلام، ومن هنا تعيّنَ اصطناعه كمصدر لعقيدة النّبيّ نفسه في كثير من الاحتياط والحذر"[1].

بعد الطّعن في القرآن الكريم يوجّه بروكلمان سهامه للتّشكيك في السّنّة النّبويّة فزعم أنّ علم الحديث قد نشأ واصطنع بحذر شديد بعد قرنين من وفاة النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، ولم يكن بروكلمان بدعًا في هذا الافتراء فقد سبقه العديد من المستشرقين في التّهجّم على السّنّة النّبويّة كالمستشرق اليهوديّ جولد زيهر Ignaz Goldziher ، وجوزيف شاخت joseph schacht ، وقد سار في فلكهم العديد من أبناء جلدتنا كالشّيخ محمود أبي ريّة، وإذا كان هؤلاء قد طعنوا في النّبوة والوحي، فلا عجب إذَن أنْ يطعنوا في أيّ شيء آخر دونهما.

وقد اتّفق علماء المسلمين قديمًا وحديثًا على المكانة الرّفيعة التي تبوّأتها السنّة النّبويّة، فهي المصدر الثّاني من مصادر التّشريع الإسلاميّ بعد القرآن الكريم، وهي مرتبطة به، و "مبيّنة وشارحة له تفصّل مجمله، وتوضّحُ مُشْكَله، وتقيّد مُطلقه، وتخصّص عامّه، وتبسّط ما فيه من إيجاز"[2].

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص71.

[2] – محمد محمد أبو شهبة: دفاع عن السنة، مرجع سابق، ص5.

وقد عرف الصّحابة الكرام عصمة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، وأنّه لا ينطق عن الهوى، فحرصوا على جمع الأحاديث النّبويّة منذ البداية، وخاصّة من لم تسعفه حافظته منهم، ولكنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم كانَ قدْ منعهم في البداية مخافة أنْ يختلط عليهم القرآن بالسّنّة، وذلك لأنّهم كانوا حديثي عهد بإسلام، ثمّ أذن لهم في الكتابة لاحقًا، واستمر الحال كذلك في عهد الخلفاء الرّاشدين، فكانت سنّة النّبي عليه الصّلاة والسّلام وأحاديثه تروى مشافهة، ولمّا جاء عصر الأمويين بعث الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى عمّاله بالأمصار وطلب منه جمع الأحاديث النّبويّة وتدوينها، مخافة أنْ تضيع بموت أصحابها، أو أنْ يدخلَ الوضّاعون في الحديث ما ليس منه، فنشطت حركة التّدوين في عهد عمر بن عبد العزيز وبعده، ووضع علماء الحديث شروطا صارمة في أخذ الحديث.

39- الحديث عن اليوم الآخر مستمد من اليهودية في نظر بروكلمان:

يقول كارل بروكلمان Carl Brocklmann "وفي مكّة دارت فكرات محمّد الدّينيّة، أوّل ما دارت على محور الآخرة، وإنّما ترجع معتقداته فيما يتعلّق بالعالم الآخر إلى مصادر يهوديّة، وهكذا تتّصل بصورة غير مباشرة بمصادر فارسيّة وبابليّة قديمة، ولقد اعتقد بادئ الأمر أنّ القيامة على وشك الحلول، ليجد نفسه مضطرّا بعدُ إلى أنْ يغفل تحديد ميقات لها، لأنّ الله احتفظ بعلم ذلك لنفسه"[1].

يرى بروكلمان أنّ حديث القرآن الكريم عن الآخرة يرجع في الأساس إلى تأثّره بمصادر يهودية، كما أنّه يتّصل بصورة غير مباشرة بمصادر فارسيّة وبابلية، ولكنّ بروكلمان لم يأت على ذكر هذه المصادر اليهوديّة التي أخذ عنها القرآن الكريم، كما أنّه تناسى أنّ الحديث عن الدّار الآخرة هو فكرة ثابتة في جميع الرّسالات السّماوية السّابقة للإسلام واليهودية، بل قد وجد الحديث عنه بصور مختلفة في كثير من الدّيانات الوضعية في مصر والهند وفارس وغيرها والتي لامجال للشّك في أنّها متأثّرة في ذلك بأديان

[1] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص71.

سماوية سابقة لها، فالله سبحانه قد أرسل لكلّ أمّة رسولا يذكّرهم بعقيدة التّوحيد وينذرهم بحقيقة الدّار الآخرة، وذلك مصداقا لقوله تعالى ﴿ **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾[1]، ثمّ لم تلبث تلك الدّيانات أنْ طالها التّحريف والتّغيير بفعل تقادم الأزمنة وعبث البشر بها خدمة لأهوائهم وتصوّراتهم، ولذلك نؤيّد درّاز في قوله أنّ" الحقيقة التي أجمع عليها مؤرّخو الأديان هي أنّه ليست هناك مجموعة إنسانيّة بل أمّة كبيرة ظهرت وعاشت، ثمّ مضت دون أنْ تفكّر في مبدأ الإنسان وفي مصيره وفي تعليل الكون وأحداثه"[2].

ويضاف إلى هذا أنّ بروكلمان يناقض نفسه في الفكرة التّالية لفكرته مباشرة حيث يقول" وتوقّع محمّد أن تعلن ساعة الحساب بنفخة هائلة أو دويّ عظيم، ثمّ تحدّث بعد عن النّفخ في الصّور...وعندئذ تزلزل الأرض في الحال وتسيّر الجبال كالسّراب أو تتطاير فهي تمرّ مرّ السّحاب فتنقلب هباءً منثورًا..."[3]، فهذه الأحداث التي يراها بروكلمان توقّعات لم يأخذها النّبيّ الكريم عن المصادر اليهوديّة ولا غيرها.

ويعلّق أحد الباحثين بقوله أنّه" بالتّأمل في أسفار موسى الخمسة الحالية، والتي يطلق عليها اليهود اسم التّوراة وجدنا أنّها خالية من الحديث عن البعث والجزاء والجنّة والنّار"[4]، وفي نفس السّياق يندرج قول أبي الفداء بأنّه" ليس في التّوراة ذكر القيامة ولا الدّار الآخرة، ولا فيها ذكر بعث ولا جنّة ولا نارٍ، كلّ جزاء فيها إنّما هو معجّل في الدّنيا، فيجزون على الطّاعة بالنّصر على الأعداء وطول العمر وسعة الرّزق ونحو ذلك، ويجزون على الكفر والمعصية بالموت ومنع القطر والحمايات والحرب ونحو ذلك"[5].

---

[1] – سورة فاطر/ الآية :24.

[2] – محمد عبد الله درّاز: الدين، مطبعة السّعادة 1969م، ص34. نقلا عن: فرج الله عبد الباري: يوم القيامة بين الإسلام والمسيحيّة واليهودية، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004م، ص21.

[3] – كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص71.

[4] – فرج الله عبد الباري: يوم القيامة بين الإسلام والمسيحيّة واليهودية، مرجع سابق، ص150.

[5] – أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر،م1،ج1، ص109 نقلًا عن: عبد الله محمد الأمين النعيم: الاستشراق في السيرة النبوية، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1997م، ص190.

وعليه فإذا كان هناك أيّ تشابه بين القرآن والتّوراة والإنجيل فهو يعود إلى المصدر الواحد الذي يجمع بين هذه الكتب الثّلاثة، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ القرآن الكريم هو الكتاب الذي تكفّل الله سبحانه وتعالى بحفظه، فقد كتب في عهد الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، وهو المهيمن على الكتب الأخرى والنّاسخ لأحكامها، أما التّوراة فقد تأثّرت وحرّفت كثيرا بعد الغزو البابلي، ونفس الشّيء حصل للإنجيل فقد دخلت إلى المسيحيّة الكثير من المعتقدات الوثنيّة نتيجة الصّراع بين الفرق المسيحيّة المتناحرة، وكذلك تبنّي الامبراطورية الرّومانية لها، ولذلك فلا يوجد دليل ملموس على أخذ القرآن الكريم من مصادر يهوديّة، فكلام بروكلمان مبنيّ على تعصّبه ضد الإسلام، وغير مؤيّد بأيّ دليل علمي.

خاتمة:

نصل في ختام بحثنا هذا إلى محطّتنا الأخيرة وهي خاتمته لنقف على أهمّ النتائج التي توصّلنا إليها من خلال هاته الدّراسة:

– من الواضح أنّ هناك كمّا هائلا من المخطوطات العربية والإسلامية وصل إلى رفوف المكتبات الغربية عبر فترات طويلة كان فيها العالم الإسلامي يرزح تحت نير الجهل والتخلف والاستعمار.

– العمل الجماعي والتفاني الكبير من طرف المستشرقين ومن خلفهم في سبيل الوصول إلى الأهداف التي يرجونها، فقد ظهرت أعمال استشراقية ضخمة كدائرة المعارف الإسلامية والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف، والتي أفنى فيها الكثير من المستشرقين أعمارهم حتى ترى النور.

– أنّ هناك جهودا مبذولة من قبل المستشرقين عمومًا، ومن قبل المدرسة الاستشراقية الألمانية على وجه الخصوص في تحقيق المخطوطات ونشر كتب تراثنا الإسلامي ونفض الغبار عنها، فظهرت شخصيات استشراقية ألمانية كان لها بصمتها الواضحة في تراثنا العربي الإسلامي.

– أنّ المستشرقين لم يكونوا لفقا واحدا في دراستهم لتراثنا الإسلامي، فهناك من انطلق من دوافع دينية بحتة، فتركّز هدفه على تقويض أركان الدّين الإسلامي ومحاولة وقف انتشاره، وهناك من انطلق من دوافع اقتصادية أو استعمارية، كما نجد أيضا أصحاب الدّوافع العلمية والتي قادتهم أبحاثهم إلى تقبل الإسلام أو على الأقل نقل صورة إيجابية عنه إلى بني جلدتهم.

– توسّع العلاقة بين الاستشراق والعالم الإسلامي في وقتنا الراهن وانتقاله من التركيز على العلوم الإسلامية كالفقه والسيرة والأدب العربي إلى الاهتمام بمواضيع معاصرة في مختلف الجوانب الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية كالسياحة والعمران والإعلام وغير ذلك.

– اربتط الاستشراق الألماني ردحا من الزمن بالكنيسة الغربية، ولذلك فلم تكن الدراسات الإسلامية خدمة للمسلمين، بل لاستعمال اللغة العربية كوسيلة للوصول إلى فهم أفضل للكتاب المقدس عندهم.

– أنّ المدرسة الاستشراقية الألمانية لم تخلُ من الدّافع الاستعماري مثلها مثل بقية مدارس الاستشراق الأخرى، وخاصة في العصر الحديث، فقد دخل الاستشراق تحت عباءة السياسة.

– أنّ المستشرق كارل بروكلمان لم يأت بجديد في ميدان سيرة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام فقد اتّكأ هذا المستشرق في نظرته للسيرة النبوية على آراء أساتذته الألمان من أمثال يوليوس فلهاوزن و تيودور نولدكه أو من سبقه من الغربيين في دراسة السيرة النّبوية كالأب لامانس اليسوعي.

– انطلق بروكلمان كغيره من المستشرقين من إنكار نبوة النّبي محمّد صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ سعى جاهدا لإثبات هذه الفكره عن طريق ليّ أعناق النّصوص، والاعتماد على الروايات الضعيفة و المكذوبة وتقديم فرضيات بدون دليل لتعضيد ما يريد الوصول إليه.

– تجاهل بروكلمان لكلّ المصادر الإسلامية وعلى رأسها القرآن الكريم وكتب السّنة الصّحيحة في دراسته لسيرة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام وبيان نشأته وأخلاقه وحسن تعامله مع العدوّ قبل الصّديق، وفي حال رجوعه إلى هذه المصادر نراه يركّز على المتشابه ويحاول إعمال رأيه الشخصي بدون دليل علمي وينطبق عليه قوله تعالى" **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** " **البقرة/ الآية:85.**

– لقد جانب بروكلمان الصواب في حديثة عن سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، ولم يأت بجديد يذكر بل ظهر عجزه وضحالة معلوماته، فتأثّر خطى من سبقه من المستشرقين في كيل الاتّهامات والتشويه لسيرة النّبي عليه الصلاة والسّلام، وهذا على عكس عمله في كتابه" تاريخ الأدب العربي" الذي ظهر فيه متخصّصا ملمّا بموضوع دراسته.

وبعد هذه النّتائج لابدّ من الإشارة إلى بعض التّوصيات:

– ضرورة دراسة كتب المستشرقين الغربيين في كافة المجالات التي كتبوا فيها وبخاصة ما يتعلّق بالعقيدة الإسلامية لتبيين صحيحها من فاسدها، والرّد عليها بلغة علمية موضوعية لأنّ لها بالغ الأثر في إيصال صورتنا للآخر.

– على كلّ من يتصدّى لميدان الاستشراق أن يرتكر على قاعدة متينة، فيتشبّع بمبادئ ثقافته الإسلامية أوّلا ويعكف على دراستها وفهم كلّ ما يتعلّق بها ثمّ يركّز جهده في الرّد على المستشرقين ودحض افتراءاتهم.

– ضرورة الانتباه والتّركيز على الأساليب الاستشراقية الجديدة في عصرنا الحديث، فقد نزع الاستشراق عباءته القديمة، ولبس مسوح العلم والتّحضّر، وصار يهاجمنا بأساليب حديثة كوسائل التواصل الاجتماعي والأدوات الشبكية المعاصرة.

– التركيز على إقامة المؤتمرات والنّدوات والقنوات المتخصّصة في الرّد على الاستشراق الحديث، وبيان زيف الحضارة الغربية وإفلاسها روحيا.

– ضرورة التفكير في إنشاء فكر مضاد للفكر الاستشراقي يسمّى بعلم الاستغراب، نركّز فيه على عيوب الحضارة الغربية وإعطاء البديل من شريعتنا الإسلامية الخالدة.

وفي الختام نقول أنّ الاستشراق لم ينته بعد ولن ينتهي في المستقبل القريب حتى وإنْ لبس ثوبًا آخر في عصرنا هذا، ودخل علينا بغير وجهه المعروف قديما، فمادام أنّ هناك حضارة إسلامية قوية– حتّى وإنْ تخلّفت عن الرّكب الحضاري في زماننا– فهو يرى بأنّها قادرة على النّهوض إذا أخذت بأسباب القوّة وتمسّكت بدينها واستغلّت خيراتها لفائدة أبنائها وسعت للتّخلص من العبودية المفروضة عليها.

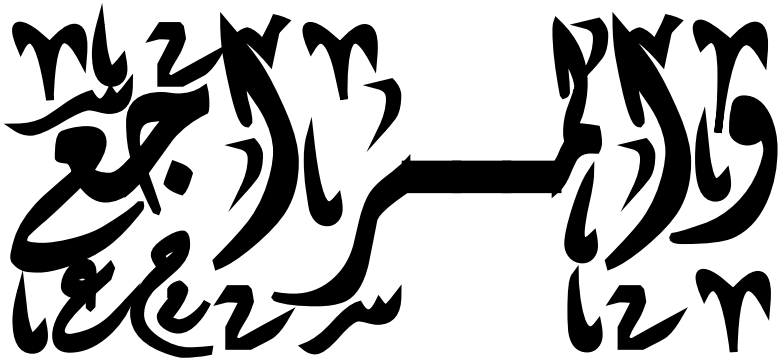

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم)**

أوّلا: الكتب العربية

إبراهيم أحمد

- سيظلّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم مهما أساؤوا، دط، دار ناشري، الكويت، اكتوبر 2011.

إبراهيم عوض

- ترجمة جاك بيرك للقرآن الكريم بين المادحين والقادحين، دط، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2000م.
- محمّد ونهاية العالم للمستشرق الفرنسي بول كازانوفا عرض ومناقشة، دط، مكتبة الشيخ أحمد، القاهرة، 2018م.
- مصدر القرآن دراسة لشبهات المستشرقين والمبشّرين حول الوحي المحمّدي، دط، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1417هـ/1997م.

ابن الأثير

- الكامل في التّاريخ، ط1، مج 2، دار الكتب العلميّة، بيروت،1987م.

أحمد أبو زيد

- السيرة النّبويّة، ط1، دار التقريب، بيروت، 2004م.

أحمد بن حنبل

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، إبراهيم الزيبق، محمّد أنس الخنّ، ط1، مؤسّسة الرسالة، بيروت، 2001م، ج41.

أحمد سمايلوفيتش

- فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د ط، دار الفكر العربي،1998م.

أحمد الشّيخ

- من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب حوار الاستشراق، ط1، المركز العربي للدراسات الغربية، يناير 1999.

إسماعيل بن حمّاد الجوهري

- الصحاح، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، يناير 1990م، ج4.
- تاج اللغة وصحاح العربية، ط1، دار الحديث، القاهرة، 2009م.

إسماعيل بن عمر بن كثير

- تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمّد السّلامة، دط، دار طيبة للنّشر والتّوزيع، دت، ج8.

إسماعيل علي محمّد

- الاستشراق بين الحقيقة والتّضليل، ط3، دار الكلمة، القاهرة، 2000م.

أكرم ضياء العمري

- السّيرة النّبويّة الصّحيحة، ط6، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1994م، ج1.

أنور محمود زناتي

- زيارة جديدة للاستشراق، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2006م.
- معجم افتراءات الغرب على الإسلام، دط، دت.

ابن تيمية

- أهل الصّفّة وأحوالهم، تح مجدي فتحي السّيّد، ط1، دار الصّحابة للتراث، طنطا، 1990م.

أبو عثمان الجاحظ

- المختار في الرّد على النّصارى، تح: محمد عبد الله الشرقاوي، ط1، دار الجبل، بيروت،1991م.

أبو بكر جابر الجزائري

- هذا الحبيب، دط، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2016م.

جلال الدين السيوطي

- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ط2، مكتبة الكوثر، الرياض، 1415هـ.

جلال الدّين المحلّي ، جلال الدّين السّيوطي

- تفسير الجلالين الميسّر، ط1، مكتبة ناشرون، لبنان، 2003م.

جواد علي

- المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، 1993م، ج6.

جوزيف شاخت، كليفورد بوزوروث

- تراث الإسلام، عالم المعرفة، الكويت، يناير 1978، ج1.

ابن حجر العسقلاني

- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2001م.

أبو الحسن النّدوي

- الخطر الأكبر على العالم العربي، ط1، دار الصّحوة، القاهرة، 1994م.

الحسين بن مسعود البغوي

- تفسير البغوي معالم التّنزيل، ط1، دار طيبة للنّشر والتّوزيع ،1411هـ، ج5.

سائد بكداش

- فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1996م.

ساسي سالم الحاج

- نقد الخطاب الاستشراقي الظّاهرة الاستشراقيّة وأثرها في الدّراسات الإسلاميّة، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان، يناير 2002م، ج1-ج2.

سامي عامري

- هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنّصارى؟، ط1، مركز رواسخ، الكويت، 2018م.

ابن سيّد النّاس اليعمري

- عيون الأثر في فنون المغازي والشّمائل والسّير، تح: محمد العيد الخطراوي، محي الدين مستو، دط، دار ابن كثير، دمشق، ج1.

السهيلي

- الرّوض الأنف في تفسير السّيرة النّبويّة لابن هشام، دط، دار الكتب العلميّة، بيروت، ج2.

سهيل قاشا

- صفحات من تاريخ المسيحيين العرب قبل الإسلام، ط1، منشورات المكتبة البولسيّة،2005م.

شوقي أبو خليل

- الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشّرين، ط1، دار الفكر، دمشق، 1995م.
- غوستاف لوبون في الميزان، ط1، دار الفكر، دمشق، 1990م.

- كارل بروكلمان في الميزان، ط1، دار الفكر، دمشق، دت.

صلاح الدين المنجد

- المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، ط1، دار الكتاب الجديد، لبنان، 1978م، ج1.

أبو بكر بن عبد الله ابن العربي

- أحكام القرآن، راجعه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، لبنان، دت، ج3.

عبد الجليل عبده شلبي

- صور استشراقية، دط، سلسلة البحوث الإسلاميّة، محرم 1398هـ/ يناير 1978م.

عبد الرحمان بدوي

- موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، يوليو 1993.
- دراسات المستشرقين حول صحّة الشعر الجاهلي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1989م.
- دفاع عن القرآن ضدّ منتقديه، دط، الدار العالمية للكتب، دت.
- دفاع عن محمد صلى اللع عليه وسلم ضد المنتقصين من قدره، دط، الدار العالمية للكتب، دت.

عبد الرّحمان حسن حبنكة الميداني

- أجنحة المكر الثّلاثة وخوافيها، ط8، دار القلم، دمشق، 2000م.

عبد الرحمان عبد الخالق

- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسّنة، ط2، مكتبة ابن تيمية، الكويت.

عبد العظيم الديب

- المستشرقون والتراث، ط3، دار الوفاء، المنصورة، 1413هـ-1992م.

عبد الكريم علي باز

- افتراءات فليب حتّي وكارل بروكلمان على التّاريخ الإسلامي، ط1، دار تهامة، جدّة، 1982م.

عبد الله محمد الأمين النعيم

- الاستشراق في السيرة النبوية، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1997م.

عبد المتعال محمد الجبري

- الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1995م.
- السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، دط، مكتبة وهبة، القاهرة، دت.
- السيرة النّبوية وكيف حرّفها المستشرقون (نقد لكتاب مختصر حياة محمد لسفاري)، ط1، دار الدعوة، الإسكندرية، 1994م.

عبد المنعم فؤاد

- من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2001م.

علي بن ابراهيم النملة

- الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب،ط2، مكتبة بيسان، بيروت، ماي2015م.
- كنه الاستشراق المفهوم–الأهداف–الارتباطات، ط3، بيسان، بيروت، اكتوبر 2011م.

عماد الدين خليل

- دراسة في السّيرة، ط13، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1991م.

عمر بن إبراهيم رضوان

- آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره (دراسة ونقد)، ط1، دار طيبة، الرياض، 1992م، ج1.

عمر عودة الخطيب

- لمحات في الثّقافة الإسلاميّة، ط3، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1989م.

عمرو كامل عمر

- حصان طروادة الغارة الفكرية على الديار السّنية، ط2، دار القمري، مصر، 2014م.

أبو الفضل عياض اليحصبي

- الشّفا بتعريف حقوق المصطفى، دط ، دار الكتب العلميّة، لبنان، ج2.

غيثان علي جريش

- افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية، ط4، جدة، 1418هـ.

فرج الله عبد الباري

- يوم القيامة بين الإسلام والمسيحيّة واليهودية، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004م.

قاسم السامرائي

- الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، ط1، دار الرفاعي للنشر والتوزيع والطباعة، 1983م.

ابن قيم الجوزية

- عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ط3، دار ابن كثير، دمشق، 1989م.

لخضر الشّايب

- نبوّة محمّد في الفكر الاستشراقي المعاصر، دط، مكتبة العبيكان، الرياض، دت.

لويس شيخو

- النّصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، ط2، دار المشرق، بيروت، 1989م.

محمد ابن إسماعيل البخاري

- صحيح البخاري، ط1، دار ابن كثير، دمشق،1423هـ/2002م.

محمّد بن جرير الطّبري

- تاريخ الرّسل والملوك، ط2، دار المعارف، مصر،ج2.

محمد بن محمد أبو شهبة

- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التّفسير، ط4، مكتبة السّنة، القاهرة، 1408هـ.

محمّد بهاء الدّين

- المستشرقون والحديث النّبوي، ط1، دار النفائس، الأردن، 1999م-1420هـ.

محمد حسين هيكل

- حياة محمّد، ط14، دار المعارف، القاهرة، دت.

محمد الخضري

- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، تح: حمدي زمزم، دط، دار الإيمان، دمشق، 1988م.
- نور اليقين في سيرة سيّد المرسلين، تح: سمير أحمد العطّار، دط، دار الحديث، القاهرة.

محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبي

- السيرة النّبويّة، تح: حسام الدّين القدسي، دط، دار الكتب العلميّة، بيروت، دت.

محمد سعيد رمضان البوطي

- فقه السيرة النبوية، ط43، دار الفكر، دمشق، 2019م.

محمد صالح البنداق

- المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م.

محمد عبد الرحيم الزّيني

- الاستشراق والمستشرقون رؤية موضوعية، ط1، دار اليقين، مصر، 2013م.

محمد عبد العظيم الزرقاني

- مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد زمرلي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1995م، ج2.

محمد الغزالي

- دفاع عن العقيدة والشّريعة ضدّ مطاعن المستشرقين، ط7، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، مصر، أبريل 2005م.
- فقه السّيرة، دط ، دار الشروق، دت.

محمد فتح الله الزّيادي

- الاستشراق أهدافه ووسائله، ط1، دار ابن قتيبة،1998م.
- ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، ط1، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1392هـ-1983م.

محمد فؤاد عبد الباقي

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دط، دار الحديث، القاهرة، 1364هـ.

محمد محمد أبو شهبة

- المدخل لدراسة القرآن الكريم، ط3، دار اللواء، الرياض، 1987م/1407هـ.
- دفاع عن السنة، مجمع البحوث الإسلامية، ط2، القاهرة، 1406هـ/1985م.

محمّد مصطفى حلمي

- الحياة الروحية في الإسلام، د ط، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2011م.

محمد مصطفى هدارة

- موقف مرجليوث من الشعر العربي، مقال من كتاب: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية

الإسلامية، دط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ج1.

محمود بن الشريف

- الأديان في القرآن، ط5، مكتبات عكاظ، جدّة، 1984م.

محمود حمدي زقزوق

- الاستشراق والخلفيّة الفكريّة للصراع الحضاري، د ط، دار المعارف، القاهرة.

محمود شلتوت

- من توجيهات الإسلام، ط8، دار الشّروق، القاهرة، 2004م.

محمود العرب

- إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم، ط1، نهضة مصر، مصر، أفريل 2006م.

محمود ماضي

- الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، ط1، دار الدعوة، القاهرة، 1996م.

محمود محمد شاكر

- نمط صعب ونمط مخيف، ط1، دار المدني، جدّة، 1996م.

محمد ابن سعد

- كتاب الطبقات الكبير، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1.

مجد الدين الفيروزبادي

- القاموس المحيط، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت،2005م.

مسلم بن الحجاج

- صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1991م، ج2.

مصطفى السباعي

- الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)، دط، دار الوراق.
- السّيرة النّبويّة دروس وعبر، دط، دار بن حزم.

ناصر الدين الأسد

- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط7، دار الجبل، بيروت، 1988م.

نبيل لوقا بباوي

- محمّد والخناجر المسمومة الموجّهة إليه، دط، دت.

نجدة رمضان

- ترجمة القرآن الكريم وأثرها في معانيه، دط. دت.

نجيب العقيقي

- المستشرقون، ط5، دار المعارف، القاهرة، ج1- ج2 -ج3.

نذير حمدان

- مستشرقون(سياسيون جامعيون مجمعيون)، ط1، مكتبة الصديق، الطائف، 1408هـ-1988م.

ابن هشام

- السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دط ج1، دت.

يحي مراد

- ردود على شبهات المستشرقين، د ط.

يحي وهيب الجبوري

- المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

ثانيا: كتب مترجمة

أبراهام غايغر

- اليهودية والإسلام، تر: نبيل فياض، ط1، دار الرافدين، لبنان، 2018م.

إجناس جولد تسيهر

- العقيدة والشريعة في الإسلام، تر: محمد يوسف موسى وآخرون، ط2، دار الكتب الحديثة، القاهرة، دت.

- دراسات محمدية، تر: الصديق بشير نصر، ط2، مركز العالم الإسلامي لدراسة الاستشراق، لندن،2009م، ج2.

إميل درمنغم

- الشّخصية المحمّديّة السّيرة والمسيرة، تر: عادل زعيتر، ط3، الشعاع للنشر والتوزيع، مصر، 2005م.

أنا ماري شيمل

- روحي أنثى (الأنوثة في الإسلام)، تر: لميس فايد، ط1، الكتب خان، 2016م.

بلاشير

- القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، تر: رضا سعادة، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1984م.

توماس كارليل

- الأبطال، تر: محمد السباعي، ط3، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر،1930م.

تيودور نولدكه

- تاريخ القرآن، تر:جورج تامر،ط1، دار نشر جورج ألمز، بيروت، 2004م.

جاك ريسلر

- الحضارة العربيّة، تر: خليل أحمد خليل، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1993م.

جوزيف شاخت

- أصول الفقه المحمّدي، تر: رياض الميلادي، وسيم كمّون، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2018م.
- أصول الفقه، تر: إبراهيم خورشيد وآخرون، دط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981م.

جون اسبوزيتو

- مستقبل الإسلام، تر: دار النّشر للجامعات، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2011.

ديفيد صمويل مرجليوث

- أصول الشعر العربي، ترجمة وتعليق ودراسة: إبراهيم عوض، دط، دار الفردوس، 2006م.

ر. أ. نيكلسون

- الصوفية في الإسلام، تر: نور الدين شريبة، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2002م.

- في التّصوف الإسلامي وتاريخه، تر: أبو العلا عفيفي، د ط، القاهرة، 1947م.

روجيه جارودي

- حفّارو القبور الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، تر: عزّة صبحي، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2002م.

رودي بارت

- الدراسات العربيّة والإسلاميّة في الجامعات الألمانيّة "المستشرقون الألمان من تيودور نولدكه"، تر:د مصطفى ماهر، دط، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011م.
- محمد والقرآن دعوة النبي العربي ورسالته، تر: رضوان السيد، ط1، مؤسسة شرق غرب، الإمارات العربية المتحدة، 2009م.

زيغريد هونكه

- شمس العرب تسطع على الغرب " أثر الحضارة العربية في أوربا"، تر: فاروق بيضون، كمال دسوقي، ط8، دار الجيل، بيروت، 1993م.

سليمان الندوي

- الرّسالة المحمّدية، تر: محمّد ناظم الندوي، ، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 2002م.

غوستاف لوبون

- حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، دط، مؤسسة هنداوي للتّعليم والثقافة، مصر، 2012م.

كارل بروكلمان

- تاريخ الشّعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، تموز 1968م.

كولين تيرنر

- الإسلام الأسس، تر: نجوان نور الدين، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009م.

ماسينون ، مصطفى عبد الرّازق

- التّصوف، تر: إبراهيم خورشيد وآخرون، ط، دار الكتاب اللبناني، 1984م.

محمّد أسد

- الإسلام على مفترق الطّرق، تر: عمر فرّوخ، د ط، دار العلم للملايين.

محمد حسن زماني

- الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، تر: محمد نور الدين عبد المنعم، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010م.

هاينس هالم

- الغنوصية في الإسلام، تر: رائد الباش، ط2، منشورات الجمل، بيروت، 2010م.

ول وايريل ديورانت

- قصّة الحضارة، تر: محمّد بدران، دط، بيروت، ج2، مج4.

وليم مونتجمري وات

- محمّد في مكّة، تر: عبد الرّحمان عبد الله الشّيخ، دط، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1994م.

ويلز

- معالم تاريخ الإنسانيّة، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، ط3، ج3، دت.

يوليوس فلهاوزن

- تاريخُ الدّولة العربيّة من ظهور الإسلام إلى نهاية الدّولة الأمويّة، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط2، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1968م.

يوهان فوك

- تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين، تر: عمر لطفي العالم، ط2، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2011م.
- العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، تر: رمضان عبد التواب، دط، مكتبة الخانجي ، مصر،1400هـ-1980م.

ثالثا: الأطروحات الجامعية

أمل بنت عبيد عواض الثبيتي

- السيرة النبوية في كتابات المستشرقين البريطانيين دراسة تاريخية نقدية لآراء (توماس كارلايل، توماس أرنولد، ألفريد جيوم)، أطروحة ماجيستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1424هـ.

بوزقاو مريم

- الاستشراق بين الرفض والقبول في الثقافة العربية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة جيلالي اليابس، كلية الآداب واللغات والفنون، سيدي بلعباس، الجزائر، 2019-2020م.

رائد محمد عبد الوهاب أبو رية

- السيرة النبوية في فكر(مونتجمري وات وكارين أرمسترونج) دراسة تحليلية تقويمية، رسالة ماجيستير، جامعة الأزهر الشريف، كلية أصول الدين والدعوة، طنطا، مصر، دت.

سريسر مليكة

- ترجمة معاني القرآن الكريم عند دونيز ماسون -دراسة تطبيقية-، شهادة ماجيستير، جامعة وهران، كلية الآداب والفنون، وهران، الجزائر، 2011-2012م.

سلطان بن عمر بن عبد العزيز الحصين

- موقف المستشرق سيديو من السيرة النبوية، بحث مكمل لنيل درجة الماجيستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة، المملكة العربية السعودية، 1413هـ.

عبد الحميد برقية

- الاستشراق الفرنسي والجزائر فيما بين 1879- 1962 ذراسة تاريخية فكرية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة 8 ماي 1945، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قالمة ، الجزائر، 2021-2022م.

المحسن بن علي بن صالح سويسي

- مؤتمرات المستشرقين العالمية نشأتها -تكوينها – أهدافها رسالة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1419هـ -1998م.

محمد إبراهيم محمد نور عبد اللطيف

- آراء المستشرق جوزيف شاخت حول حجّية السنة النبوية من خلال كتابه أصول الشريعة المحمدية، أطروحة ماجيستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة، المدينة

النورة، المملكة العربية السعودية، 1417هـ/1997م.

رابعًا: المجلات والدوريات

إسماعيل أحمد الطحان

- تاريخ القرآن بين تساهل المسلمين وشبهات المستشرقين، حولية كلية الشريعة، جامعة قطر، 1984م-1404هـ.

أكرم ضياء العمري

- موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية ، مجلّة بحوث السّنة والسيرة، جامعة قطر، العدد8.

آمنة محمود الذيابات البطوش

- المدرسة الاستشراقية الهولندية والتراث الإسلامي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد37، ج1، القدس، تشرين الأول 2015م.

أنس الصنهاجي

- القرآن في الدراسات الاستشراقية الفرنسية، مجلّة دراسات استشراقية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، السنة الأولى، العدد8، صيف 2016م.

جهاد سعد

- مناقشة كتاب رجل الاستشراق مسارات اللغة العربية في فرنسا، مجلّة دراسات استشراقية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد22، 1441هـ/ ربيع 2020م.

حامد ناصر الظالمي

- المستشرقة الألمانية آنا ماري شيمل وكتابها "وأنّ محمدا رسول الله"، مجلة دراسات استشراقية، المركز الإسلامي للدّراسات الاستراتيجية، السنة الثانية، العدد5، صيف2015م/1437هـ.

حسن عزوزي

- نبوة محمد في فكر المستشرق الألماني نولدكه، ضمن كتاب السيرة النبوية في الكتابات الألمانية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-إيسيسكو-1432هـ-2011م.

رائد أمير عبد الله

- المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية الإسلامية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، العراق، السنة الثامنة، العدد15، 1435هـ/2014م.

طارق أحمد شمس

- يوهان يعقوب رايسكه المستشرق الذي مات شهيدا للأدب العربي، مجلّة دراسات استشراقيّة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، السنة الرابعة، العدد 10، شتاء2017م/1438هـ.

ظافر يوسف

- الاستشراق الألماني إلى أين(حوار مع المستشرق الألماني هارتموت بوبتسين)، مجلة التراث العربي، اتّحاد الكتاب العرب، السنة السابعة عشرة، العدد68، دمشق، آب 1997م/ ربيع الآخر 1418هـ.

عبد الله عبد الرحمان الخطيب

- الجهود المبذولة في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الانجليزية (من عام 1649 إلى 2000م)، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، العدد 29، قطر، 2011م.

عمر فرّوخ

- المستشرقون مالهم وما عليهم، مجلّة الاستشراق، دار الشّؤون الثّقافية العامة، العدد1، العراق، كانون الثّاني1987م.

فرانتس بول

- مقال في: موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط1، مركز الشارقة، 1998م، ج29.

كامل عياد

- السيرة الذّاتية للمستشرق الألماني بروكلمان، مجلّة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد60، العدد3، يوليو 1985م.

محمد أبو الفضل بدران

- الاستشراق الألماني المعاصر، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، السنة السادسة، العددان الثاني والعشرون والثالث والعشرون، الإمارات العربية المتحدة، اكتوبر 1998م.

محمّد أبو زهرة

- خاتم النبيين، المؤتمر العالمي الثّالث للسيرة والسّنة النبوية، الدوحة، محرّم 1400هـ.

محمد العمارتي

- السيرة النبوية في كتاب الإسلام عقائد ونظم، مجلّة دراسات استشراقية، السنة الثالثة، العدد الثامن، صيف2016م.

محمّد بن سيدي محمد الأمين

- الإسناد عند علماء القراءات، مجلّة الجامعة الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 129، المملكة العربية السّعودية، 1425هـ.

محمّد حسن زمّاني

- الاستشراق تاريخه ومراحله، مجلّة دراسات استشراقية، السنة الأولى، العدد الأوّل ،صيف 2014م.

محمّد عمارة

- الإسلام هل هو القرآن وحده؟ أو القرآن والسّنّة؟ مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، عدد ذي الحجة 1440هـ.

ميشال جحا

- موقف الدكتور عمر فروخ من الاستشراق والمستشرقين، مجلة الاستشراق، دار الشّؤون الثقافية العامة، العدد 4، بغداد، 1990.

ناصر المنيع

- آثار مدرسة الاستشراق الألمانية في الدراسات القرآنية عرض وتحليل، حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، السنة الرابعة، العدد6، 2009م/1430هـ.

خامسا: مواقع الكترونية

ينظر: محمد هيثم عياش

- الدراسات العربية في ألمانيا، الثلاثون من آب 2008م، موقع رابطة أدباء الشام: https://www.odabasham.net/

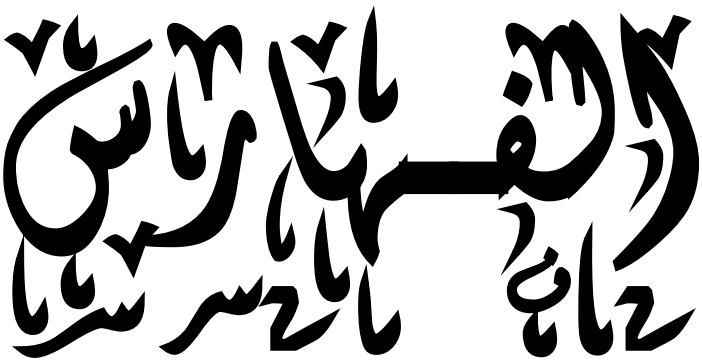

فهرس الآيات القرآنية:

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	08	المائدة	45
﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾	38	الشورى	62
﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾	61	البقرة	64
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	44	النحل	65
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾	65	النساء	65
﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾	01	الشرح	72
﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾	195	الشعراء	80
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	01	الإسراء	120
﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾	18-13	النجم	120
﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	111	التوبة	122

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾	169	آل عمران	123
﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾	154	البقرة	123
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾	21	الأحزاب	146
﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾	07	الحشر	146
﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾	5-1	المدثر	147
﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾	14	النمل	151
﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾	91	هود	152
﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾	31	الزخرف	153
﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾	124	الأنعام	154
﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	16	يونس	156
﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾	48	العنكبوت	160
﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾	103	النحل	160
﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	85	آل عمران	161

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾	213	البقرة	168
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾	82	النساء	168
﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾	20،19	النجم	169
﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾	75-73	الإسراء	169
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	52	الحج	169
﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾	4،3	النجم	170
﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾	42	الحجر	170
﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾	02	النجم	170
﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾	94	الحجر	172
﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	215،214	الشعراء	172
﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ... ﴾	5-1	المدثر	174
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾	55	غافر	176
﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾	55	مريم	177
﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾	31	مريم	177

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	183	البقرة	177
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾	48	المائدة	177
﴿وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾	67	المائدة	188
﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾	20	الحديد	189
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	28،27	الأحزاب	189
﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	63	الأنفال	190
﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾	159	آل عمران	191
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	28	سبأ	192
﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾	67	المائدة	193
﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾	54	النور	193

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾	82	النساء	196
﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾	88	الإسراء	196
﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾	136	البقرة	197
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾	185	البقرة	198
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	183	البقرة	199
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾	217	البقرة	201
﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾	11،10	الأحزاب	209
﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	67	النحل	210
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ	219	البقرة	210

مِنْ نَفْعِهِمَا﴾			
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾	43	النساء	210
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	90	المائدة	210
﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	8،7	المنافقون	212
﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	11	النور	212
﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾	4،3	النجم	221
﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾	46-43	الحاقة	221
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾	25	الأنبياء	222
﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾	5-1	المدثر	222
﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾	5	ص	223
﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾	37	البقرة	224

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾	157	النساء	224
﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾	39،38	النجم	224
﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾	01	الفرقان	225
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾	107	الأنبياء	225
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	158	الأعراف	225
﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾	24	فاطر	228

فهرس المحتويات

مقدمـــــــــة:.....أ

الفصل الأول: الاستشراق دراسة نقدية

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق ونشأته ودوافعه.....**7**

المبحث الثاني: مدارس الاستشراق وآثاره.....**30**

المبحث الثالث: إسهامات المستشرقين في التراث الإسلامي.....**47**

الفصل الثاني: المدرسة الاستشراقية الألمانية

المبحث الأول: نشأة الاستشراق الألماني وخصائصه.....**85**

المبحث الثاني: اتجاهات الاستشراق الألماني وأعلامه.....**94**

المبحث الثالث: إسهامات الاستشراق الألماني في التراث الإسلامي.....**103**

الفصل الثالث: قراءة نقدية لكتاب تاريخ الشعوب الإسلامية

المبحث الأول: كارل بروكلمان وكتابه تاريخ الشعوب الإسلامية.....**141**

المبحث الثاني: الرد على كارل بروكلمان في موقفه من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.....**148**

خاتـــــمة:.....**237**

قائمة المصادر والمراجع:.....**241**

فهرس الآيات القرآنية: **258**

فهرس المحتويات:.....**265**